



معهد الأمام الطبري
لعلوم القرآن وأدبه
بمحافظة حفر الباطن

تَذَكُّرَاتُ السَّعْدِيِّ

أكثر من ١٠٠ فائدة

من تفسير السَّعْدِيِّ



جمع وإعداد

عبد الرحمن بن محمد السبهي

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَقَدِّمَاتٌ

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، أنزل الكتاب المستبين، ودعا عباده إلى التأمل والنظر فيه، والتدبر لمعانيه، والصلاة والسلام على إمام البرية وأزكى البشرية، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد :

فهذه فوائد وفرائد، ونفائس ولطائف، جمعتها من تفسير الإمام المفسر عبدالرحمن بن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَسْمُومِي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وأسميتها (تدبرات السعدي أكثر من ١٠٠٠ فائدة من تفسير السعدي) جمعتها قبل عدة أعوام، وذلك بعد نظر طويل في تفسير هذا الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ.

وتم ترتيب هذه الفوائد حسب ترتيب سور القرآن الكريم، ليسهل الرجوع إليها، ولكي ترتبط الفائدة بالسورة التي ذُكرت فيها، وكذلك ليربط القارئ بين الفائدة والتي قبلها والفائدة وموضوع السورة، وغير ذلك .

وهذه الفوائد هي كل ما استخرجه واستنبطه الشيخ بنفسه بقوله: «وفي هذه الآية - وفيها دلالة على ... - وفي الآية إشارة - وتأمل كيف ...» - وكذلك الفصول التي أفردتها للفوائد من القصص، وأضفت ما رأيت من الفوائد التي أحببت إضافتها لهذا المجموع، ولعل هذه الفوائد تكون حاديةً ومشوقةً لقراءة تفسيره رَحْمَةُ اللَّهِ.

والله أسأل أن يجعلنا من المنتفعين بكتابه، المتدبرين له، العاملين به .

عبدالرحمن بن محمد السبهان

Twitter: @abdarhman_s

E-mail: ams.500@hotmail.com

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿سورة البقرة (مدنية)﴾

﴿الْم ۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ .



* ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أتى بـ «من» الدالة على التبعض، لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم.

* وفي قوله: ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم ومللكم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم،

وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

* ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أتى بـ (على) في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ (في) كما في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤] ؛ لأن صاحب الهدى مستعلٍ بالهدى، مرتفعٌ به، وصاحب الضلال منغمسٌ فيه محتقرٌ.



﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

* في قوله عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ خَتَرَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ يُخَيَّلُونَ إِلَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَقْضُ بَضَائِعِ نَحْنُ ﴿١٥﴾ إِنَّا كُنْهُمْ أَلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنْهُمْ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا قُرِئَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَسْخَرْنَا لِمَا ظَلَمُوا بِأَلْهَتِكُمْ فَمَا زَيَّجَتْ بَيْنَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٢١﴾

* ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥] فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنه، الحسنه بعدها، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾

* في هذه الآية وما أشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخله في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾

* في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد

ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق.

* وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال:

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّذِي أَسْرَقَ قَدَرًا فَإِلَّا أَصَابَتْ مَا حَوَّلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِرُوحِهِ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٠٠﴾ صَدُّ
 بِكُمْ عَمِّي فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٠١﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِمَّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلْمَةٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ مِّنْ جَعَلُونَ أَصْلَابَهُمْ فَبِءِذَا بَلَغْتُمُ
 الْأَرْضَ عِجْرًا مِنَ اللَّيْلِ وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ بِكَذَا أَسْرَفُ
 يَخْتَلِفُ أَبْصَرُهُمْ كَمَا أَصَابَهُ لَهْمٌ مِّثْلَ أَبِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
 قَامُوا وَرُؤُسُهُمْ لَلَّذِي لَدَهُمْ يَسْمَعُونَهُ وَأَبْصَرُهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَّمُ
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ
 الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

* ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] وفي مقام الإنزال، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

* في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة، وفيها أيضا، أن الموحدون وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُضِبَ قَدَامًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَقْدَامًا كَيْفَ تَقُولُونَ كُنْتُمْ تَخْفَعُونَ وَكُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

* فيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرية عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله من فضله .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

* في هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سبقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الحبائث، فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الحبائث، تنزيها لنا.



﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيَئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيَئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَقَلَقَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَاخْتَبَأَ فِي غِيَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَارِثُ الرَّجِيمُ ﴿٣٧﴾

* قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾

من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين،

ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك.

❖ وفي هذه الآيات من العبر والآيات :

* إثبات الكلام لله تعالى، وأنه لم يزل متكلمًا، يقول ما شاء، ويتكلم بما شاء، وأنه عليم حكيم.

* وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة.

* وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم بتعليمهم ما جهلوا، وتنبههم على ما لم يعلموه.

* وفيه فضيلة العلم من وجوه:

- منها: أن الله تعرف لملائكته، بعلمه وحكمته .
- ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم، وأنه أفضل صفة تكون في العبد.
- ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم، إكرامًا له، لما بان فضل علمه.
- ومنها: أن الامتحان للغير، إذا عجزوا عما امتحنوا به، ثم عرفه صاحب الفضيلة، فهو أكمل مما عرفه ابتداء.
- ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن، وبيان فضل آدم، وأفضال الله عليه، وعداوة إبليس له، إلى غير ذلك من العبر.

﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

* في هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي.

﴿يَبِّئْ إِسْرَاءَ يَلِ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾﴾

فَلَمَّا أَهْطَلُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا أَيُّتِيكُمْ مَنِي هَدَىٰ فَتَن تَبِئْ هَدَىٰ فَلَا حَوَافِظَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾ يَبِّئْ إِسْرَاءَ يَلِ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَآتَقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَالَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ فُتِنُوا بِهِمْ وَأَنْهَىٰ اللَّهُ عَنْهُمْ رِجْسَهُمْ يَبِّئْ إِسْرَاءَ يَلِ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلْفَلَا كَرَأَيْتُمْ كَيْفَ تَصَلُّونَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَأَنْفَعُوا أَيُّومًا لَا تَنْجِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْتَدُّ مِنْهَا آتِدُّ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٧﴾

* في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم، لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذبيكم له تكذيب لما معكم. وأيضا، فإن في الكتب التي بأيديكم، صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتهم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسول، فقد كذب الرسل جميعهم.

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَآتَقُونَ ﴿٤١﴾﴾

* في قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أبلغ من قوله: «ولا تكفروا به»؛ لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَالَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

* قوله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها.

* وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

﴿آتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

* هذه الآية ، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) [الصف: ٢-٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقيم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيهما، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فافتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعِ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّذَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٦١)

* قوله: ﴿بَغَيْرِ الْحَقِّ﴾ زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبيين لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

* واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم،

ونسبت لهم لفوائد عديدة:

- منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون

أنفسهم، ويزعمون فضلهم على

محمد ومن آمن به، فبين الله من

أحوال سلفهم التي قد تفررت

عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم

أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم

الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا

كانت هذه حالة سلفهم، مع أن

المظنة أنهم أولى وأرفع حالة

ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟.

- ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصله إلى المتأخرين، والنعمة

على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

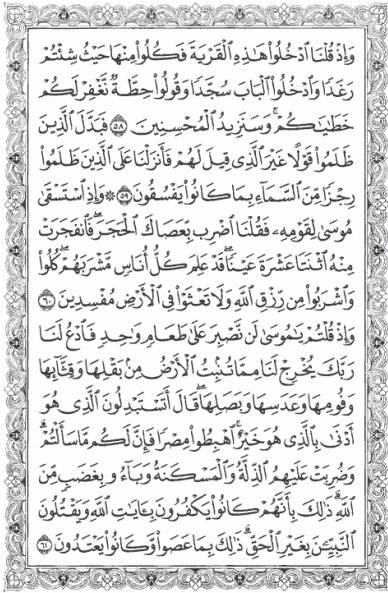
- ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة

على دين تتكافل وتتساعد على مصالحتها، حتى كان متقدمهم ومتأخرهم

في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثا من الجميع؛ لأن ما

يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر

يعود بضرر الجميع.



- ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحِكم التي لا يعلمها إلا الله.

﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١)

* ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) قد احتج بها الخوارج

على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ إِلَّا آمَنُوا وَلَنْ هُمْ إِلَّا يَتْلُونَهُ ﴿٨٠﴾ قَوْلِ الَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِالْيَدِ يُعْرَفُونَ قَوْلُهُمْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِشَرِّ رُؤْيَاهُ فَكَمَثَلُ قَلِيلًا قَوْلِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ أَتَدِينَهُمْ قَوْلِهِمْ وَمَا يَكْتُمُونَ ﴿٨١﴾ وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَنْتَ مَا تَمَعُدُونَ قُلْ أَنْتُمْ تُسَمُّونَ اللَّهَ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرًا تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَصْلُحُونَ ﴿٨٢﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا لِلَّذِينَ إِحْسَانًا وَإِذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٥﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٦﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ لَهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُزُومٌ إِلَىٰ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَصْنَعُونَ ﴿٨٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ عِندِهِ بِالرُّسُلِ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِوَعْدِهِمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ قُلُوبُنَا غَلْفًا بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٦) ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ لَهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (٨٧) ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ *

* فيها دليل على أن الإيثار يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيثار، قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد وقع ذلك فأحزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى.

﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ *

* في هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر، ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين.

وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

لَتُوبَةُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْبٌ وَتُؤْمَرُوا أَنْ نَنْظُرَ كَمَا

وَأَسْمَعُوا وَلَا تَكْفُرِينَ عَذَابُ الْبَاطِلِ ﴿١٠٤﴾ مَا يَبُذُّ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ

أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِمْ خُبْرٌ مِنْ رَبِّكَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤)

* فيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم.

* وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحمل إلا الحسن فقال: ﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦)

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مِنْ وٰلِيٍّ وَلَا نَصِيْبٍ ﴾ ﴿ اَمْ تَرْيَدُوْنَ اَنْ نَّسَخٰلَا رِسٰلٰتَكُمْ كَمَا سَخَّلْنَا مُوسٰى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَّبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمٰنِ فَذٰلِكَ ضَلٰلٌ سَبِيْلٌ سَوَآءٌ السَّبِيْلِ ﴾ ﴿ وَذَكَرْنَا لَكُمْ اَهْلَ الْكِتٰبِ لَوْ يُرٰدُوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ اِيْمٰنِكُمْ كُفْرًا حَسَمًا مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَا لَهُمُ الْحَقَّ فَاَعْمٰوْا وَاَصْفَحُوْا حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهَ بِاَمْرٍ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ ﴿ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَّحْدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴾ ﴿ وَقَالُوْا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصْرٰى تِلْكَ اٰمٰنِيْنُهُمْ ﴾ ﴿ قُلْ هٰتُوْا بُرْهٰنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴾ ﴿ بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُٗ اَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهٖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾ (١١٣)

* دل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا أَوْ نَصْرٰى تِلْكَ اٰمٰنِيْنُهُمْ ﴾ ﴿ قُلْ هٰتُوْا بُرْهٰنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴾ ﴿ بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ

لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُٗ اَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهٖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾ (١١٣)

* يفهم منها، أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١١٤].

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبَسَ النَّصْرِيُّ عَلَيْنَا وَوَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَبَسَ الْيَهُودُ عَلَيْنَا وَهُنَّ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُوَافِيَةٍ يُحْتَلَمُونَ ﴿١١٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمُنِيرُ وَالْمُغْرِبُ فَأَيُّمَا قَوْلًا فَتَرَىٰ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿١١٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَذَلِكَ سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَّهُ قَدِينٌ ﴿١١٤﴾ يَدْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَلَّ قَوْلِهِمْ فَتَنَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٤﴾

* استدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

* وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨]، بل قد أمر الله

تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [النور: ٣٦].

﴿ وَإِنْ رَضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرِيُّ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١١٣].

* هذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن أمته داخله في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [١١٤].

* دل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.

وَأَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِيَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ أَمْرٍ وَلَيْ لَا تَصِيرُ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ بَيْتِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا بَعَثَ إِلَيْكَ الْفِتْنَةَ عَلَيْكَ تُرَاوَى فَضَلْنَاكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَّخِذْهُ قَالَ إِنْ جَاءَكَ لِلنَّاسِ إِيمَانًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آسَافًا وَرَافِقًا أَهْلَهُ مِنْ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمِّتَّعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١١٢)

أضف الباري البيت إليه لفوائد:

- منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

- ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

- ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه.

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١١٦)

* في قوله: ﴿ قُولُوا ﴾ إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه.

* وفي قوله: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوبا إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام بحبل الله جميعا، والحث على الائتلاف

حتى يكون داعيهم واحداً، وعملهم متحداً، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد.

* وفي قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: «أنا مؤمن» ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرراً بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان.

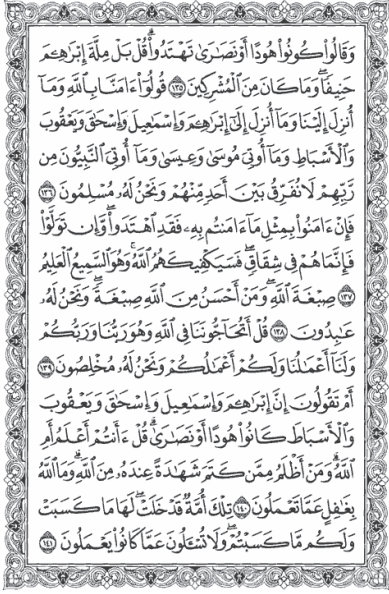
* وفي قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ دلالة على أن عطية الدين، هي العطية

الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.

* وفي قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملاً.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِنْ نَوَوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

* وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد. ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر.



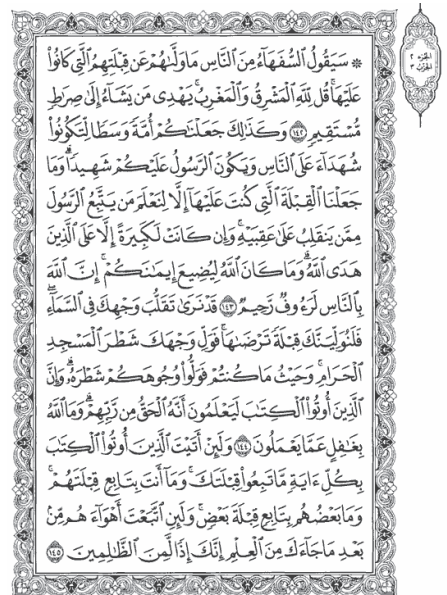
والتسليم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١] وقد كان في قوله ﴿السَّفَهَاءُ﴾ ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٤٣].

* في الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: ﴿وَسَطًا﴾ فلو قدر اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطًا، إلا في بعض الأمور، ولقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يقتضي أنهم إذا شهدوا

على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك.

* وفي هذا بشارة عظيمة لمن من الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه نوعان: حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم عن كل



مفسد ومزِيل له. ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه، وحفظه من كل مكدر، بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبين المؤمن الصادق من الكاذب، فإنها تمحص المؤمنين، وتظهر صدقهم، وكأن في هذا احترازاً عما قد يقال: إن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ قد يكون سبباً لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ بتقديره لهذه المحنة أو غيرها.

* وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

﴿ قَدْ رَأَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ .

* في هذا بيان لفضله وشرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه .

* ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أي: جهته: - ففيها اشتراط استقبال الكعبة،

﴿ سَيَقُولُ الْمُشْكَكُونَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ مِنْ قِبَلِهِمْ آلِي كَأُولَىٰ عَلَيْهِمْ أَفَلَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْمُغْرِبِينَ يَهْدِي مِنْ رِيشَاءِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وكذلك جعلناك أمة وسطاً لئلا تكونوا شهداء على الذين يؤمنون الرسول عليهم شهيداً وما جعلنا القبلة الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٤﴾ قد نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَيْنِ أَقْبَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِحُجَّتِ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِبَتَّةٍ يُعْتَبَرُ مِنْ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمُومٍ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

للصلوات كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها.

- وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥).

﴿سَيَسْأَلُ الْمُتَقَاتِلِينَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهَا قُلْ لَنْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كُنْتُمْ لَكِبْرًا إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّمَا يَهْتَدِ اللَّهُ لِقَوْمٍ يُرِيدُ وَيُضِلُّ لِقَوْمٍ يُضِلُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنْ نُحَسِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾

* قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾

أبلغ من قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ) لأن ذلك يتضمن أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل: (ولو أتوا بكل آية) لأنهم لا دليل لهم على قولهم. وكذلك إذا تبين الحق بأدلة اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم

بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع.

* ﴿وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إنما قال : ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل (دينهم) لأن

ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ

هُوَئِلَآءَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغِيثُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨).

* يستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فله ما أجمعها وأنفعها من آية!

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّا لَفَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٨﴾ وَالْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغِيثُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٠﴾ وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥١﴾ وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِنَّا بِكُمْ وَعَلَيْكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِنَّا بِكُمْ وَعَلَيْكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠).

* وكان صرف المسلمين إلى الكعبة،

مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات.

- منها: الأمر بها ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة.
- ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله:

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ﴾ والأمة عموماً في قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾.

- ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها.
- ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبله أهل الكتاب.
- ومنها قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (١٥٢)

* في الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٢﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُودٍ أَوْ يَهُودٍ أَوْ نَسَارَةٍ لَمَنْ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا مَا كُنَّا بِعَدُوِّ اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٤﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ مُطَّرًا لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٥﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ مُطَّرًا لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْزَنُوا وَخَسِرُوا وَلَئِنَّهُمْ لَيَكْتُمُونَ عَلَيْكُمْ وَلَعَدَّ كُرْهًا تَدُونَ ﴿١٥٦﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِي قُرْآنِكَ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْتَكُ مِنْهُ آيَاتِنَا وَرُبَّمَا تَوَكَّبُوا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾

والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.


﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ (١٥٥)
﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٦)

* في هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل

الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآث لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيَقْنُلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

* وفي الآية، دليل على نعيم البرزخ وعذابه، كما تكاثرت بذلك النصوص.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [١٥٤]  **الصابرين** ﴿١٥٥﴾.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَيَبْئُرَنَّكُمْ يَتْنُ وَمِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمَتِ وَبَشْرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَمَّ الْيَتِيمَ وَأَوْفَقْتُمْ فَكَدَحْتُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ طَطَعَ خَيْبًا قَاتَ اللَّهُ مَا كُنِيَ عَلَيْهِ ﴿١٥٨﴾ إِذْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا آتَيْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أُولُو الْعَرْشِ ﴿١٦٠﴾ وَأَنَّ التَّوَابَ الرَّجِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَالْحُكْرُ اللَّهُ وَجَدَّ لِآلِهِ الْأَهْوَاءُ الرَّجِيمُ ﴿١٦٤﴾

* دلت هذه الآيات، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين! وما أقل تعب الصابرين! وأعظم عناء الجازعين! فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخفف وتساهل إذا وقعت، وبيان ما تقابل به

إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر. وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وبيان أنواع المصائب.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

* ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ دل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُفْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَيَبْئُوكُمْ بِبَنِي وَعَمْرٍو مِنَ الْخَوَافِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْقَمَرَاتِ وَبِشِرِّ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٦٠﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٢﴾ إِذَا الذِّبْتُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٦٣﴾ أَلَا الَّذِينَ تَسَاءَلُوا وَاسْتَلْحَمُوا بَيْنَهُمْ أَفْئِدَتِكُمْ أَنْ تُبَيِّنُوا عَلَيْهِمْ وَأَلَا الَّذِينَ تَرْتَجِمُونَ ﴿١٦٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاؤُهُمْ كَعَقَابِ الْأُولَئِكَ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْمَلَكُوتِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٦﴾ وَالْمُكْرِمَةُ لِلَّهِ وَإِلَهُ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٧﴾

بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة مفردة. فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلا، ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على

صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه.

* وقوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

* ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ دل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شرًّا له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل.

﴿وَالْمُكْرِمَةُ لِلَّهِ وَإِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٧)

* في هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من

المخلوقين وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٦٥﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ فِي الْبَحْرِ وَمَا يُنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَخْبَثَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَّكَ فِيهَا مِن كُلِّ ذَاتٍ حَيَّةٍ وَتَضْرِبُ الرِّيحُ السَّحَابَ الْمُسْحِرِينَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ لِأَنبَتِ لِقَوِيهِمْ عُلُوقِ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّلُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَأَلْنَا لَهُمْ مِن قَدِّمَيْهِمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةَ السَّاغِيَّةَ فَلَا تَتَّبِعُنَّهَا مِثْلَ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مُّؤْمِنٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يُرْمِزُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

* في قوله: ﴿ يَتَّخِذُ ﴾ دليل على أنه ليس لله ند، وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له، تسمية مجردة، ولفظا فارغا من المعنى، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ أَلْفَؤْلِ ﴿٣٣﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ [النجم: ٢٣] فالمخلوق ليس ندا لله لأن الله هو الخالق وغيره مخلوق، والرب الرازق ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضرر والأمر شيء، فعلم علما يقينا بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادا، سواء كان ملكا، أو نبيا، أو صالحا، صنما، أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام.

﴿ يَتَّبِعُونَهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٦٨﴾

﴿ يَتَّبِعُونَهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٦٨﴾

* في هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعا، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

* وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يَأثم تاركه لظاهر الأمر.

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ .

* ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ هذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورجبتهم

وَأَقِيلَ لَهُمْ أَنِّي جَاءَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوَةً وَنِدَاءً ضَمُّ بِكُرْ عَمَى فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ بَنَاتُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ أَمْنٍ طَيِّبَةٍ مَارَرْتَنَ فِيهَا وَاسْتَكْرَمُوا فِيهَا إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّهْرَ وَالْخِنْزِيرَ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتَكْبِرُونَ بِهِ فَمَنْ آقَلَ إِلَّا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِالضَّلَاطَةِ وَالْهُدَىٰ وَالصَّادِقَ بِالْمُغْفِرِ وَمَا أَصْبَحْهُمُ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٥﴾

عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٢)

* في هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: «الضرورات تبيح المحظورات» فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له الملك الرحمن، فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

﴿ ذَلِكِ بَيِّنَةٌ لِّأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ ﴾

بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

* في قوله: ﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهِيَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

* توجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القتال حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القتال، وأنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين.

* مع أن في قوله: ﴿ الْقِصَاصُ ﴾ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جدا من الولد له.

﴿ لَيْسَ إِلَهِمُ إِلَّا اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ وَاللَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْإِنسَانَ أَحْسَنَ الْبَدَائِ وَأَلَمَّ الْإِنسَانَ بِأَحْسَنِ الْأَلْمَامِ مَا عَلَّمَ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

﴿١٧٩﴾

﴿ لَيْسَ إِلَهِمُ إِلَّا اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ وَاللَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْإِنسَانَ أَحْسَنَ الْبَدَائِ وَأَلَمَّ الْإِنسَانَ بِأَحْسَنِ الْأَلْمَامِ مَا عَلَّمَ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

﴿ لَيْسَ إِلَهِمُ إِلَّا اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ وَاللَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْإِنسَانَ أَحْسَنَ الْبَدَائِ وَأَلَمَّ الْإِنسَانَ بِأَحْسَنِ الْأَلْمَامِ مَا عَلَّمَ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

﴿ لَيْسَ إِلَهِمُ إِلَّا اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ وَاللَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْإِنسَانَ أَحْسَنَ الْبَدَائِ وَأَلَمَّ الْإِنسَانَ بِأَحْسَنِ الْأَلْمَامِ مَا عَلَّمَ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

- * وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾.
- * وفي قوله: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ تريق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.
- * وفي قوله: ﴿أَخِيهِ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه.
- * وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء، والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٨٠) فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَآمَنَ عَلَى حُبِّهِ. ذُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآقَى السَّبِيلِ وَالسَّابِقِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَصِينِ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَدَابٌ أَلِيمٌ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ١٨١ ﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ١٨٢ ﴾

- * قوله: ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى. واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في

والوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل. والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات الموارث، بعد أن كان مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببه، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما كل منهما ملحظاً، واختلف المورد. فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات، لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣)

فَمَنْ حَاقَ مِن مُّؤْمِنٍ جَنَاحًا أَوْ أَمَامًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن سَهَدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِيُتِمَّ مَوْلَاهُ الْبَيْدَةَ وَلِيُذَكِّرَ إِذًا مَا هَدَىٰكُمْ وَلَسَّاكُمْ لَمَّا كُنتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتُم عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

* فيه تشييط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختلفتم بها.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤)

* في قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملاً كان أو ناقصاً، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياماً قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة، والعكس.

﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ بِمَا كُنْتُمْ عَنكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فَتَىٰ اللَّهُ حُدُودَ اللَّهِ فَالَّذِينَ تَرَوُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧)

أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ بِمَا كُنْتُمْ عَنكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فَتَىٰ اللَّهُ حُدُودَ اللَّهِ فَالَّذِينَ تَرَوُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَنُذِرُوا بِهَا إِلَىٰ الْكُفَّارِ لِيَأْكُلُوا فِيهَا مِنِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْرِثَةٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَدْبَارِهَا وَأَنْتُمْ حُرُّوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَالُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ كُفْرًا وَلَاقَتَهُمْ وَإِنَّ لِلَّذِينَ هُمْ يُقْتَلُونَ

* ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ فيه أنه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

* وفيه دليل على استحباب السحور للأمر، وأنه يستحب تأخيره أخذاً من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد. وفيه أيضاً دليل على أنه يجوز أن يدركه

الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق.

* ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وانقطاعاً إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد.

- * ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.
- * وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

أَجَلٌ لَكُمْ لِيَلْبَسُوا الصَّيَاهُ الرَّقِيقَ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ نِسَائُكُمْ وَالنَّسَاءُ لِيَسْأَلُنَّ عَنْكُمْ فَانْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ فَصَابِعَكُمْ عَصَافَكُمْ فَالَّذِينَ بَشِيرُهُمْ وَابْتِغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْخَبْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَبْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَاهُ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تُبَشِّرُوا مِنْهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْمَسَاجِدِ فَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يبينُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْكُفْرِ لِيَأْكُلُوا فَرْيَافًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩١﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٢﴾

* يستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل

به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَآخِرُ جُودِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

* في تخصيص القتال ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حث على الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين.

* ويستدل بهذه الآيات على القاعدة المشهورة، وهي: أنه يرتكب أخف المفسدتين، لدفع أعلاهما.

﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٦٦).

يستدل بقوله تعالى: ﴿وَاتِمُّوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ على أمور:

- أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.
- الثاني: وجوب إتمامهما بأركانها، وواجباتها، التي قد دل عليها فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله: «خذوا عني مناسككم».

- الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

- الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشرع فيها، ولو كانا نفلا.

- الخامس: الأمر بإتقانها وإحسانها، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

- السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

- السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء

وَأَقْبَلُوا هُجْرَتَهُمْ فَفَقَعْتُمْهُمُوهُمْ وَأَخْرَجْتُمْهُمُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْهُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَنْتَبِهُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى تَقْتُلُوا
فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ اسْتَهْوَأَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَبِلُوا هُجْرَتَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ اسْتَهْوَأَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَالظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ فَصَاحِبٌ مِّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكَ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِعِيْلٍ مَا مَاتَ نَسَائِدِي عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْمَرُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٩﴾ وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّمَلُّكِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٠﴾ وَاتِمُّوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ رُفْرُفَهَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْفَلُوا بِهَا وَكَمْ حَتَّى تَبْلُغَ
الْهَدْيَ لِحَجَلِهِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ
وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧١﴾

من الأشياء حتى يكملها، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر.

* والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية.

* ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدى، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، فإذا طاف وسعى للعمرة أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدى

* ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج ليس عليه هدي.

* ودلت الآية على جواز، بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

* في قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ﴾ دلالة على أمور:

- أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف.

- الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر باثنا بها، وبعد صلاة الفجر يقف في المزدلفة

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا تَعْدِيلَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٢﴾

- داعيا، حتى يسفر جداً، ويدخل في ذكر الله عنده إيقاع الفرائض والنوافل فيه.
- **الثالث:** أن الوقوف بمزدلفة متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء والترتيب.
- **الرابع والخامس:** أن عرفات ومزدلفة كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها، وإظهارها.
- **السادس:** أن مزدلفة في الحرم، كما قيده بالحرام.
- **السابع:** أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بـ (مزدلفة).

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

* في هذه الآيات دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع، مسلماً، أو كافراً، أو

فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة هي السلامة من العقوبات، في القبر،

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَاتَمَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزُوذُوا قَابَتِ خَيْرًا ۗ أُوذِيَ الْقَوْمَ الْأَثَفُونَ ۗ بَنِي الْأَثَبِ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَإِذَا أَقَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۗ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُم ۗ وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۗ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقْبَضْتُم ۗ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو جَبَرٍ ۗ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ۗ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ

والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكملة، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الدعاء به، والحث عليه.

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾.

* هذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾.

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾
 ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ لِلَّهِ عَلِيمًا مَّا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْجِصَاءِ ﴾ ﴿٢٠٤﴾
 ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢٠٦﴾
 ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُنْفِرُ نَفْسَهُ تَبِعَاءً مَّا يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ بِالْحَسْبِ الْبَاطِلِ ﴾ ﴿٢٠٧﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢٠٨﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢٠٩﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٠﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١١﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٢﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٣﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٤﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٥﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٦﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٧﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٨﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢١٩﴾
 ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنسَانُ بِشَاكِرًا ﴾ ﴿٢٢٠﴾

* في هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلاً على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها، وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحقق والمبطل من الناس بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٢١٠﴾.

﴿ وَأذْكُرُ وَاللَّهُ فِي آيَاتِهِ مَعْدُودٌ قَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ لَبِئْسَ أَتَقَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُكُمْ خَشَرُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ادْعُ رَبِّي وَأَنَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ كَرْبَهُ وَالنَّاسُ وَاللَّهُ لَا يُجِيبُ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ادْعُ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِشْرَ فحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهَهُ إِلَّا اللَّهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْصَاتٍ وَاللَّهُ وَرَىٰ بِالْعِبَادِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَإِن رَّكَبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَكُمْ الْبُرُوكَ فَلَا تَكُونُوا لِلَّهِ عَزِيرِينَ ﴿١٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٠﴾

* وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية

ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدرح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهو لاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي.

* أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالاتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

* وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن الله ذاتا لا تشبهها

الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

* ويقال أيضاً، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكراً لرب العالمين وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرّق بين ما أثبتته وما نفيتته، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيهاً، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيتته لا يقتضي تشبيهاً. فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيتته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه. فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيتته.

* والحاصل أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ مِن الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٧)

* دلت الآية بمفهومها أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨)

كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَّهُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكُونُوا شَيْخًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْخًا وَهُوَ سَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٨﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْحَرَامِ أَهْلِهِ. وَهُوَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّىٰ تَبْرُدَ وَكَرِهْتَ دِينَكَ إِنْ أَسْتَظْلِمُوا وَتَنْ يَرْتَدُّوا مِنْكَ عَنْ دِينِهِ. فِيمَتٌ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْرٌ كَبِيرٌ وَسَنْفَعُ النَّاسَ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ نَفْعِهِمَا أُولَٰئِكَ مَاذَا يُفْقِرُونَ قُلْ الْمَغْفُوكَ ذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٢١﴾

* في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

* وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات، وحصلت له رحمة الله.

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْإِصْلَاحِ قُلْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢٠)

* في هذه الآية، دليل على جواز أنواع المخالطات، في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة لطف من الله تعالى وإحسان، وتوسعة على المؤمنين.

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۖ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ مِشْرِكَةٍ وَلَا تَكْفُرْ ۚ وَأُولَٰئِكَ عَجَبَتُكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا عَجَبَتُكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَسِينُ ۖ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٢١)

* استفاد من تعليل الآية النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً، الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

* وفي قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ دليل على اعتبار الولي في النكاح.

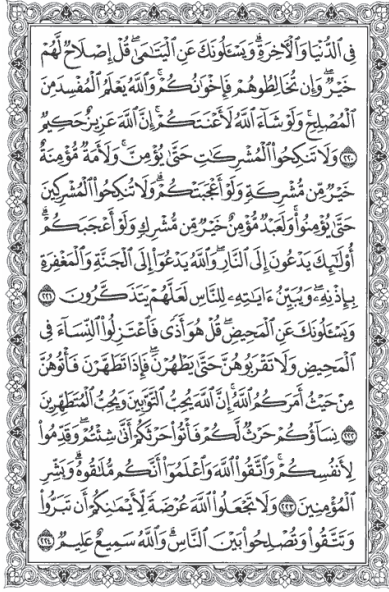
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

* تخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملاستها في

غير الوطء في الفرج جائز، لكن قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض أمرها أن تنزr، فيباشرها.

* ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث. وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم شرط لصحته.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فيه مشروعية الطهارة مطلقاً، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً شرطاً لصحة الصلاة



والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

﴿سَأَأْتِكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمْتُ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣).

في الدنيا والآخرة وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ عَنَّا الطَّوْغَةُ فَإِنَّ حَرْثَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدِينَ الْمُصْلِحَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَخَسْتُمْ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْشِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ تَكُونَ أُمَّةٌ مُّؤْتَمَةً حَيْثُ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُجِئْتُمْ كُمْ وَلَا تُشْكِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ تَكُونَ أُمَّةٌ مُّؤْتَمَةٌ حَيْثُ مِنْ مُشْرِكِينَ وَلَا تُعْجِبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَوْمَئِذٍ لِلنَّاسِ لَعْنُهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحْضِيِّ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحْضِيِّ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأْوِهِنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٥﴾ سَأَأْتِكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمْتُ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْتُلُوا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

* فيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْتُلُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤).

* يستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه «إذا تراحمت المصالح، قدم أهمها» فهنا تميم اليمين مصلحة، وامتنال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٢٥).

* في هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.

﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾.

* يستدل بهذه الآية على أن الإيلاء خاص بالزوجة، لقوله: ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركة واجبا.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِنُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٣٨)

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُؤُوقِ لِمَ تَكْفُرُونَ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوْا بِكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَضُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاءَ وَقَبِلَ اللَّهُ عَقُورٌ رَجِيمٌ ﴿٢٣٩﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِنُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤١﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكَهُمُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيَةٍ بِمَا حَسَنٌ وَلَا يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ أُمَّتًا أَيْتِسُمُوهُنَّ سِتْرًا إِلَّا أَنْ يُخَافَا الْأَيْقِيْنَ سَاخُدُونَ لِلَّهِ فَإِنْ خَفَسْتُمُ الْأَيْقِيْنَ سَاخُدُوا لِلَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ إِذْ يَتَّكِفُ سَخُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَعْتَدِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤٢﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُبَيِّنَا حُدُودَ اللَّهِ وَقَالَ حُدُودُ اللَّهِ بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٣﴾

* في ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه

* ومفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح فليسوا بأحق بردهن، فلا يجلب لهم أن يراجعوهن، لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك، مع هذا القصد؟ فيه قولان: الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم، والصحيح أنه

إذا لم يرد الإصلاح لا يملك ذلك كما هو ظاهر الآية الكريمة .

* ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وفي هذا دليل على أن النفقة، والكسوة، والمعاشرة، والمسكن، وكذلك الوطء، الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق. وأما مع الشرط فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً.

* وسياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة.

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

* في هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

* مفهوم الآية الكريمة، أنها إن لم يظن أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة

غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا، لأن جميع الأمور، إن لم يقيم فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها. وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، والكبار، نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها أقدم، وإلا أحجم.

* ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يجب من عباده معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِئَةِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِن يَأْخُذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلْيُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِغَمْرٍ خَلِيلٍ ﴿٢٣٩﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَرْضَى أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاءَ وَقَبِلَ اللَّهُ عَقُورٌ رَجِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلُقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيمٌ عَلَيْهِمُ ﴿٢٤١﴾ وَالْمَطْلُوقَاتُ يُرْضَيْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ تِلْكَ قُرُوبٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا كُنَّ يَحْسَبُنَّ لِحُرَّتِهِنَّ أَنْ يُحْبَسْنَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٢﴾ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

* في هذه الآية دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر هو تحت تدبيرهم، ولهم فيه حق.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيبَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِيهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

* يؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها.

* ودل هذا على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: ﴿ لَا

تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا ﴾ فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئاً بالنفقة حتى يجد.

* ودل قوله: ﴿ مَوْلُودٌ لَهُ ﴾ أن الولد

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَتَّكِخْنَ أَنْوَجَهُنَّ إِذَا تَرْضَعْنَ مِنْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنَ الْبَرِّ وَاللَّهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ ذَلِكُمْ أَكْرَأُ لَكُمْ وَأَطْرَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيبَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِيهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

* وقوله: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾

أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين على القريب الوارث الموسر.

* ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾ أي: الأبوان ﴿ فَصَالَا ﴾

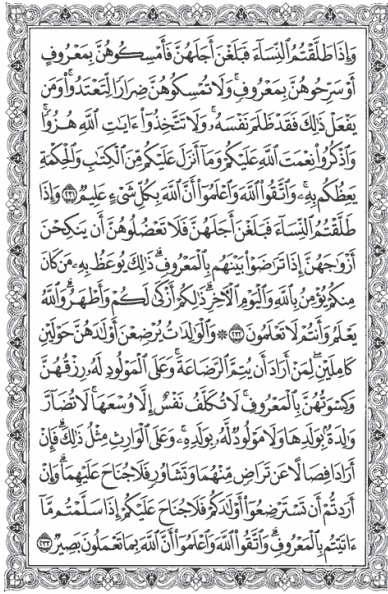
أي: فطام الصبي قبل الحولين.

* ﴿ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا ﴾ بأن يكونا راضيين ﴿ وَتَشَاوُرٍ ﴾ فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ في فطامه قبل الحولين، فدلَّت الآية بمفهومها على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه.

﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَجًا يَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣٣٤)

* في هذا وجوب الإحداد مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

* وفي خطابه للأولياء بقوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، ووجب عليه.



﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا
أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ .

* يدخل في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ تكميل الصلوات،
ويدخل فيه أيضاً الإكثار من ذكر الله شكراً له على نعمة الأمن، وعلى نعمة
التعليم لما فيه سعادة العبد .

* وفي الآية الكريمة فضيلة العلم، وأن
على من علمه الله ما لم يكن يعلم
الإكثار من ذكر الله .

* وفيه الإشعار أيضاً أن الإكثار من
ذكره سبب لتعليم علوم آخر، لأن
الشكر مقرون بالمزيد .

* وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة
على وقتها حيث أمر بذلك ولو مع

الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها
ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاحتها على تلك الصورة أحسن وأفضل، بل
أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠) .

* والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل
تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم .

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمَطْلَقَاتُ مَتَّعٌ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُتَوَاتِرًا أَلْحَسِبُّ أَنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَدْ تَلَوْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ
ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعِفَ آفَا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي تَلُونَ وَذُكُورًا لِلَّهِ قَائِمِينَ ﴿٢٤٣﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجًا لَّا أُرْسِلُ بِهَا قَائِدًا أَمْنًا فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِينٌ وَلَا يَدٌ لَهُ فِي مِمَّا كَفَرَ بِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٢٤٥﴾ وَصِيَّةٌ لِّأُولِي الْأَرْحَامِ إِذَا خَرَجْتُمْ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي لَكُمْ فَالْحَقُّ بِالْحَقْلِ وَالْإِحْرَاقِ فَإِنْ خَرَجْتُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي لَكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٦﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤٧﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّنَا اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٥١﴾

* في هذه القصة عبرة بأنه على كل شيء قدير، وذلك آية محسوسة على البعث.

* في هذه الآيات دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصاً الأسباب التي تتركها أوامر الله.

* وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعياناً في هذه الدار.

* وفيها: الأمر بالقتال والنفقة في سبيل

الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحادثة عليه، من تسميته قرضاً، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ

وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي
 مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
 أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى
 وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾
 فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
 وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً

بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا
 طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم
 مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادِئِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
 يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾
 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
 وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الَّتِي تَرَى الْمَلَائِكَةَ تَسْبِيحُ لَكَ مِنْ بَيْتِكَ إِسْرَافًا مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ
 قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهِمْ أَنَبَتْ لَنَا مَلَائِكَةٌ أَنْفَعَتِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
 قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
 مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَمَا كُنَّا كُنَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
 بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
 وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
 تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَرِهُوا فِتْنَةَ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادِئِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ امْتَسَقَ بِغُرْفَتِي يُبَدِّدْهُ فَمَنْ قَامَ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا وَعَلَبَتْ فَتْنَةٌ كَثِيرَةً يَأْذِبُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا لِبِجَالوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا آفِئْهُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْفَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِبُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَهَاتَمَهُ اللَّهُ الْمَلَأَتْهُ مِنَ الْمَكْتُمَةِ وَعَلَّمَهُهُ وَمَا يَسْتَكْفُرُ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْنَا بِنَاسٍ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ ذَلِكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَالنَّاسُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٩﴾

في هذه القصة عبر كثيرة للأمة :

* **منها:** فضيلة الجهاد في سبيله وفوائده وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين وحفظ الأوطان وحفظ الأبدان والأموال، وأن المجاهدين لو شقت عليهم الأمور فإن عواقبهم حميدة، كما أن الناكلين ولو استراحوا قليلاً فإنهم سيتعبون طويلاً .

* **ومنها:** الانتداب لرياسة من فيه كفاءة،

وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين: إلى العلم الذي هو علم السياسة والتدبير، وإلى القوة التي ينفذ بها الحق، وأن من اجتمع فيه الأمران فهو أحق من غيره .

* **ومنها:** الاستدلال بهذه القصة على ما قاله العلماء أنه ينبغي للأمر للجيوش أن يتفقدوا عند فصولها، فمنع من لا يصلح للقتال من رجال وخيل وركاب لضعفه أو ضعف صبره أو لتخذيله أو خوف الضرر بصحبته، فإن هذا القسم ضرر محض على الناس .

* **ومنها:** أنه ينبغي عند حضور البأس تقوية المجاهدين وتشجيعهم وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله والاعتماد عليه، وسؤال الله التثبيت والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء .

* **ومنها:** أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته، فقد يعزم الإنسان ولكن عند حضوره تنحل عزمته، ولهذا من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَسْأَلُكَ الثبات في الأمر، والعزيمة في الرشد» فهؤلاء الذين عزموا على القتال وأتوا

بكلام يدل على العزم المصمم لما جاء الوقت نكص أكثرهم، ويشبه هذا قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ» لأن الرضا بعد وقوع القضاء المكروه للنفوس هو الرضا الحقيقي .

وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب، فمنها:

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَفَشَرُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ قَلَّمَا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهُوا فِتْنَةَ قَلِيلَةٍ عَلَيْهِمْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذُتُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ نَاحِيَةَ الْأَمَنَاتِ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ فَهَرَمَ مَوْهَمُ يَأِذُتُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَهَذَا آيَةُ اللَّهِ الْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ وَعِلْمُهُ وَمَا يَسْتَأْذِنُ وَلَا دَعَا اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَالْمُلْكُ لِمَنْ أَلْمَزْتُمْ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٧﴾

* أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملاء حين راجعوا نبينهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم،

* **ومنها:** أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل

به اليقين التام كما جرى لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب.

* **ومنها:** أن العلم والرأي مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات، وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها.

* **ومنها:** أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبينهم: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا﴾ فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ

وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب،
والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط
وعدم التمييز.

* ومنها: أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين
المقاتلين، وإنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَل
الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٢﴾ .

* في هذه الآية أكبر شاهد على أنه تعالى يتصرف في جميع الأسباب المقتضية

لمسبباتها، وأنه إن شاء أبقاها وإن
شاء منعها، وكل ذلك تبع لحكمته
وحده، فإنه فعال لما يريد، فليس
لإرادته ومشيئته مانع ولا معارض
ولا معاون .

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَفْعَلُوا
مِثْرًا زُكْرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا نَبِيَّ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا
شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٢﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾

* يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعُظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۗ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴾

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْرُقُهُمْ بِمُخْرِجِهِمْ مِنْ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٩﴾ الَّذِي حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رِيبِهِ
أَنَّ هَاتِهِ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبراهيمَ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبراهيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَبْتِرْهُمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَهَبَّتِ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦٠﴾ أَوْ كَالَّذِي
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ
قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل
لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ
وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَأَنْظَرُ إِلَى
الْعُظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ ۗ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦١﴾

* الظاهر من سياق الآية أن هذا رجل

منكر للبعث أراد الله به خيرا، وأن يجعله آية ودليلا للناس لثلاثة أوجه:

- أحدها قوله: ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ولو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك.

- والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه وحماره ونفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت

إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حماره وإبقاء طعامه وشرابه بحاله.

- والثالث في قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي: تبين له أمر كان يجمله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

* فيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعزته وسعة سلطانه وتما م عدله وفضله .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

* مفهوم الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف

والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنّة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمنّ بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المانّ مستعبد لمن يمنّ عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ غَلْبَتُهُ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ حَسْبُكَ مَن صَدَقَ بِهَا يُتَّبِعْهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْبًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾﴾

ذكر الله أربع مراتب للإحسان :

- **المرتبة العليا** : النفقة الصادرة عن نية صالحة ولم يتبعها المنفق منا ولا أذى.
- **ثم يليها** قول المعروف، وهو الإحسان القولي بجميع وجوهه الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف.
- **والثالثة** : الإحسان بالعمو والمغفرة عمن أساء إليك بقول أو فعل .
- وهذان أفضل من الرابعة وخير منها وهي : التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطي لأنه كدر إحسانه، وفعل خيراً وشراً، فالخير المحض وإن كان مفضولاً خيراً من الخير الذي يخالطه شر وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه كما يفعله أهل اللؤم والحمق والجهل .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا

وَأَذَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَدِيَ أَبِي كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَاهُ نُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيُظْمَرِينَ قُلَيْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصَرِّهِنَّ إِلَىكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦٤﴾

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٣٦٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلا يُضْعِفُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦٦﴾ قَوْلٌ مُعْتَرِفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٣٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٨﴾

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾

* في هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا

بُطَلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾ ﴿٣٦٣﴾ حثٌّ على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لتلايض العمل سدى .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

قد تضمنت هاتان الآيتان أموراً عظيمة:

- **منها:** الحث على الإنفاق، وبيان الأسباب الموجبة لذلك.
- **ومنها:** وجوب الزكاة من التقدين وعروض التجارة كلها، لأنها داخلية في قوله: ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾.
- **ومنها:** وجوب الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والمعادن.
- **ومنها:** أن الزكاة على من له الزرع والثمر لا على صاحب الأرض،

وَمَثَلِ الْيَرُبِ يُنْفِقُونَ ءَمْرًا لَمْ يَنْفِقُوا مِنْهُ وَمِمَّا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَكِيمٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ نُوْفِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَنْفِقْ مِنْهُ وَمَنْ يَنْفِقْ مِنْهُ فَتَقْدَرُ أَوْفَى حَيْثُ كَيْفًا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَنْبِيَاءِ

لقوله تعالى: ﴿ أَخْرَجْنَا لَكُمْ ﴾ فمن أخرجت له وجبت عليه.

- **ومنها:** أن الأموال المعدة للاقتناء من العقارات والأواني ونحوها ليس فيها زكاة، وكذلك الديون والغصوب ونحوهما إذا كانت مجهولة، أو عند من لا يقدر ربحها على استخراجها منه، ليس فيها زكاة، لأن الله أوجب النفقة من الأموال التي يحصل فيها النماء الخارج من الأرض، وأموال التجارة مواساة من نائها، وأما الأموال التي غير معدة لذلك ولا مقدور عليها فليس فيها هذا المعنى.

- **ومنها:** أن الرديء يُنهي عن إخراجه، ولا يجزئ في الزكاة.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)

فائدة لطيفة :

* وهو أن إخفاءها خير من إظهارها إذا أعطيت الفقير، فأما إذا صرفت في مشروع خيري لم يكن في الآية ما يدل على فضيلة إخفائها، بل هنا قواعد الشرع تدل على مراعاة المصلحة، فربما يكون الإظهار خيراً لحصول الأسوة والافتداء، وتنشيط النفوس على أعمال الخير .

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧١﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٢﴾ هَلْ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى مَهْدًى وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقُ عَنْهُ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ وَهَّابٌ غَنِيٌّ ﴿٢٧٣﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٢٧٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْأَنْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٦﴾

* ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ في هذا أن الصدقات يجتمع فيها امران:

- حصول الخير وهو كثرة الحسنات والثواب والأجر .
- ودفع الشر والبلاء الدنيوي والأخروي بتكفير السيئات .

* في هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيراً من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار .

* ودل قوله: ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجاً وغيره أحوج منه .

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٦﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُورٌ وَأَمْوَالُكُمْ لَا تُنْقِضُونَ وَلَا تَنْظِمُونَ ﴿٢٧٧﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَظَنُّوا إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٨﴾ وَأَتَقُوا نُومًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

* دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

* ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ في هذا أن الربا موجب لدخول النار، والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان، وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها وانتفاء موانعها، وليس فيها

حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الإيمان من النار، ومن استحقاق هذه الموبات لدخول النار إن لم يتب منها.

* ومفهوم الآية أن الله يجب من كان شكوراً على النعماء تائباً من المآثم والذنوب.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُورٌ وَأَمْوَالُكُمْ لَا تُنْقِضُونَ وَلَا تَنْظِمُونَ ﴿٢٧٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَظَنُّوا إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٨﴾﴾

* في هذه الآية بيان لحكمة الربا، وأنه يتضمن الظلم للمحتاجين بأخذ الزيادة وتضاعف الربا عليهم وهو واجب إنظارهم .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيَّحَسَّ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيَّحَسَّ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِعَ لَهُ فليُمْلِعْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونُوا تِجَارَةً حَاضِرَةً لِشَاهِدَيْهَا فَلْيُدْرِكْهَا مِن قَبْلِهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ

الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِعَ لَهُ فليُمْلِعْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونُوا تِجَارَةً حَاضِرَةً لِشَاهِدَيْهَا فَلْيُدْرِكْهَا مِن قَبْلِهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ

تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ سُبُوغٌ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾

قد اشتملت على أحكام عظيمة جلييلة المنفعة والمقدار:

* أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلمٍ وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكراً أحكامها، وذلك يدل على الجواز .

* **الثاني والثالث** أنه لا بد للسلم من أجل، وأنه لا بد أن يكون معيناً معلوماً فلا يصح حالاً، ولا إلى أجل مجهول .

* **الرابع:** الأمر بكتابة جميع عقود المدائنات إما وجوباً، وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم.

* **الخامس:** أمر الكاتب أن يكتب .

* **السادس:** أن يكون عدلاً في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته .

* **السابع:** أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقراءة أو صداقة أو غير ذلك .

* **الثامن:** أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثيق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ .

* **التاسع:** أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا .

* **العاشر:** قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ أي: لا يمتنع من من الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتدائنين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم .

* **الحادي عشر:** أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق .

* **الثاني عشر:** أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين .

- * **الثالث عشر:** أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً .
- * **الرابع عشر:** أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجهه ومضمونه، وهو ما أقر به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا .
- * **الخامس عشر:** أن من عليه حقا من الحقوق التي البينة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته .
- * **السادس عشر:** أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس وينقص شيئاً من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولو احقه .
- * **السابع عشر:** أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء والإقرار .
- * **الثامن عشر:** أنه يلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله ﴿ **بِالْعَدْلِ** ﴾ .
- * **التاسع عشر:** أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق .
- * **العشرون:** ثبوت الولاية في الأموال .
- * **الحادي والعشرون:** أن الحق يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لا على وليهم .
- * **الثاني والعشرون:** أن إقرار الصغير والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئاً

لطفاً بهم ورحمة، خوفاً من تلاف أموالهم.

* **الثالث والعشرون:** صحة تصرف الولي في مال من ذكر.

* **الرابع والعشرون:** فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتدائنون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع.

* **الخامس والعشرون:** أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم.

* **السادس والعشرون:** أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين. نعم؛ إن كان المتصرف ولي يتيماً أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجباً.

* **السابع والعشرون:** أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان، أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضاً أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي.

* **الثامن والعشرون:** أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل.

* **التاسع والعشرون:** أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال: إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات، والله أعلم.

* **الثلاثون:** أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ والعبد البالغ من رجالنا.

- * **الحادي والثلاثون:** أن شهادة الكفار ذكورا كانوا أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل.
- * **الثاني والثلاثون:** فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها.
- * **الثالث والثلاثون:** أن من نسي شهادته ثم ذكَّرها فذكر، فشهادته مقبولة لقوله: ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ .
- * **الرابع والثلاثون:** يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،
- * **الخامس والثلاثون:** أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة وهو غير معذور، ولا يجوز له أن يأبى لقوله: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ .
- * **السادس والثلاثون:** أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء.
- * **السابع والثلاثون:** النهي عن السامة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود.
- * **الثامن والثلاثون:** بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والريب والتنازع والتشاجر.
- * **التاسع والثلاثون:** يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجوز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين.

* الأربعون: قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة.

* الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشهاد لقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

* الثاني والأربعون: النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه.

* الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك، هذا على جعل قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ مبنياً للمجهول، وأما على جعلها مبنياً للفاعل ففيه نهي الشاهد والكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقة ونحو ذلك.

* وهذان هما الرابع والأربعون والخامس والأربعون والسادس والأربعون أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: ﴿وَإِنْ تَفَعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

* السابع والأربعون: أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ ولم يقل: فأنتم فاسقون أو فساق.

* الثامن والأربعون - وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه - : اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

* **التاسع والأربعون:** أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته.

* **الخمسون:** يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى.

فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، والله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَيُودِ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِاثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣)

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَيُودِ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِاثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣)

﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَنْ يَبْدُ وَءَامِنًا أَنْفُسِكُمْ أَنْ يُخْفَوُكُمْ بِمَا سَبَبْتُمْ بِهِ، وَاللَّهُ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٨٤)

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، إِنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥)

﴿ اللَّهُ نَفْسًا إِنْشَأَهَا مِنْ نَسِيبَاتٍ أَوْ أخطأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا أَلْقَاكَ لَنَا بِهٖ، وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَاصْرُفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦)

* دل هذا على أن الرهن غير المقبوضة

لا يحصل منها التوثق، ودل أيضا على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنت به، كان القول قول المرتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثق صاحب الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن

التوثق جاز حضرا وسفرا، وإنما نص الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يجب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه.

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُنُوبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَاقْرَءُوا الَّذِي أُوتِيتُمْ مِنْ كِتَابَتِهِ وَلَوْ أَنْتُمْ رِيءَاءُ رَبِّهِمْ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِيٌّ بِقَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٨٦﴾ اللَّهُ مَا لِيَ السَّمَكَاتِ وَمَا لِيَ الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْخِفْهُوَ يُخَسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٧﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُنُوبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِإِطْلَاقَةِ لِنَابِهِ ؕ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ رُسُلَنَا وَاعْفُ رُسُلَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَاصْرِفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾ ﴾

* في قرن المؤمنين بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد شرف عظيم للمؤمنين، وفيه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشارك في الأمة في توجهه الخطاب الشرعي له وقيامه التام به وأنه فاق المؤمنين، بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِإِطْلَاقَةِ لِنَابِهِ ؕ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ رُسُلَنَا وَاعْفُ رُسُلَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَاصْرِفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾ ﴾ .

* في الإتيان بـ « كسب » في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب، وأتى بـ « اكتسب » في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه .

* ويؤخذ من هذا قاعدة التيسير، ونفي الحرج في أمور الدين كلها، وقاعدة العفو عند النسيان والخطأ في العبادات وفي حقوق الله تعالى، وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم وتوجيه الدم. وأما وجوب ضمان المتلفات خطأ أو



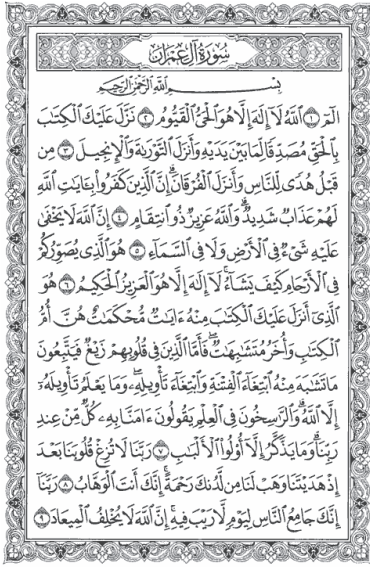
نسياناً في النفوس والأموال فإنه مرتب على الإيتلاف بغير الحق، وذلك شامل
لحالة الخطأ والنسيان والعمد .



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

﴿سورة آل عمران (مدنية)﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ وَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾



* في هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة.

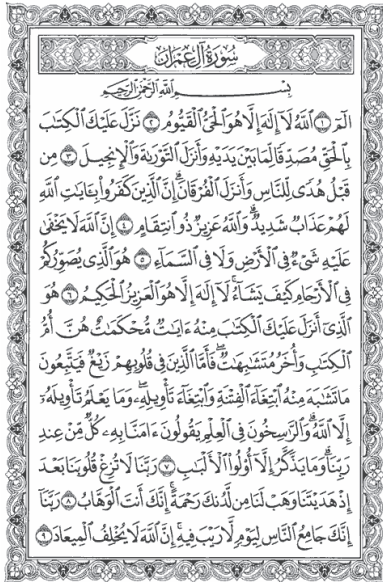
وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد:

- إحداهما: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه.
- الثانية: الرسوخ في العلم، وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً.
- الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

- الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون.
- الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.
- السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب.
- السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨)

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (٩)



* ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ هذه الآية تصلح

مثالاً للطريقة التي يتعين سلوكها في المشابهات، وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، وقد أخبر في آيات أخر الأسباب التي تزيغ قلوب أهل الانحراف أن ذلك بسبب كسبهم كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

زَاعُوا أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]،

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ﴿وَنَقَلْبُ أَعْدَتِهِمْ

وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۗ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فالعبد إذا تولى عن

ربه، ووالى عدوه، ورأى الحق فصدف عنه، ورأى الباطل فاختره، ولاه الله

ما تولى لنفسه، وأزاع قلبه عقوبة له في زيغته، وما ظلمه الله ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأمانة بالسوء .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٣﴾ كَذَابٌ عَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ يَذْقُونَهَا وَاللَّهُ سَدِيدٌ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ بِمَا كُفَرْتُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٦﴾ فَذَكَرْنَا لَكُمْ آيَاتِهِ فِي فِتْنَتَيْنِ فَتَقَاتُوا فِي تَقَاتِلِكُمْ سَبِيلَ اللَّهِ وَالْآخِرَىٰ كَأَفْوَءٍ يَرَوْنَهَا فَمَا يَهْمُهُمْ الْعَمَلُ إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٧﴾ ذُوقُوا النَّارَ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٨﴾ قُلْ أُوذِيكُمْ بِحَبْرٍ مِّنْ دَاكُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عَذَابَ الرَّبِّ وَجَنَّتْ بُحْرَىٰ مِنَ الْخَيْلِ وَالْخَنَازِيرِ فِيهَا مِنْ جُنْحٍ مُّطَهَّرٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٩﴾

المؤمن

* في هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة، وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود والنصارى، وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان.

﴿ ذُوقُوا النَّارَ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ ذُوقُوا النَّارَ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

* في هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين، بها وتزهد لأهل العقول النيرة بها، وتام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأثمار الجارية على حسب مرادهم، والأزواج المطهرة من كل قدر وذنس وعيب ظاهر وباطن،

مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما، واعرض على قلبك المفاضلة بينهما.

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨)

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ رَبَّنَا إِنَّتَ أَمِنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ الصَّادِقِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْتَفْضِينَ وَالْأَسْحَارَ ﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ إِسْلَمُوا وَمَا ائْتَمَفَ الَّذِينَ أُوفُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِعَاقِبَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ فَإِنْ حَاجَّكَ
فَقُلْ أَسَأَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ فَقَدْ أَسَأَلْتُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فَاسْمَاعِيلَ الْبَتَّاعِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ وَيَقْسُوا السَّيِّئِينَ
بَعْدَ حَقِّ وَيَقْسُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿

* في هذه الآية فضيلة العلم والعلماء لأن الله خصهم بالذكر من دون البشر، وقرن شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة، وفي ضمن ذلك تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأئمة والمتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف وعلو المكانة ما لا يقادر قدره .

* وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم وبقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم.

﴿ وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة: ﴾

- منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس.
- ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً.

- ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته.
- ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن تركيتهم وتعديلهم، وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦١)

أَزْتَرَىٰ الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحَاتِهِمْ مِّنَ الْمَكْتَبِ بِدَعْوَانِ إِيَّاكَ كَتَبَتْ
 اللَّهُ لِيحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُحْمَرٌ مِّنْهُمْ مَّعْرُوفٌ ﴿٦١﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ السَّارِ إِلَّا آيَاتِنَا مَعْدُودَاتٍ
 وَعَرَّهْمُ فِي دِيَارِهِمْ مَا كَانُوا يُفْتَرُونَ ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن
 تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٤﴾ تُولِيعُ الْبَيْلِ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِيعُ النَّهَارِ فِي الْبَيْلِ وَتَخْرِجُ الْعَيَّ مِنَ الْعَيْتِ
 وَتَخْرِجُ الْعَيْتَ مِنَ الْعَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٥﴾
 لَا يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَاتَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْعَصِيمُ ﴿٦٦﴾ قُلِ
 إِن تَتَّقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أُوتِي بُرُودٌ يَعْلَمُهَا اللَّهُ وَيَعْلَمُهَا
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾

* ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ

مِمَّن تَشَاءُ﴾ فيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقيصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل والله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله، لا يوجد سبب مستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)

* في هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقاتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين.

﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

* فيه إرشاد إلى تطهير القلوب، واستحضار علم الله كل وقت فيستحيي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١)

* هذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢)

* كأن في هذه الآية الكريمة بياناً وتفسيراً لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله

يَوْمَ يُحْصَى كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ أَصْلَفُكُمْ وَأَدْرَكَ لُؤْلُؤًا وَآلَ الْإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَيْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ إِلَّا لِرِجَالٍ وَآلِي سَمِيئَةٍ أَمْرًا وَمِنْ آيَاتِكِ الْعَجَايِبُ ﴿٣٥﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزَاتِهَا قَائِلًا نَذْرًا إِنَّ إِلَهًا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾

وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَهُ وَمَا عَمِرَانُ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ أُمْرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

يَوْمَ تَجُودُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْفَرًا وَمَاعَمَلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْلَأَنَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَمَامًا أَعْبَادًا وَيُحَدِّثُكَ اللَّهُ
نَفْسَهُ، وَاللَّهُ زَاهٍ وَبِالْبَسَادِ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكٰفِرِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَهُ
وَمَا عَمِرَانُ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِذْ قَالَتْ أُمْرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٠﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾

* دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما. ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبههم ونقتدي بهم.

* ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت

الولادة، وعلى أن للأُم تسمية الولد إذا لم يكره الأب.

* في هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافا لمن نفى ذلك.

* ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ فيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحراها .

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٥٠﴾

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٢﴾
وَمِمَّنْهُ الْأَسْكَنْتَ لِلْمَكْنَمَةِ وَالْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٥٣﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ تَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُمْ مُمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٥﴾
إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٦﴾

* ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ دل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمماً لها ومقرراً .

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥٦﴾

* ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ في هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره

عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾ [مریم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءَأَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءَأَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] .

فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٥٥﴾ ❀

* في هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم.

❀ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ❀

* ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم

من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله، ويزيدهم من فضله وكرمه .

❀ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ❀

* في هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة

شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق، وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فَمَاذَا

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَأَنْتَ بِنَا الرَّسُولَ فَاكُنْ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكَرِينَ
﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُنَزِّلُكَ بِرُوحِي إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ تَوْفِيقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّكَ مُرْجِعُهُمْ فَآخِذْهُم
بِذُنُوبِهِمْ مَا كُنْتَ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَأَعِدُّوا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنْ قَاصِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦٠﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا
نَذْهَبْ إِلَىٰ آيَاتِنَا أَنبَاءَ كُفْرٍ وَنِسَاءِ تَارِكِينَ كُفْرًا وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾



بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿يونس: ٣٢﴾ وهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَّ أَوْلَى إِلَى كَلِمَةِ سَوَامٍ بَيِّنَاتٍ وَيَسْتَكْمُرُ الْآتِبِدَاءُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ قَوْلُوا أَفْقُولُوا مُشْهُدًا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَذَاتَ ظُلُمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا آتَيْتِ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٦٧﴾

* اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه.

* وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ.

* وفيها دليل على أنه لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

* هذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرره تعالى ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وعلى أممكم بذلك، قال: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* وفي هذا إقامة الحجة والبرهان على من لم يؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الكتاب والأديان، وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلمهم الذين يزعمون أنهم أتباعهم حتى يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٢﴾

* دلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك.

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قَالَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ جَلًا لَيْسَتْ إِتْرِيَّةَ بَلْ إِلَىٰ مَا حَرَمْ إِتْرِيَّةَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْقُرْآنُ فَلَقَا قَائِمًا بِالْقُرْآنِ فَاتَّبَعُوهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ لِيُرْهِبَهُ خِيفَةً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوْلَيْتُمْ لِلسَّائِلِ لِلَّهِ يَكْفِيكُمْ إِسْرَارًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ لِيُنذِرَ مَقَامَ إِتْرِيَّةَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُومُ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ تَتَّخِذُهَا حُجْرًا وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَنِ الْعَمَلِ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَلَبُوا أَقْرَبًا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْ كَفَرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

﴿ فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ۞ .

* هذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ، وقيام الآيات
البيانات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بها أخبره به من الأمور
التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها .

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ۞ .

* أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد، وترك الشرك الذي
هو مدار السعادة، وبتركة حصول الشقاوة. وفي هذا دليل على أن اليهود
وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين .

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمِ
بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ۞ .

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿١٠١﴾
يتأها الذين آمنوا أنفقوا الله حق نقايبه ولا تموتن إلا وأنتم
مؤمنون ﴿١٠٠﴾ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا
بِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَارْكُزْ عَنَّا عَلَىٰ صَفَا حُفْرٍ مِّنَ
النَّارِ فَإِنَّكَ أَفْقَدُكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠٠﴾ ولئن كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالتعريف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴿١٠٠﴾
ولا تكفروا كالأولين كفروا واختلفوا من بعد ما جهر اليقين
وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿١٠٠﴾ يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم
فذكروا لئلا يكذبنكم عن كثرتكم كذبون ﴿١٠٠﴾ وأما الذين
أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴿١٠٠﴾ ذلك آيات
الله لتأملوها عليكم بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ﴿١٠٠﴾

* هذا فيه الحث على الاعتصام به، وأنه
السييل إلى السلامة والهداية .

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ۗ وَأَذْكُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ۞ .

* في هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه. وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠)

* ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ وفي هذا من دعوتهم بلطف الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان.

﴿ هَآتَيْتُمْ أَولَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩)

* ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩) وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا ضرركم لا يضررون إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدرتون على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فيستقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٠﴾
 مَثَل مَا يُحِبُّونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١١﴾ تَبَأْتِهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خِتَابًا
 وَدُوا مَا عَيَّرْتُمْ قَدَبَاتٍ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْرَبِهِمْ وَمَا تُخْفِي
 صُدُورُهُمْ أَعْبُرْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٢﴾
 هَآتَيْتُمْ أَولَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ
 الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ ضَبَّكَ
 سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصَبُوا وَتَشَقُّوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذَا عَدَّوْتُمْ مِنْ أَهْلِ
 تَبَوُّؤِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْبَيْتِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١٢)

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١١٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَضْحَكُوا مِنْكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِكُمُ الْيَقِينَةَ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُزَلَّاتِ ﴿١١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ نَصْرَ رَبِّكُمْ لَأَقْبِرُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا يَوْمَ تَكُونُ الْيَقِينَةُ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُزَلَّاتِ ﴿١١٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴿١١٦﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّ عَنْهُمْ فَيَقْبَلُوا لَمَّا يَتُوبُونَ ﴿١١٨﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ بِنَائِهَا الْيَقِينَةُ آمَنُوا لِأَنَّ كُفْرَ الْيَهُودِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَتَقْوَى اللَّهِ تَكْفِيلًا ﴿١٢١﴾ وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٣﴾

* في هذه الآية ونحوها وجوب التوكل، وأنه على حسب إيمان العبد يكون توكله، والتوكل : هو اعتماد العبد على ربه في حصول منافعه ودفع مضاره .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ ﴿١١٦﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٧﴾

* في هذا أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد، بل يعتمد على الله، وإنما الأسباب وتوافرها فيها طمأنينة للقلوب، وثبات على الخير .

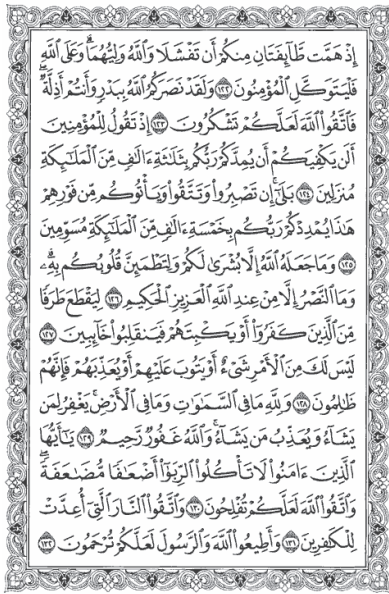
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١١٨)

* في هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحة في غيره. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى، ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له، ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا هو الضلال البعيد،

* وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق

سبب من العبد ولا وسيلة. ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال: ﴿ **أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ ليدل

ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه .



﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ ١١٩

* ﴿ **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق، وأن منهم من يغفر الله له ومنهم

من يعذبه، فلم يختمها باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف.

﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ ١٢٠ ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ ١٢١ ﴿ **وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ ١٢٢

* في قوله: ﴿ **أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً** ﴾ تنبيه على شدة شناعته بكثرته، وتنبيه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته أن الله منع منه لما فيه من الظلم. وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، فالزامة بما فوق ذلك

ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقي تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوى، والفلاح متوقف على التقوى، فهذا قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠).

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَرُوا وَاللَّهُ فَاسْتَغْفِرُوا لِدُنُوهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

* هذه الآيات الكريمة من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافاً للمرجئة،

ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١] فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسوله، وهنا قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٨﴾

* يحتمل أن الإشارة في قوله: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ للقرآن العظيم والذكر الحكيم أنه بيان للناس عموماً، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً.

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٤٢﴾

* ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يدل

ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضاً المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق.

﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ

فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نٰظِرُونَ ﴾ ﴿١٤٣﴾

* في هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٣٨﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نٰظِرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰٓ عَقْبَيْهِ فَلَٰنَ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَلْمِزُونَ كَثِيرًا وَّهُوَ لَمَّا أَصَابَهُمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكْبَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصّٰدِقِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِنرَاقِنَا فِي أَمْرِنَا وَقَبَلْتَ أَدْعَانَا وَأَصْرَبْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الْبِرِّ إِذْ هُمْ مُقَامُونَ ﴿١٤٧﴾ وَرَبُّنَا يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ

وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰٓ عَقْبَيْهِ فَلَٰنَ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿١٤٤﴾

* في هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يززعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقد رتب لو أنهم ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد

أطاعوه فطاعة غير تامة.

- **ومنها:** أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

- **ومنها:** ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** فكيف بغيره!؟

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ (١١٠)

* في ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة.

* وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

وَمَا أَصْبَحُوا بِيَوْمِ الْتَمَعِانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَلِيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١٠﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا
 أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَيْفَ كَيْفُومُونَ ﴿١١١﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَقَدْ دَا
 لُوا أَطَاعُوا مَا قَالُوا فَأَدْرَاهُ أَفَلُ قَادِرُهُ وَعَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٣﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلْخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ فُوتِ اللَّهُ وَفَضْلِهِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أُولَئِكَ أَجْرُهُمْ عِظِيمٌ ﴿١١٦﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ الْبَشَرُ فَقَدْ أَجْمَعُوا كُفْرًا فَنَسُوهُ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١١٧﴾

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا
 لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ
 مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١١٧)

* يستدل بهذه الآية على قاعدة «ارتكاب أخف المفسدين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين للعجز عن أعلاهما»؛

لأن المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان .

* وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ ﴿١٧١﴾ يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

* في ضمنها تسليية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

* وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا .

فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شَيْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ هُوَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ وَلَا يَحْزَنُوا الَّذِينَ يَسْتَبْشِرُونَ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَكُفْرًا بِالْإِسْمِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضِلُّ لَهُمْ كُنُوزَهُمْ أَنَّا نَمُوتُ أَوْ نَحْتَدِيهِمْ أَوْ نُفَصِّلُهُمْ إِنَّ مَأْوَئَهُمْ إِلَهُهُمْ وَهُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ ﴿١٧٣﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ الْكُفْرَيْنَ عَلَىٰ مَا أَسْرَفْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَمُوتُوا مِنَ الْمَمَاتِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَهْدِيَ قَوْمًا لَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْزِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَفْكَرَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧٤﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ سَخَطَوْا مَا يَبْخُلُونَ مَا يَدْخُلُونَ بِهِ رِجُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ وَبَرُّهُ أَسْمَوَاتٌ وَالْأَرْضِينَ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٥﴾

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ هُوَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

* في هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ شَرٌّ لِمَنْ ﴾

سَيَطُوفُونَ مَا بِجَلُوبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَيْرٌ ﴿١٨٠﴾

* تأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله. أخبر أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعمة، ليس ملكا للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبده كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، فمن تحقق أن ما بيده فضل من الله، لم يمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

* ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

* ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي، فقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ فإذا كان

خيراً بأعمالكم جميعها - ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات، والعقوبات على الشر - لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لَلْعَالَمِينَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَ الْبَيْتِ الْأَثَرِ مِنَ الرُّسُولِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ وَإِلَى اللَّهِ تَلْتَمِذُونَ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كُلُّ نَفْسٍ نَاقِصَةٌ نَاقِصَةٌ وَإِنَّمَا تُوَفَّقَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رُجِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ لَسْتُمْ بِلُؤْلُؤِ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ سِكِّيرٌ وَلَسْتُمْ مَعْرُونَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَتَىٰ كَثِيرًا مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَا فَتَوَّاهَا فَلَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ

ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

* ﴿وَقَتَلَهُمُ الْآلِيبِيَاءُ بِعَيْرٍ حَقٍّ﴾ هذا القيد يراد به أنهم تجرؤوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلا وضلالا، بل تمرداً وعناداً.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُتُ بِمَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْآلِيبِيَاءُ بِعَيْرٍ حَقٍّ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَ الْبَيْتِ الْإِسْلَامِ الْآلِيبِيُّ رَسُولٌ حَقٌّ بِأَيِّمَاتِنَا يُفْرِزَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي فَطَرْتُمْ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨١﴾ فَإِن كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٢﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِأَعْمَالِهَا يُحْشَرُ فَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٣﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٤﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٥﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٧﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٨﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٩﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٠﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩١﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٢﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٣﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٤﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٥﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٧﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٨﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩٩﴾ وَالَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَّا لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٠٠﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

* في هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: توفية الأعمال التامة، إنها يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

في إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

- **منها:** أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره.
- **ومنها:** أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريد بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﴿ **قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٢].
- **ومنها:** أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجؤون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: ﴿ **وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا** ﴾.

﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاؤُا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [١٨٨].

* دلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويشنى عليه بما فعله من الخير

واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي**

الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال:

﴿ **سَلِّمْ عَلَيَّ نَوْجٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴾ [٧١] **إِنَّا كَذَلِكَ**

وَأَعَدَّ اللَّهُ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ أَوْ ذُو الْأَكْبَابِ لَنَسِيئَتِهِ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَسُدُّهُ وَوَجْهًا ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَؤُا بِيهِ، فَمَنَّا
قَلِيلًا قَلِيلًا مَائِدَةً تَرُوتُ ﴿١٨٨﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَاؤُا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَالنَّهَارِ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُوهِهِمْ وَتَتَذَكَّرُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا تُسَبِّحُكَ قِيَامًا وَعَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْبِيرِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُدْعِي إِلَى الْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّتْ مَعَ الْآخِرِينَ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا نَحْنُ بِتَائِبِينَ أَلَيْسَ إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ الْعِبَادَ ﴿١٩٤﴾

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفات : ٧٩-٨٠]، وقد قال عباد الرحمن: ﴿وَجَعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] وهي من نعم الباري على عبده، ومننه
التي تحتاج إلى الشكر.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ
مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا
يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءِإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا
تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾﴾.

وَإِذْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءِإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾

* أبهم قوله: ﴿آيات﴾ ولم يقل: «على
المطلب الفلاني» إشارة لكثرتها وعمومها،
وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما
يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب
أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على
جميع المطالب الإلهية.

* ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
أي: ليستدلوا بها على المقصود منها،

ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا
بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً.

* ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب

النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم.

* ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ فيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

* ﴿ فَآمَنَّا ﴾ أي: أجبناه بمبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات .



سُورَةُ النِّسَاءِ

سورة النساء (مدنية).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

* في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات

والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات

من الأزواج، فينبههم وبينهن أقرب

نسب، وأشد اتصال، وأقرب علاقة.

﴿وَأَنْتُمْ أَيْلِنَمَى أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ

بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ

حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

* ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ فيه

تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي

قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له

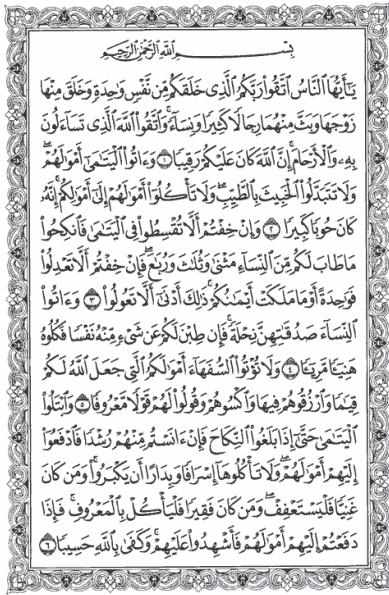
من الرزق في ماله، فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾.

* وفيه الولاية على اليتيم، لأن من لازم إيتاء اليتيم ماله ثبوت ولاية المؤتي على

ماله.

* وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه

وينمي، وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار.



﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ﴿٣﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ ﴾ وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَعَدَكُمْ بِهَا
زَوْجَهَا وَيَسِّرْ لَكُمْ أَسَانِيَكُمْ وَأَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَأَلْيَسْأَلُكُمْ اللَّهُ أَن تَكُونُوا رُقْيَاءً ۖ وَتَوَلَّوْا أَمْوَالَهُمْ
وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ بِالطَّلَبِ وَلَا تَكُونُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
كَانَ حُومًا كَبِيرًا ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ۖ وَءَاتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنَيْئًا مَرِيئًا ۚ وَلَا تَكُونُوا الشُّفَعَاءَ أَمْوَالِكُمْ أَلَىٰ جَسَدِ اللَّهِ لَكُمْ
فِيهَا وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُرُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّقُوا
الَّذِي خَشِيَ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ الْكِفَاحِ فَإِنَّ الْأُنثَىَٰ وَنَهْمَ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ
عَنِيًّا فَلْيَسْتَعِيفْ ۚ وَمَنْ كَانَ قَدِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۚ

* في هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى مَنْ يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره.

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ﴿٣﴾ في هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب -ولو كان مباحًا- أنه لا ينبغي له أن

يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد.

* وفيه أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التمليك.

* وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها - ولو بالتبرع - إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء غير ما طابت به.

* وفي قوله: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال: ﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣].



﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفَازًا كَرِيمًا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَوَعَدَ مِنْهَا
زَوْجَهُمْ نَوْسًا وَمِنْهَا رِجَالًا كَرِيمًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥﴾ وَأُولَ الَّذِينَ أَمْوَالُهُمْ
وَلَا تَنْبَغُوا الصَّالِحِينَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهَا
كَانَ حُجُومًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا
مَا طَلَبَ الْكُرْمَانَ إِلَيْهَا مِنْ يَدَيْكُمْ وَأُولَ الَّذِينَ أَمْوَالُهُمْ
فَوَيْدَةُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَذَى الْاَلَامُوا ﴿٧﴾ وَأُولَ الَّذِينَ
الْيَسَاءُ صَدَقْتُمْ بِعَهْدِكُمْ وَإِنْ طَبَعَ لَكُمْ مِنَ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُونُوا
هَيِّئًا مَرْيُومًا ﴿٨﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٩﴾ وَأَتْلُوا
الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
عَرِيًّا فَلْيَسْتَعِيفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١٠﴾



* في إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف، وعدم التعريض للأخطار.

* وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾.

* وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يديه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

﴿٨﴾

* يؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين» أو كما قال.

* وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علما منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك - لكونه

حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك - فليقولوا لهم ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يردوهم ردًا جميلاً، بقول حسن غير فاحش ولا قبيح.

﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

لِيَتَّكِلَ الْيَتَامَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأْزَقُهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١١﴾ وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١١﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْفِئَةِ لِلنِّسَاءِ فَوَقَّ أَنْتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِخْوَةً وَوَالِدَاتُكُمْ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ لَكُمْ فَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ أَوْلَىٰ بِلَدْنِكُمْ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ فَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ أَوْلَىٰ بِلَدْنِكُمْ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ فَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ أَوْلَىٰ بِلَدْنِكُمْ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ فَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ أَوْلَىٰ بِلَدْنِكُمْ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ فَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ أَوْلَىٰ بِلَدْنِكُمْ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ

* هذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ

وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

* قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم عليهم.

* ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضها الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين. ومثل ذلك بنت الابن، مع بنات الابن اللاتي أنزل منها.

* وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط مَنْ دونهن من بنات الابن لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء، والله الحمد.

* وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط مَنْ دونهن من بنات الابن لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء، والله الحمد.

* ودل قوله: ﴿وَمِمَّا تَرَكَ﴾ أن الوارثين

يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم.

* ودل قوله: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ أن الإخوة الأشقاء يسقطون في المسألة المسماة بالحمازية. وهي: زوج، وأم، وإخوة لأم، وإخوة أشقاء. للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوة للأم الثلث، ويسقط الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الأشقاء لكان جمعا

لما فرَّق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصابات. وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر».

﴿وَأَكْبَرُ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَوْ جُزْءُ مَا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُن لَهَا وَلَةٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهَا وَلَةٌ فَلِلَّكُفْرِ أَرْبَعٌ مِمَّا تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصِيهِ رِثَتَهَا أَوْ تَرَكَ وَهِيَ الْكُفْرُ وَمِمَّا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرُ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْوَلَدُ فَلَهُنَّ الْفُتُورُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصِيهِمْ رِثَتَهُنَّ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَاللَّأَمْرَأَةِ وَلَهُ وَأَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَجِدْتُهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصَلُ بِهَا أَوْلَادِيْنَ غَيْرَ مِصْسَارِ وَصِيَّةِ قُرْبَى اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

* في ذلك دليل على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصاء الوارثين. ثم قوله تعالى: ﴿تِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ﴾ فالوصية للوارث بزيادة على حقه يدخل في هذا التعدي، مع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا وصية لوارث».

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْفَحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

* يؤخذ منها أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيراً لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر.

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِثِينَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِثْقَالَ عَلِيطَا ﴿٢١﴾ ﴾ .

* في هذه الآية دلالة على عدم تحريم كثرة المهر، مع أن الأفضل واللائق الاقتداء

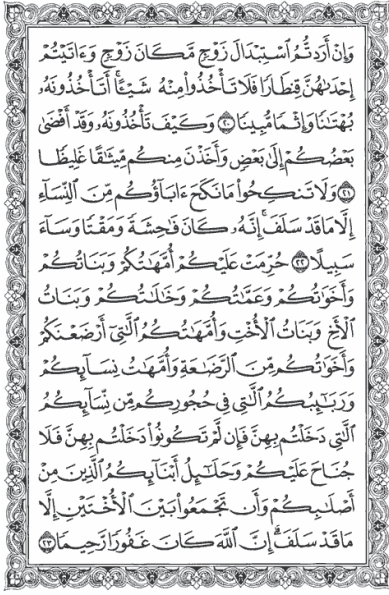
وَأَلَيْكَ يَا بِنْتُ الْفَرَجِ مَنْ نَسَايَكُم فَاسْتَشْهِدُوا عَلِيًّا
 أَرْبَعَةً فَمَنْ سَأَلَ عَنْ سَهْدِهَا فَاسْتَشْهِدُوا فِي السُّبُوتِ
 حَتَّى يَتَوَقَّفَ لَهَا الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهَا سَبِيلًا ﴿٢٠﴾
 وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٢١﴾
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ
 ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٢﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ السُّوءَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
 قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا أَلْبِسُ تَمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا
 أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لِأَجْلِ أَنْ تَرَوْا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَتَضَلَّوهُنَّ
 لِنَدَاهُنَّ بِبَعْضِ مَاءٍ اقْتَبَسُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْيَةٍ
 مِثْلَهُنَّ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسْنِ
 أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٤﴾

بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدل على عدم تحريمه، لكن قد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم، ثم قال: ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِثِينَا ﴿٢٠﴾ ﴾ فإن هذا لا يحل ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نَسَايَكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَاحُجَّاحَ عَلَيْكُمْ وَاخَالَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

* أما المحرمات بالرضاع، فقد ذكر الله منهن، الأم، والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبهه على أن صاحب

اللبن يكون أبا للمرتضع، فإذا ثبت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتها وأصولهم وفروعها، وقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط، لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين، كما بينت السنة .



- * **﴿وَرَبِّبْتِكُمُ اللَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ فَسَائِكُمُ اللَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾** قد قال الجمهور: إن قوله: **﴿اللَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾** قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، **ولكن للتقييد بذلك فائدتان:**
- **إحداهما:** فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت، فمن المستقبح إباحتها.
 - **والثانية:** فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

* فيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣].

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيْلِتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ يَفْحَشْنَ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَسَبَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُجَلَّ لَكُمْ تَاوَلَةٌ ذَلِكَ لِأَنَّ تَبَتُّغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيْلِتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ يَفْحَشْنَ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

* لعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

* تأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كيف شمل أموال

غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أحصر من قوله: (لا يأكل بعضكم مال بعض) و(لا يقتل بعضكم بعضاً) مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط.

* مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان

الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية.

* ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ وشرط التراضي - مع كونها تجارة - لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوماً، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيهه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده.

* وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

أَبُو بَكْرٍ

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

* ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها القيام بطاعة ربه وطاعة زوجها.


﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٣٥﴾

* ﴿ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ (الحكم) لأنه لا يصلح حكماً إلا من اتصف بتلك الصفات. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله ساهما حكيمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بسبب الرأى الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُنِسُوا الْمَسَاءَ فَلَاحِمْ مَاءً فَمَسَحُوا فَمَسَحُوا بِأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٣﴾

* يؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين، والتوق لطعام ونحوه، كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

وَالَّذِينَ يُبْفِثُونَ أَكْثَرَ رِيَاءِ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٥﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَقَعُوا مِنَّا الرَّعْدَ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَّا يُعْقَلُ دَرُّهُ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً نُضَعِفْهَا وَتُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يَذُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ بِهِمْ أَرْضًا وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُنِسُوا الْمَسَاءَ فَلَاحِمْ مَاءً فَمَسَحُوا فَمَسَحُوا بِأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٩﴾ الرَّحْمَنُ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا بِصِيَابَتِنَ الْكِتَابِ يَشْحَبُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ أَنْ تَصَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٥٠﴾

﴿وَأَنَّ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾. 

وَالَّذِينَ يُبْفِغُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٧﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَقَفُوا مِنَّا زِدْنَاهُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لِّدُونِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّ تِلْكَ حَسَنَةٌ يَصْنَعُهَا وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْكُمْ لِإِثْمِكُمْ بِشَهِيدٍ وَسَجْنَا بَكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥٠﴾ تَوَمَّيْذُ يَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ كُفَرُوا بِهَذَا الْأَرْضِ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٥١﴾ بِنَائِبِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥٢﴾ الرَّزَّازِيُّ الَّذِينَ أُوْتُوا صُصْبَانَةً الْكِتَابِ يَشْرَبُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْمِنُونَ أَنْ تَقْبَلُوا السَّيِّئِلَ ﴿٥٣﴾

* استدلل الفقهاء بقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا

مَاءً﴾ بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: (لم يجد) لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب.


* واستدل بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز، بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: ﴿فَلَمْ

تَجِدُوا مَاءً﴾ وهذا ماء. ونوزع في ذلك أنه ماء غير مطلق، وفي ذلك نظر.

* وفي الآية وجوب تعميم مسح الوجه واليدين.

* وأنه يجوز التيمم ولو لم يضق الوقت.

* وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب، والله أعلم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾. 

* في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ حث لهم، وأنهم ينبغي أن

يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَنُجِدْ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٥٨﴾
 أَمْرُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّنْ لَمَّا كَفَرَ فَأَكْثَرَ قَوْمٌ مِّنَ النَّاسِ بَقِيْرًا ﴿٥٩﴾
 يَحْكُمُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
 آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَّا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦٠﴾
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي هُمْ فِيهَا كَانُوا ﴿٦١﴾
 إِذْ الَّذِينَ أُوتُوا آيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيْهِمْ نَأْتِيهِمْ كَمَا قَبَّحْتُمُ
 جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَتَذَوَّرُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا
 أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِلُونَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
 أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
 تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
 إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ .

* في قوله: ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدي لغير المؤمنين، ووكيله بمنزلته؛ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ .

* أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك

بامثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء، والحكام، والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم وديناهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة الله ورغبة فيما عنده ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

* قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليها مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ ﴿٦٣﴾

* في هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سرًا، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ بَرَكَةٍ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ وَأَلْمَنَّا بِأَيْدِيهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا الرُّسُولَ وَرَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٤﴾ فَكَتَبْنَا إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ فُجُورَهُمْ لِيَخْلِفُونَكَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْتُمْ إِلَّا لِيُحْشَنَّا وَإِنِّي خِفْتُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَخِيفْتُمْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٦٥﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٧﴾

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٦٤﴾

* في هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه

عن الله، وفيما يأمر به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً.

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان - إن لم يعنه الله - أن يطيع الرسول.

* وهذا المجيء إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴾ ﴿٦٦﴾

* في هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ

شَهِيدًا ﴾ (٧٢)

وَلَوْ أَنَّ كَتَبَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا فَفَعَلُوا أَوْ خُذُوا مِنْ يَدَيْكُمْ مَا قَبَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْبًا لِلَّهِ وَالْعَالَمِينَ وَأَشَدُّ تَنْبِيهًا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا لَأْتَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ يَتَذَكَّرُ بِهِ نَبَأَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَالَمِيهِمْ مَنْ يُكَلِّمُ الْوَالِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٥﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٦﴾ بِنَائِبِهَا الذِّرْتِ ؕ أَمَّنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ يَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٠﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٣﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٤﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٥﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٦﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٧﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٨﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٨٩﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٩٠﴾

* ﴿ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد

في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح. وقيل معناه: ليطئن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين:

- أحدهما: قوله: ﴿ مِنْكُمْ ﴾ والخطاب للمؤمنين.

- والثاني: قوله في آخر الآية: ﴿ كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ فإن

الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا

أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦)

في ضمن ذلك عدة فوائد:

- منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولو ازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته.

- ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤].

- ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلهذا قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

وَمَا كُرُوا لِقَاتِلِي اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلِيَاءُ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَإِنَّا لَنَكْفُرُ بِكُفْرَانِكَ نَبِيِّنَا وَأُولِيئِكَ سَبِيلُ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى لَأْتِيَنَّكُمْ قُلْ وَآخِرَةٌ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْتِمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَبِينَ وَإِن تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَهَلْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ تَأْتِي صَابِقُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمِنَ آسَابِكُ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ رَسُولًا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

* في ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامها وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر، والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك. وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سبباً لشر

يحدث، هم ولا ما جاؤوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٨٠﴾

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَيُؤْمِنُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي تَوَكَّلَ مِنْ عِنْدِ عَدُوِّ اللَّهِ لَوْ جَاءَهُمْ فِيهِ أُخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَتَوَرَّدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَالَّذِي الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ رَحْمَتَهُ لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا فَتَقَبَّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَئِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْتُفَ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسْمَاءِ وَأَشَدُّ تَنكِيحًا مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهَا نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهَا كِذْبٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَإِذَا حُجِّبْتُمْ بِسَحَابَةٍ فَحَبُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

* في هذا عصمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلو لا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ويمدح على ذلك.

﴿وَيُؤْمِنُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾

* في قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي

تَقُولُ﴾ دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي .

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَتَوَرَّدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَالَّذِي الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٢﴾

* في هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يؤول مَنْ هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.

* وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل

قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدِّم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ (٨٥).

* في هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان.

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦).

* يؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:
- أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً.

مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۗ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٥﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْغُرَّةَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَرَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ نَصْرٌ أَوْ الْخَوْفُ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَتَوَرَّدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَالْأُولَى الْأَثَمِ وَمِنْهُمْ لَعَلِمَةٌ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ طَوْنَهُ ۗ مِنْهُمْ وَتَوَلَّىٰ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ رِزْقَهُمْ وَرَحِمَهُمْ ۗ لَآتَبِعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٧﴾ فَتَلَبَّىٰ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلُ إِلَّا لَنَفْسِكَ وَخَرِصَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْتُفَ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٨﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٩﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٩٠﴾

- **الثاني:** ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو (أحسن) الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. ويستثنى من عموم الآية الكريمة من حيًّا بحال غير مأمور بها، كـ (على مشغول بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصل ونحو ذلك) فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يُحيًّا، ولا تُرد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

* في قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾
 * ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾
 [النساء: ١٢٢] إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل أعلاها. فكل ما قيل في العقائد [والعلوم] والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقًا.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨) ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٨٩)

* ﴿فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده.
 * ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: في أي وقت وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء. والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾﴾.

وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ جُزَاءً يُبَدَّلُ فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ الْفَنَاحَ إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ اللَّهُ عَزِيزًا ذَكْرًا أَوْ أَنْثَىٰ، حُرًّا أَوْ عَبْدًا، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، عَاقِلًا أَوْ مُجَنُونًا، مُسَلِّمًا أَوْ كَافِرًا، كَمَا يَفِيدُهُ لَفْظُ (مَنْ) الدَّالَّةُ عَلَى

* ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في هذا الإخبار بشدة تحريمه، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصا عظيما، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك.

* ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ سواء كان القاتل ذكرا أو أنثى، حرا أو عبدا، صغيرا أو كبيرا، عاقلا أو مجنونا، مسلما أو كافرا، كما يفيد لفظ (مَنْ) الدالة على

العموم وهذا من أسرار الإتيان بـ (مَنْ) في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله (مَنْ)، وسواء كان المقتول ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، كما يفيد التوكيد في سياق الشرط، فإن على القاتل ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾.

* الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه

لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير تخلص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح.

* ﴿لَا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ وفي ذلك حث لهم على العفو لأن الله سهاها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آتَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤).

وما كان للمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبته مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبته مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثق فدية مسلمة إلى أهله وتحريم رقبته مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وصكات الله عليكم أحكيماً ﴿٩٤﴾ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنته وأعد الله له عذاباً عظيماً ﴿٩٥﴾ يتأيتها الذين ءامنوا إذا ضربتكم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فبعد الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن آتاكم فمناجزة ﴿٩٦﴾ فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴿٩٧﴾

* في هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيباً للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها.

* ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد

استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوداً من القتل وخوفاً على نفسه، فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والثبوت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه،

فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَبِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ وَقَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَعَفُوهُ وَرَحْمَتُهُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٩﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَمْ ذِكْرُ الْمَوْتِ فَقَدْ وَقَعَهُ إِجْرُهُ وَعَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَلْزَمْتُمْ كَانُوا الْقَوْمَ الْأَعْمَى ﴿٢٣﴾

* في الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر.

* وفي الآية دليل على أن كل من توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ (التوفي) فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك لم يكن متوفياً.

* وفيه الإيذان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحلّه.

* وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة، وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمل على الوجه اللائق الذي ينبغي، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم.

* وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى

﴿الْأَعْرَجَ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١]، وقال في عموم الأوامر: ﴿فَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل، لقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ .

* وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١)

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الْقُرْبَى وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْمُتَلَبِّكَةَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ قَالُوا لِمَ كُنَّا مَسْخُوعِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا سَعَوْا فَهَارُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَسَخَّرْتُمُ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٠٤﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَلَغَ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا أَمْكِرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأُولَئِكَ أَلْمُوتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٧﴾

* ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في السفر، وظاهر الآية أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، فلم يجزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره لا يناسب حاله التخفيف.

* ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ولم يقل: أن تقصروا الصلاة؛ فيه فائدتان:

- إحداهما: أنه لو قال: أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة

لأجزاء، فإتيانه بقوله: ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

- **الثانية:** أن ﴿مِنَ﴾ تفيد التبعض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضة لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران، وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيَّتِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١١٣﴾﴾

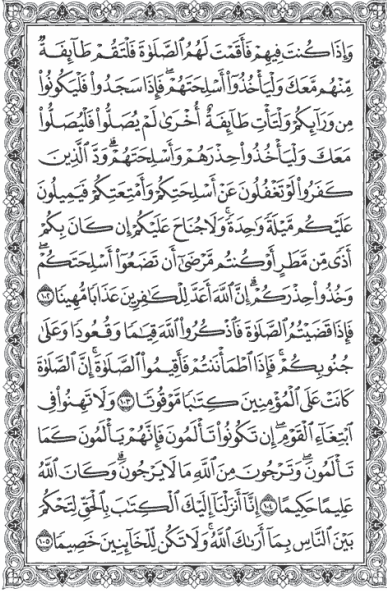
هذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:

- **أحدهما:** أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء، وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى.
- **والثاني:** أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيَّتِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١١٣﴾

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْعُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوفًا ﴿١١٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوْمَ إِنْ تَكُفَرُوا تَأْتِي السُّيُوفُ فَانْتَهُرُوا النَّارَ كَمَا تَأْتِي السُّيُوفُ وَتَنْجُوتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١١٦﴾

الأفعال المبطله في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا



تعارض بين واجب ومستحب،
فلولا وجوب الجماعة لم تترك
هذه الأمور اللازمة لأجلها.

* وتدل الآية الكريمة على أن الأولى
والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو
تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به
لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل
اجتماع كلمة المسلمين، واتفاقهم،
وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك
أوقع هيبة في قلوب أعدائهم

* ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وِرَائِكُمْ﴾ يدل على أن هذه الطائفة تكمل
جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم
معه، فأخبر عن مصاحبتهم له، ثم أضاف الفعل بعد إيلهم دون الرسول،
فدل ذلك على ما ذكرناه.

* قوله: ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ دليل على أن
الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام
حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار
الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٣﴾

وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهَا فَاقْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقَرُّ عُنُقُهُمْ
وَيَنْهَمُوا مَعَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْيَأْتِكُمْ عُنُقُهُمْ أُخْرَىٰ لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا
مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِي
كَرِهُوا وَلْيَتَفَرَّقُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُمْ قِيَمَةً وَحِدَةً وَالْجُنَاحُ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ
أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضِينَ أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتَكُمْ
وَتَخْدُوا أَحَدُكُمْ بِأَنَّهُ أَخَذَ لَكُمْ فَيْرِينَ عَذَابًا مُمِيتًا ﴿١٣﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ
جُوبِكُمْ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٣﴾ وَلَا تَهْمُؤْا فِي
أَيْتِهَا الْقُعودِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهَا لَمَنْ تَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَيَسْجُدُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾ إِنْ آتَا زُلْفًا لِيَكُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَتَحَكَّمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١٣﴾

* أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة
الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع
أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت
صلاة الخوف بذلك لفوائد:

- منها: أن القلب صلاحه وفلاحه
وسعادته بالإجابة إلى الله تعالى في
المحبة وامتلاء القلب من ذكره
والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به
هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها
أنها صلة بين العبد وبين ربه.

- ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها
الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف، لا تحصل فيها
هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها
بالذكر بعدها.

- ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا
ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه
من أعظم مقويات القلب.

- ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء،

كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]، فأمر بالإكثار منه في هذه

الحال، إلى غير ذلك من الحكم.

* ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١٠٣) أي: مفروضا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

* ودل قوله: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على أن الصلاة ميزان الإيثار، وعلى حسب إيثان العبد تكون صلاته وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة - أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن كانوا يعاقبون عليها وعلى سائر الأحكام في الآخرة.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ

خَصِيمًا﴾ (١٠٥).

* في هذا دليل على عصمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل لقوله: ﴿بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ ولم يقل: بما رأيته. ورتب أيضا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب.

* ﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥)

في هذا دليل على تحريم الخصومة في

باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية. ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم.

وَأَلْكَتْ فِيهِمْ فَاقْتَدَتْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَاتَّقُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ فَمَكَرُوا بِهَا وَإِسْلِحْتَهُمْ فَلَمَّا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زَاكِرِينَ وَأَتَايَ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلَا يُخِذُوا بِحُزْنِهِمْ وَاسْلِخْتَهُمُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَاللَّذِينَ كَفَرُوا لَيُصْلَحُنَّ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ وَإِسْلِحْ كُرُومًا مِيعَاتِ الَّذِينَ يُكْفَرُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَقْبَلُوا الصَّلَاةَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا وَلَا تَهْتَفُوا بِآيَاتِهِ الْقَوْمُ إِن تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَدَّوِّنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجَحُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجَحُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾

﴿ هَتَانَتْهُمْ هَتُؤُلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (١٠٩) ﴿

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ وَلَا تُجَدِّدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ مَنْ كَانَ
خَوَاتِمًا كَيْمًا ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَغْفِرُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ هَتَانَتْهُمْ هَتُؤُلَاءَ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يظَلِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا، ثُمَّ يَرْمِ بِهِ تَرِبَةً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
﴿ وَلَا تَلْمِزْ أُمَّةٌ دِينًا آخَرَ، وَتَحْمِلْهُ، وَتَلْمِزْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ
أَنْ يَضُرُّوكَ وَمَا يُضَارُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿

* في هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالِح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها. فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله: ها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحِرمان والخيبة والخسران؟

وكذلك إذا دعت نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب - ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة، والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان.

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١) ﴿

* في هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحداً أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١) ﴿ أي: له العلم الكامل والحكمة التامة، ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب،

وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمانة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته؛ أنه سيغفر له ويوفقه للتوبة، وإن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافاً بنظر ربه، وتهاوناً بعقابه فإن هذا بعيد من التوفيق للتوبة.

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١١٢)

هذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب وموبقاتها، فإنه قد جمع عدة مفاصد:

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٢﴾ وَلَا تُجِدِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ أُنْفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ مَنْ كَانَتْ
خَوَافًا أَيْمَانًا ﴿١١٣﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُجِيبًا ﴿١١٤﴾ هَذَا نُسْرَةٌ هَذَا
جَدَلٌ لَمْ يَعْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١١٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوْءًا أَوْ يظَلِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿١١٨﴾ وَلَا تَقْضُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ رَهْمَتٌ ظَاهِرَةٌ مِّنْهُ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٩﴾

- كسب الخطيئة والإثم.
- ثم رمي من لم يفعلها بفعلها.
- ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه واتهام البريء.
- ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، وتقام على من لا يستحقها.
- ثم ما يترتب على ذلك أيضاً من كلام الناس في البريء، إلى غير ذلك من المفاصد التي نسأل الله على العافية منها ومن كل شر.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤)

* هذه الأشياء حينما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء. ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤).

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿١١٥﴾

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ جَوَّظَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَضَلَّعَ بَيِّنَاتٍ الْبَاطِنِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَتَيْتَهُ مَرْصَاتٍ مِنَ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١١٥﴾ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٥﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَا نُرِيدُ ﴿١١٥﴾ لَمَّا قَالَ اللَّهُ لِصُلَيْمَانَ مَا نَبَأُكَ قَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي قَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ لِكَيْ تَتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَهْمَاءُ لَا يَنْصُرُونَ لَكُمْ شَيْئًا فَذَرُوا آلِهَتَكُمُ الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَهْمَاءُ لَا يَنْصُرُونَ لَكُمْ شَيْئًا فَذَرُوا آلِهَتَكُمُ الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَهْمَاءُ لَا يَنْصُرُونَ لَكُمْ شَيْئًا فَذَرُوا آلِهَتَكُمُ الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾

* يدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهَمَّ بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليئه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كَذَلِكَ

لِنُصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

* وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ. ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و﴿ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرُونَ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمرُوا

به، فيتعيّن بنص الآية أن يكون معروفاً، ولا شيء بعد المعروف غير المنكر. وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكراً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطاً، أي: عدلاً خياراً ليكونوا شهداء على الناس، أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَنزَعْنَاهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] يفهم منها أن ما لم يتنازعا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقاً للكتاب والسنة فلا يكون مخالفاً. فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة .

وَإِنْ أَمْرٌ أَتَىٰ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسَ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَإِنْ تَسَطَّعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَمَا كُفَرْتُمْ وَإِنْ يُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا فَعِنَ اللَّهُ كُفْرًا مِنْ سَعْيِهِمَا وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا كَاسِمًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ وَكَيْلًا ۝ إِنْ نَبَأْتُكُمُ الْبُخْرَىٰ أَنَّهَا النَّاسُ وَيَأْتِيهَا سَحَابٌ مَوْبِقٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرٌ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ قَوَابِلَ الدُّنْيَا فَعِنَّا اللَّهُ قَوَابِلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

﴿وَإِنْ أَمْرٌ أَتَىٰ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسَ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ١٢٨ .

* ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه

خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة

والاتصاف بصفة السماح. وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحل حراماً أو حرم حلالاً، فإنه لا يكون صلحاً وإنما يكون جوراً.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٢﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾.

* في هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئاً إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسِطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰهٗ أَنْ تَعْدِلُوا ۗ وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

* ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ في هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرماً، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾.

* دلت الآية أنهم إن لم يزدادوا كفراً بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه

وَأَنَّ أُمَّرَأَةً حَاقَتْ مِنْ تَحْتِهَا نُشُورًا أَوْ إِغْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٢﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا عَلَىٰ كُلِّ الْمَثَلِ فَتَذَرُوهَا كَمَا لَمَعَتْهُ ۗ وَإِن تَصْلِحُوهَا أَوْ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣٣﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا فَعِنْدَ اللَّهِ لَعُنٌ سَعِيءٌ وَكَانَ اللَّهُ وَبِيعًا حَكِيمًا ﴿١٣٤﴾ وَيَلِيهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۗ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٥﴾ وَيَلِيهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٨﴾

من الكفران، فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت منهم الردة. وإذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة عاد الله له بالمغفرة.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِئْتُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٣٩).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوفًا فَرِيمِينَ﴾ بِالْقِسْطِ سُهُدَةً لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَقْدُلُوا وَلَئِن تَاوَبُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَادُوا كَفَرُوا لَوْ يَكُنِ اللَّهُ يُغَيِّرُهُمْ فَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِئْتُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ءَ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ءَ﴾

* في هذه الآية الترهيب العظيم من موالاتة الكافرين؛ وترك موالاتة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيثار يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ءَ

إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ءَ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠).

* ذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيثار بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، ففسد الإيثار الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم. وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه

حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَنْ
يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

* في هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يُعَذِّب أحداً قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل الله عليه سلطاناً مبيناً.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرِهِمْ فَإِنَّ كُفْرَهُمْ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ قَالُوا
أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كُنَّا مِنَ الْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا
أَلَمْ نَسْتَعِذْ بِكَ عَلَيْكُمْ وَنَمْتَعُ بِمَا آتَيْتُمُنَا مِنْ اللَّهِ قَالُوا
بَلَىٰ كَذَبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا لِيُكَلِّمَ ۗ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ هَؤُلَاءِ لِآلِ
هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٧﴾ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

* تأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصاً في هذا المقام الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافياً كل

المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما، وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما،

ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

* وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم، بل قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٤٦) لأن هذه القاعدة الشريفة - لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد، إذا كان السياق في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج تحته تلك القضية وغيرها، ولثلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾.

* يدل مفهومها أنه يجب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

* وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنی، كما في هذه الآية لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك بأن أحالنا على معرفة

أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾ **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾

وَلَمْ يُعْرَفُوا بِزَيَاتِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلِيكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا ﴿١٤٨﴾ بِنَتَاكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ جَهَنَّمَ قَالَتْ إِنَّهُمُ الظَّالِمِينَ بَطْلَانٌ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ نَبَأُ بَيْنَتِكَ فَعَبَّوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٧﴾ وَرَفَعْنَا قُرْقُومَهُ أَطْوَرَ مِنْ يَمِينِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٤٦﴾

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَنْهَى بَعَثَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُونَ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَتَبَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَذَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا أَزْكُرِي اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١١٥﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَلَبَسَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَمَثَّلُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَفْئِدَةُ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾

* يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم، والأخبار الصادقة، ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا عدة فوائد:

- منها: أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجسم الغفير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد.

- ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا، ويوافق بعضهم بعضا.
- ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبر المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين، ولا بالملوك الظالمين.
- ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء

بهديهم، واستنانا بسنتهم، ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقاً لقوله:
﴿ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات: ٧٩]، ﴿ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصفات:
١٠٩] ﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الصفات: ١٢٠] ﴿ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصفات:
١٣٠، ١٣١] فكل محسن له من
الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه، والرسول خصوصاً هؤلاء في
المرتبة العليا من الإحسان .

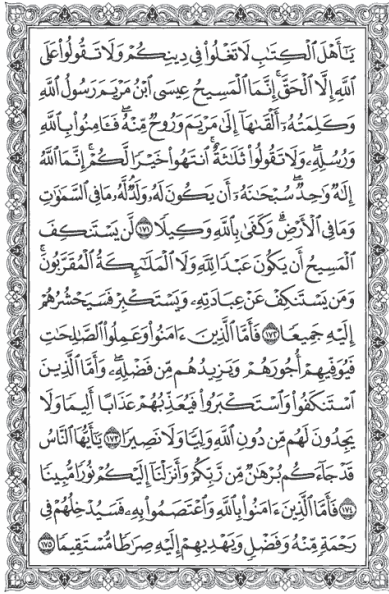
﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا
حَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧١) .

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَالْمُتَّبِعِ الْقَدِيمِ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا حَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ
إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَكْفِرَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا التَّلْبِيكَةُ الْمُفْرَقُونَ
وَمَنْ يَسْتَكْفِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْفِرُ بِرَحْمَةِ خَيْرٍ
إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ءَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَكْفَرُوا وَسْتَكْفَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (١٧٠)

* ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهذا
الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين
منهي عنهما، وهما قول الكذب على
الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته
وأفعاله وشرعه ورساله، والثالث:
مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (١٧٠) فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (١٧٠)

* في قوله : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث



كان من ربكم الذي رباكم التربية
 الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي
 يحمد عليها ويشكر أن أوصل إليكم
 البينات، ليهديكم بها إلى الصراط
 المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (١٧٤) وهو
 هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل
 على علوم الأولين والآخرين،
 والأخبار الصادقة النافعة، والأمر
 بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن

كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن
 لم يقتبسوا من خيرِه.



سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿سورة المائدة (مدنية)﴾.

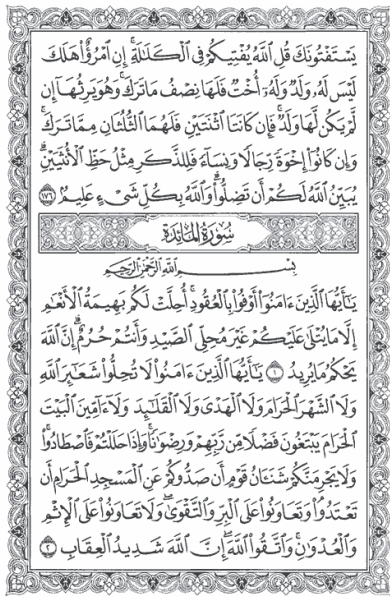
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّنُ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي

الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

* يستدل بهذه الآية أن الأصل في العقود والشروط الإباحة، وأنها تنعقد بها دل عليها من قول أو فعل لإطلاقها .

* واستدل بعض الصحابة بهذه الآية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تذبح ..

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ



وَلَا ءَايِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

* ﴿وَلَا ءَايِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ التخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه - يدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِمِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْسِيَّتُهُ وَالذَّمُّ وَاللَّعْنَةُ وَالْمُنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِقَابِ اللَّهِ بِهِ
وَالنَّخْلَةُ وَالْمَوْجُودَةُ وَالْمُرْتَدِيَّةُ وَالطَّبِيخَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُكِرَ عَلَى النَّصْبِ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْوَاجِ كَمَا كُفِرْتُمْ فِي الْيَوْمِ نَبِيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ كَلِمَاتُ الْكُرْبِيِّ كَمَا أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ
بِعَمِّي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ
غَيْرِ مُتَعَلِّفٍ لِأَهْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ يَسْتَأْذِنُ مَاذَا
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلَّبِينَ نَعْتَمُونَهُنَّ وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُ كُفْرٍ لَهُمْ وَالْمَخْصَصَاتُ مِنَ الْمُؤْتَبَاتِ وَالْمَخْصَصَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ الْأُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّجِدِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦﴾

﴿يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيْبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ
نَعْتَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

* دلت الآية بمفهومها على تحريم
الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى:
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيْبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ودلت هذه

الآية على أمور:

- **أحدها:** لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال،
وأباح لهم ما لم يذكره مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب،
والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه.
- **الثاني:** أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل
إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ
فِيهِ بِالْحَكَادِ يُظْلَمِ نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: أمسك من الصيد
لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله
أن يكون أمسكه على نفسه.
- **الثالث:** اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿مِنَ
الْجَوَارِحِ﴾ مع ما تقدم من تحريم المنخقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو
قتله بثقله لم ييح [هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنبيائها أو
مخالبيها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواكب أي: المحصلات للصيد

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلُهُ وَالذَّمَّ وَالنَّهْرَ الْحَرَامَ وَمَا أَهَلَ لِقَابِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْتَهَى وَالْمُؤْمِدَةَ وَالْمُرْدِيَّةَ وَالطَّيْحَةَ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذِخْرُ عَلَى النَّصْبِ أَنْ تَسْتَقِيمُوا
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا الْيَوْمَ نَبِّئُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ كُنْتُ لَكُمْ دِينًا وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ دِينًا
عَمِّي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ
غَيْرِ مَمْتَلِكٍ لِيَأْمُرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
أَحَلَّ لِهِنَّ قُلُوبُ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمُ مِنَ الْحَرَامِ
مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَ هُنَّ وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَعَلُوا أَمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ
وَأَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَوْا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠١﴾
الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الْكَيْبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُرُوا الْكَيْبَاتِ حُلَّ لَكُمْ
وَطَعَامَ كُرْجُلٍ لِهِنَّ وَالْمَخْصَصَاتِ مِنَ الْمُؤْتَبَاتِ وَالْمَخْصَصَاتِ
مِنَ الَّذِينَ أُرُوا الْكَيْبَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ وَلَا مُمْتَدِّئِينَ أَجْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمُنْزَلِينَ ﴿١٠٢﴾

والمدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة - والله أعلم .

- **الرابع:** جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.
- **الخامس:** طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلًا، فدل على طهارته.
- **السادس:** فيه فضيلة العلم، وأن

الجراح المعلم - بسبب العلم - يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

- **السابع:** أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبث والباطل، بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به.

- **الثامن:** فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

- **التاسع:** فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجراح، وأنه إن لم يسم الله متعمداً، لم يبيح ما قتل الجراح.

- **العاشر:** أنه يجوز أكل ما صاده الجراح، سواء قتله الجراح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها.

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

* مفهوم الآية، أن الأرقاء من المؤمنات لا يباح نكاحهن للأحرار، وهو كذلك.
* وإضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرها.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة،

نذكر منها ما يسره الله وسهله :

* أن هذه المذكورات فيها امثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ
الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾
وَأَذَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَأَلْفَتْهُمُ الْعُقُوبَ وَالَّذِي تَقَىٰ
يَهُ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنَّ اللَّهَ أَنَّهُ عَلِيمٌ
بِدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفْرًا مِّنْ
لَّدُنْهُمْ أَوْ يَشْهَدُونَ بِالْإِسْلَامِ وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ
الَّذِينَ قَدَّمُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى اللَّهِ قَوْمًا وَلَا تَقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ تَجَوَّبَ لِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾

- * **الثاني:** الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ .
- * **الثالث:** الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: بقصدها ونيتها.
- * **الرابع:** اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.
- * **الخامس:** أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.
- * **السادس:** أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.
- * **السابع:** الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً. ومن الأذن إلى الأذن عرضاً. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهاها.
- * **الثامن:** الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين و (إلى) كما قال جمهور المفسرين بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.
- * **التاسع:** الأمر بمسح الرأس.
- * **العاشر:** أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

- * **الحادي عشر:** أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيد بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.
- * **الثاني عشر:** أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به.
- * **الثالث عشر:** الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.
- * **الرابع عشر:** فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحها ما دامت مكشوفتين.
- * **الخامس عشر:** فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلها إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحها إذا كانتا مستورتين بالخف.
- * **السادس عشر:** الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل ممسوحاً - وهو الرأس - بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.
- * **السابع عشر:** أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية. وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.
- * **الثامن عشر:** الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به.
- * **التاسع عشر:** الأمر بالغسل من الجنابة.

* **العشرون:** أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه بشيء دون شيء.

* **الحادي والعشرون:** الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.

* **الثاني والعشرون:** أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي مَنْ هُما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

* **الثالث والعشرون:** أن الجنب يصدق على من أنزل المنى يقظة أو مناما، أو جامع ولو لم ينزل.

* **الرابع والعشرون:** أن من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم يتحقق منه الجنابة.

* **الخامس والعشرون:** ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم.

* **السادس والعشرون:** أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم.

* **السابع والعشرون:** أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول الضرر به، وباقيا يجوزه العدم للماء ولو كان في الحضر.

* **الثامن والعشرون:** أن الخارج من السيلين من بول وغائط، ينتقض الوضوء.

* **التاسع والعشرون:** استدل بها من قال: لا ينتقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج ولا بغيره.

* **الثلاثون:** استحباب التكنية عما يستقدر التلفظ به لقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾.



- * **الحادي والثلاثون:** أن لمس المرأة بلذة وشهوة ناقض للوضوء.
- * **الثاني والثلاثون:** اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.
- * **الثالث والثلاثون:** أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.
- * **الرابع والثلاثون:** أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال (لم يجد) لمن لم يطلب.
- * **الخامس والثلاثون:** أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك.
- * **السادس والثلاثون:** أن الماء المتغير بالطهارات، مقدم على التيمم، أي: يكون طهوراً، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾.
- * **السابع والثلاثون:** أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: اقصدوا.
- * **الثامن والثلاثون:** أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ إما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشاداً للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى.
- * **التاسع والثلاثون:** أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيباً بل خبيثاً.
- * **الأربعون:** أنه يُمَسَّحُ في التيمم الوجه واليدان فقط، دون بقية الأعضاء.
- * **الحادي والأربعون:** أن قوله: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ شامل لجميع الوجه، وأنه

يعممه بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة.

* **الثاني والأربعون:** أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك. فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.

* **الثالث والأربعون:** أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد [وقد يقال: إن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحداث، وهو قول جمهور العلماء]

* **الرابع والأربعون:** أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان.

* **الخامس والأربعون:** أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزئ أخذا من عموم الآية وإطلاقها.

* **السادس والأربعون:** أنه يكفي المسح بأي شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال ﴿فَأَمْسَحُوا﴾ ولم يذكر المسوح به، فدل على جوازه بكل شيء.

* **السابع والأربعون:** اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

* **الثامن والأربعون:** أن الله تعالى - فيما شرعه لنا من الأحكام - لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليطهرهم، وليتم نعمته عليهم.

* ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ في هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقبها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم،

واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال:

﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ ﴾

﴿ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧)

* الظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين.

قَالَ الرَّسُولُ إِذْ قَالَ لِلَّهِمْ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدْتُمَا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَقْدُرُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَمِنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٩﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لَيُقْبِلَنَّ مَا أَنَا بِسَاطِئِ يَدَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِي بُيُوتًا لِأَتُوبَ إِلَيْكَ فَتُكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ فَقَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُؤْتِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤْتِيهِ لَأَعْرِضْ عَنْ سَوْءَةِ أَخِي وَمَنْ يَكُنْ هَكَذَا
الْغُرَابُ فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٤﴾

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

دلّت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:

- إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله إن كان مكلفاً مكافئاً، ليس بوالد للمقتول.
- وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شراً إلا بالقتل. وكذلك قطاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم.

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ﴿٣٣﴾ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ بتأييدهم الذين آمنوا آتوا الله وآبَتْغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليقفوا به من عذاب يوم أقيم ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴿٣٤﴾

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ .

* دل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله

ولرسوله. وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض.

﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ *
 دل مفهوم الآية على أن توبة المحارب - بعد القدرة عليه - أنها لا تسقط عنه شيئاً، والحكمة في ذلك ظاهرة. وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه تمنع من إقامة الحد في الحاربة، فغيرها من الحدود - إذا تاب من فعلها، قبل القدرة عليه - من باب أولى.

﴿ **يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا**
ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ
إِنَّ أُوْتَيْتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ
يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ
لِللَّسِخِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ *
 يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّ أُوْتَيْتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّ أُوْتَيْتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

* دل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب،

* ودل على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

* ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ * فأنت مخير في ذلك. وليست هذه منسوخة، فإنه - عند تحاكم هذا الصنف إليه - يخير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقا لأهوائهم. وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم، فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَانَ يَضْرُوكَ شَيْئًا

وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ * حتى

ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم.

* وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صِدْقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَأَنْزَلْنَا فِيهِ هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَنُورًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾
وَأَحْكُمُوا إِلَى اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمٍ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمٍ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ جَعَلْنَا كُرْشِيَّ زُرْعَةً وَمِنهَاجًا
وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُ رَمَةً وَجِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبْشِرُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِي يَوْمٍ تَكْتُمُ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمٍ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمٍ
بَعْضُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ
بِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِنْ كَبُرُوا مِنْ كُنْهَاتِهِمْ لِقَائِهِ فَاسْتَعْصِمُوا
لِقَائِهِمْ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ وَأَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٤﴾

أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ ﴿٤٨﴾

* يستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها سبق.

* وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصْرَانِ ؕ أُولَٔئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؕ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ قرأ الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيما يقولون فنفخى أن نصيبنا دائرة فمسى الله أن يأتي بالفتح أولهم من عنده فصبحوا على ما أمروا في أنفسهم نذيرين ﴿٤٩﴾ ويقول الذين ءَامَنُوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهنم لهم لئلا يفتروا لهم لئلا يفتروا لهم فاصبحوا خبيرين ﴿٥٠﴾ يأتينا الذين ءَامَنُوا من يرتد من كفر عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ؕ أُولَٔئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أُعْزِزُ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أُولَٔئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أُعْزِزُ عَلَى الْكٰفِرِينَ ۗ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

* ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ وهذا يدل على قوة

همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب، ضعيف الهمة تنتقص عزيمته عند

لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عدل العاذلين، وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق، وتقديم رضاهم ولو مهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

* أداة الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم.

﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

وَإِذَا تَدَبَّرْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَتَخَذُوا هَاهُنَا وَأَلَيْعِيَا ذَلِكَ بَأْتَمَّتْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَعْلَمُونَ مِمَّا آتَاكُمْ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّينَ ذَلِكَ ثَمُوءَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْحَقَائِرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَإِذْ جَاءَهُ وَكُوفَا لَوَاءَ آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهَرَقْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَتَقَرُّ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرِّبَايُونُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمُ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُغْفِرُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَرِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَّا أُرِيدَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَبِيحَ بَيْنَهُمُ الْعُدْوَانُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

* ﴿ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ ﴾ الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم.

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾

كَانَا يَا كَلَانَ الطَّعَامُ أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يُؤْفَكَوْنَ ﴿٧٥﴾ .

* هذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك

فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، فإذا كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جنس الأنبياء والرسول من قبله، وأمه صديقة، فلا شيء اتخذهما النصراني إلهين مع الله؟

* ﴿كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ﴾ دليل ظاهر على أنها عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٦)

لَبِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَدْعُونَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٦﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمَ آيَةً مَّا اتَّخَذُوا آلِهَةَ آلِهَةٍ وَلَا كَانَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيفُونَ ﴿٧٩﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ ذَلِكَ بَأْتٍ وَهُمْ فِي شَكٍّ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ قُرْآنًا فَذُكِرُوا بِهِ وَإِنَّا لَمُنزِلُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّا لَسَجِدُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاكُنْ بِمَنْعَةِ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

* ذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر - مع القدرة - موجبا للعقوبة، لما فيه من المفسد العظيمة :

- **منها:** أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه - كما يجب اجتناب المعصية

- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

- **ومنها:** ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.

- **ومنها:** أن ذلك يجرى العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدينية، ويكون

لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدر على ما كانوا يقدر علىه أولاً.

- **ومنها:** أن - في ترك الإنكار للمنكر - يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية - مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالاً؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقاً؟.

- **ومنها:** أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها.. ومنها. فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٨).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

وَمَا كُنَّا لَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا كُنَّا لَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَقْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا كُفِّرُوا وَكُدُوا بِإِتِّينَاتٍ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَجْجِيمِ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الْزَّبُورَةُ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ لَا يُؤْخَذُ كُفْرُ اللَّهِ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ بِكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُوهَا أَتَمًّا فَكَفَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْتُمْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُمْ أَوْ تُحْرِقُوا رِقَبَةً فَفَعَلْتُمْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفْرٌ أَنْتُمْ فِيهِ إِذَا سَلَّمْتُمْ وَأَخَذْتُمْ أَيْمَانَكُمْ كَذِبًا يُبْغِي اللَّهُ لَكُمْ لِكْرًا لِيَتَّبِعَهُ أَهْلُكُمْ كَيْفَ يَشَاءُونَ ﴿٩٢﴾ يَأْتِيهَا الْزَّبُورَةُ ءَامَنُوا إِنَّهَا الْحَقُّ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٣﴾

* دلت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حلالاً عليه من طعام وشراب، وسرية وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراماً بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] إلا أن تحريم الزوجة فيه كفارة ظاهر.

* ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها على نفسه، بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ



﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾

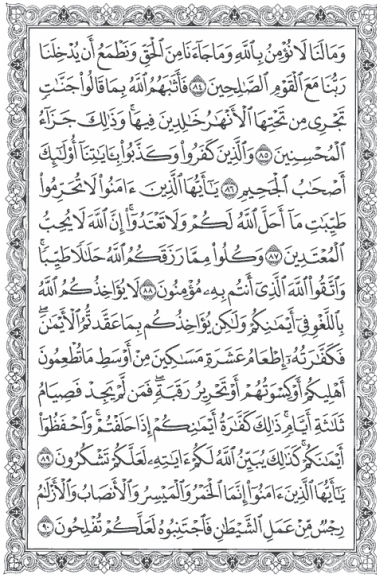
وَمَا تَلَا الْقُرْآنَ يَأْتِيهِمْ مِّنَ اللَّهِ نَافِلَةٌ وَأَمَّا الَّذِي يَنْدَجِلَتَا
رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿١٠﴾ فَأَلْبَسَهُمُ اللَّهُ بِيَعَابَ مَا لَوْ كَانَتْ
تُخَيَّرُونَ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَلْبِسُوا
طَبِيبَتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا تَتَذَكَّرُ إِنَّ اللَّهَ لَاجْتِبُ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٣﴾ وَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا
وَأَتُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ لَا يُؤْخَذُ كُفْرَ اللَّهِ
بِاللَّغْوِ أَيْ تَبْدِئِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ
فَكَفَرْتُمْ وَإِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُونَ
أَعْلَىٰ كُرْسِيِّكُمْ نَهَىٰ أَوْ تَقْرُرُ رِقَبَةً فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفْرٌ أَيْ تَبْدِئِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَخْفَظًا
أَيْ تَبْدِئِكُمْ ذَٰلِكَ يَبْدِئُ اللَّهُ لِكُرْمِ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

* هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفسادها الداعية إلى تركها واجتنابها.

- **فمنها:** أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسا. والأموال الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوصارها.
- **ومنها:** أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها.
- **ومنها:** أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له.

- **ومنها:** أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى

البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من الأسباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء.



- **ومنها:** أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد،

وبهما سعادته، فالخمر والميسر يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

- فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفسد شيء أكبر منها؟!!

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣) ﴿

* يدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (١٥) ﴿

* وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم للمتعمد والمخطئ، كما هو

إِنَّمَا يُدْرِكُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَيَتَوَلَّىٰكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْبُيُوتِ ﴿١٤﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخْلُفَهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٧﴾

القاعدة الشرعية - أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطئ فليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، [هذا جواب الجمهور، والصحيح ما صرحت به الآية، أنه لا جزاء على غير المتعمد، كما لا إثم عليه].

﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّسِيَارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٦) ﴿

* يؤخذ من لفظ «الصيد» أنه لا بد أن يكون وحشياً، لأن الإنسي ليس بصيد. وماكولاً، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۗ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتِنَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

* لا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركها وإهمالها، فإنه لا يتم هداها، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا سُبْحَانَ مَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ ءِآيَاتُهُ ءَأَن نَّأُولُوا لَكِنَّا ءَأَبَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتِنَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِشَهَادَةٍ بَيْنِيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشْرَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتُمْ مَّصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّكَاذِبِينَ ﴿١٠٧﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَٰئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّيِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشْرَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتُمْ مَّصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّكَاذِبِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَٰئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ

لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّيِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

* ويستدل بالآيات الكريمة على عدة أحكام:

- * **منها:** أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي.
- * **ومنها:** أنها معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتاً.
- * **ومنها:** أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين.
- * **ومنها:** أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها.
- * **ومنها:** أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه أن شهادة الكفار - عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة - مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.
- * **ومنها:** جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور.
- * **ومنها:** جواز السفر للتجارة.
- * **ومنها:** أن الشاهدين - إذا ارتيب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتها، وأراد الأولياء - أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويجسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى.
- * **ومنها:** أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن حاجة إلى حبسها، وتأكيد اليمين عليها.
- * **ومنها:** تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط.

* ومنها: أنه يجوز امتحان الشاهدين عند الريبة منها، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما.

* ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة - قام اثنان من أولياء الميت فأقسما بالله: إن أياننا أصدق من أيانها، ولقد خانا وكذبا. ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون القرينة - مع أيانها - قائمة مقام البينة.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِّنْ مَّزَلُهَا عَلَيْكُمْ مَّنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾

* اعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم - إن كفروا - بهذا الوعيد،

ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأنجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه، أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلاً، وإنما ذلك كان متوارثاً بينهم، ينقله الخلف عن

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا الأول علينا ما يده من التمه
تكون لنا عيداً الأولنا وآخرنا وآية منك وأزفت وأنت
خير الرزقين قال الله إني منزلها عليك فمن يكفر بعد
منكوفاني أعذبته، عذاباً لَّا أعذب به أحد من العالمين
وإذ قال الله بعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني
وأئمتي الهة من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول
ما ليس لى يحيى إن كنت قلته، فقد علمته، تعلم ما فى نفسى
ولأ أعلم ما فى نفسى إناك أنت علم الغيوب ما قلت لهم
إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شاهداً ما دمت فيهم قائماً فوفيتي كنت أنت الوهاب عليهم
وأنت على كل شى وشهيد إن تعذبهم فالهم عبادك وإن
تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفخ
الصدور من صدقهم لهم حجت تجرى من تحت الأفتخيلين
فيها أبدأ رضى الله عنهم ورضوانه ذلك الفوز العظيم لله
ملك السموت والأرض وما بينهما وهو على كل شى قدير

السلف، فاكفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله:

﴿ وَتَكُونُ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ



دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

* هذا من كمال أدب المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

في خطابه لربه، فلم يقل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لم أقل شيئاً من ذلك»، وإنما أخبر

بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل

مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا

من الأمور المحالة، ونزهه ربه عن ذلك

أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.



قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا ما يبدؤنا من السماء
تكون لنا عيداً الأولياء وآخر ناوله آية بيننا وأزرقنا وأنت
خير الرزقين ﴿١١٦﴾ قال الله في منزلها عليك كرمك كرمك بعد
وتكوا في أعزبه، عذاباً لا أعزبه أحد من العالمين ﴿١١٧﴾
وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني
وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيداً مَا مَشَيْتُمْ فِيهِمْ فَالْمَأْتُونَ فِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبِيدُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ
الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

سورة الأنعام مكية

﴿ وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ يُجْعِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا صُدُّوا بِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَسْتَلِمْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَنْتُمْ كُفْرَانٌ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ اللَّهُ أَوْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ السَّاعَةَ أَعْتَبَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِيَّاهُ أَنْ يَكْفُرَ بِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ قُلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا أَنْتُمْ بِكَارِهِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالطَّرِيقِ لَعْنَهُمْ يَتَصَدَّقُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنْجَاؤُهُمْ بِأَسْمَائِنَا فَتَرَوْا وَلَٰكِنْ قَسَّ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ بَابٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَجُوا يَمًّا أَوُّوا وَخَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ثُمَّ كَانُوا فِي سُلُوسَةٍ ﴿٤٥﴾

* في هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقته لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب،

هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مُبينٍ ﴿٥٩﴾ .

* بعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق - من أولهم إلى

آخرهم - لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط. وجل من إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

* وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَإِلهِهِمْ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَعَزَّ وَجْهُمُ الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ يُسْئَلُوا عَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهُمْ فِي دُونِ اللَّهِ وَجْهُ وَلَا مَقْبَلٌ لَهُمْ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ لَذِيخٍ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا إِلَهُمَ كَسَبُوا لَهُمْ شُرَكَاءَ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابُ الْيَوْمِ يُسَاءَلُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ أَنْتَعْلَمُونَ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ وَمَنْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَمَا أَرَى أَنْتَهُونَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابُ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى أَنْفُسٌ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِلْإِسْلَامِ لِلرَّبِّ السَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْ أَقْسَمُ بِالصَّلَاةِ وَالزُّكُوفِ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْتَصِمُونَ ﴿٧١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ السَّعِيرِ وَاللَّهُ هَدَى وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٢﴾

* وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكور من الكلام، ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى.

* وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ، مما يزيد الموعوظ شرا إلى شره، إلى أن تركه هو الواجب لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصودا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ أَصْنَامًا

ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا

أَفَلْ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ قَالَ لَيْنَ
لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا
رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بِرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ❀

❀ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَادَ اتَّخِذَهُ أَصْنَامًا إِنَّهُ يَهْدِي إِلَى
رَبِّكَ وَقَوْمَكَ فِي صَلَاتٍ خُضِعِينَ ﴿٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نُفِيَ إِبْرَاهِيمَ
مَلَكَوتِ السَّمْرُوتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾
﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بِرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
﴿٧٨﴾ إِلَيَّ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
خَبِيرًا وَمِمَّا أَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ
أَتُخَذُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا آخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّهُمْ يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا
فَاتَّقِ الْكُوفِرِينَ أَنِ يَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾

❀ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: أظلم
﴿رَأَى الْكُوكَبَ﴾ لعله من الكواكب
المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر، يدل
على زيادته عن غيره، ولهذا - والله
أعلم - قال من قال: إنه الزهرة.

❀ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ❀

❀ مفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم
يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم
هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

❀ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتُهُمْ أَقَدَّهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ❀

❀ قد امثل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم.
فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد
المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا
الملحظ استدل من استدل من الصحابة، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أفضل
الرسول كلهم.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تَجُزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

* في هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده.

* وفيه دليل على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

* دلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالِي الْحَقِّ وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قَالِي الإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حَسْبَانَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا
بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿١١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نَخْفُجُ مِنْهُ بَحَاةً ذَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
دَائِبَةٌ وَصِجْتِ مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ مَشْيَاهَا وَعِطْرٍ
مُتَشَابِهٍ نُنزِلُهَا إِلَى تَمْرِهِ إِذَا أَمَرَ وَيَتَّوَعَّاهُ فِي ذَلِكَ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٧﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجُرُتِ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ رَبُّهُمْ عَزِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَتَعْلَى عَمَّا يُصِفُونَ
﴿١١٧﴾ تَبِيحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
صَلْبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَلْبَةً يُخْلَقُ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ ﴾ .

* في ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى
الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو
هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه
من النظام التام، والخلق الباهر، فإن
في ذلك دلالة على سعة علم الخالق،

وكمال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾
 [الملك: ١٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ [يس: ٨١].

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾

* ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغِيرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

* في هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُئِيَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأُنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَنزَلْنَا الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ تَلْمِيزًا ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الرَّسُولِ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغَيْرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَلْسِنَتِهِمْ لَنْ يَدْعُوا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّا لَنَجْعَلَنَّ لَهُمْ سُبُلًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قُلْ إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا وَنَجَسًا ﴿١١٠﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَا أَنزَلْنَا بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ كَفَرُوا ﴿١١١﴾

﴿وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿١١٦﴾

* دلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عددا، الأعظمون - عند الله - قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ وَذُكِرَ أَطْهَرُ الْأَشْيَاءِ وَبَاطِنُهُ وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِسْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا آتَى بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْمِرَ بِكُمْ إِلَىٰ آلِيهِمْ لِيُجِدَ لَكُمْ عُذْرًا وَإِنَّ أُطْعَمُوهُمُ لَأَكْرَهُوا لِمُشْرِكُونَ ﴿١٢٠﴾ وَأَمَّن كَان مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَشَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ يُؤْمِنُ الْكُفْرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَّجْرِمًا لِيَتَمَكَّنُوا فِيهَا وَمَا يَسْكُرُونَ إِلَّا أَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ عَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

* دلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخخصة، كما قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ

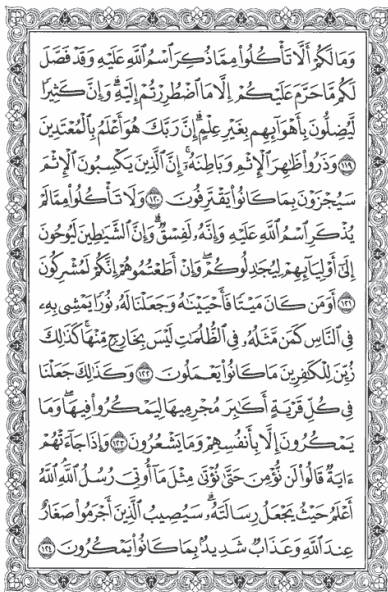
وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِآيَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْمِرَ إِلَىٰ آلِيهِمْ لِيُجِدَ لَكُمْ عُذْرًا وَإِنَّ أُطْعَمُوهُمْ لَأَكْرَهُوا لِمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١١٩﴾

- * يدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي يذبح للأصنام، وأهنتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصا.
- * ويدخل في ذلك متروك التسمية، مما ذبح لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمدا ترك التسمية، عند كثير من العلماء. ويخرج من هذا العموم الناسي بالنصوص الأخرى، الدالة على رفع الحرج عنه.
- * ويدخل في هذه الآية ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه. ونص الله عليها بخصوصها، في قوله: ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [المائدة: ٣].

- * ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل - بمجردها على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن،

ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال ما لا يحصيه إلا الله.



﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾

* في هذه الآية دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيمًا واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿جمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير:

- متتهم على الله، في جعلهم له نصيبا،

مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع.

- وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم،

ولم يوجدوا لهم شيئًا في ذلك.

- وحكمهم الجائر في أن ما كان

لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو

كان واصلا إلى الشركاء، وما كان

لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به

ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك

أنهم إذا حصل لهم - من زروعهم

وثمارهم وأنعامهم التي أوجدها الله لهم - شيء.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ كُنْ زَيْتٌ مُبْتَاعٌ لَفَرَّقُوا بَيْنَ أَهْلِهَا
عَقِبُوا ﴿١٦٦﴾ وَلَكِنْ دَرَجَتْ وَمَا عَمِلُوا وَمَا زَيْتٌ
يَعْقِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾ وَزَيْتٌ الْقَسِيُّ دُونَ خَسْمَةٍ
إِنْ بَشَأَ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا
يَشَاءُ كَمَا أَنْتُمْ كُفْرًا مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخِرِينَ ﴿١٦٨﴾
إِنْ مَا تَوَعَّدْتُمْ لَأَتَيْنَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٦٩﴾ قُلْ يَتَّقُوا
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ لِي إِلَىٰ عَمَلِكُمْ فَتَمُنُّوا
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ أَلَدِ الرَّائِيهِ لَا يَنْبَغُ أَتَقْلِبُونَ ﴿١٧٠﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَكَذَلِكَ
رَبُّنَا يُعَذِّبُ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
شُرَكَاءَهُمْ لِيَزْهُقُوا عَنْ آبَائِهِمْ وَاسْتَبَسَّوْا عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَتَنَهُمْ وَمَا بَدَّلُوا بَعْضُهُمْ رِبًّا

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ
وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا
حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦١﴾﴾

* في هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمها.

* وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يبعث خارصاء، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعثرها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم.

تَمَسِيَةَ أَرْوَاحٍ مَرَّتِ الطَّيَّانُ أَتَيْنِ وَيَمِنَ الْمَعْرَ أَتَيْنِ
قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ حَزْمَهُ أَمَّا الْأَتَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَكَ عَلَيْهِ
أَرْكَهُ الْأَتَيْنِ نَبُوِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٠﴾
وَمِنَ الْأَيْلِ أَتَيْنِ وَيَمِنَ الْبَقْرِ أَتَيْنِ قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ
حَزْمَهُ أَمَّا الْأَتَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَكَ عَلَيْهِ أَرْكَهُ الْأَتَيْنِ
أَرْكَهُ نَبُوِي شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكَهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ
أَطَاعَهُمْ مَنَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مَحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ بَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فَسَقًا أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
بِأَعْبَادٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٢﴾
قُلْ ذِي طَلْفٍ وَيَمِنَ الْبَقْرِ وَالْفَتْرِ حَزْمَتَا طَلْفِهِمْ
شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طَلْفُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَمَّا أَشْتَمَكَ
بَطْعُمُهُ ذَلِكَ حَزْمَتُهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٠)

* ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ مفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر.

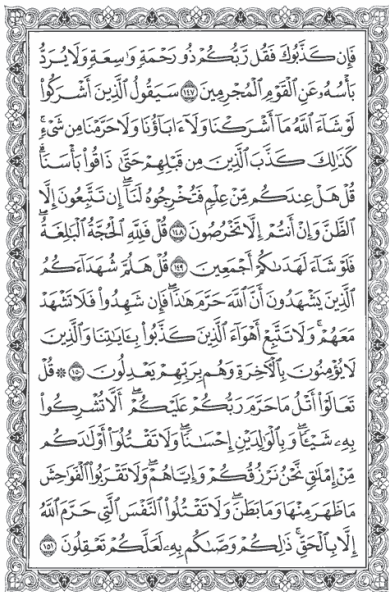
﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾

* أخبر تعالى أن هذه الحججة لم تنزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئاً، ولم تنفعهم، فلم ينزل هذا دأبهم، حتى أهلكتهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه. فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه:

- **منها:** ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحمل بهم العقوبة.
- **ومنها:** أن الحججة لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص الذي لا يغني عن الحق شيئاً، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ ﴿١٦٩﴾ فلو كان لهم علم - وهم خصوم ألداء - لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. ﴿قُلْ فِإِنَّ الْحُجَّةَ الْبَلِيغَةَ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٦٩﴾ ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

- **ومنها:** أن الحججة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا.



- **ومنها:** أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر ظلم محض وعناد صرف.

- **ومنها:** أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

- **ومنها:** أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟! - ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُوكِ اللَّهِ بِهِ شَيْءٌ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْنَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١)

* ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
 وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ إِنِّي أَمُوسَىٰ الْكَاتِبَ سَمَاعًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَوَهَّدَىٰ وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَلْقَاهُ رِزْقَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْ رَبِّيكُمْ ۗ وَوَهَّدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

* ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ دل هذا على أنه لا يجوز قربانها، والتصرف بها على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة.

* وفي هذا دلالة على أن اليتيم - قبل بلوغ الأشد - محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد.

* وبهذه الآية ونحوها استدلل الأصوليون،

بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْ رَبِّيكُمْ ۗ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

* في هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخصص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين.

* وأن المعروف أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، [من] اليهود والنصارى، فهم أصل الكتاب عند الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم.

* وفيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم، وغفلت عن دراسة كتبهم.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ ١٥٨

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ وَكَانُوا يُسْمِعُونَ مِنْهُمْ فِي عَجْوٍ لَمَّا أَمُرُومُ إِلَى اللَّهِ فَهُمْ يُسْمِعُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَى إِلَّا وَمِثْلَهَا وَهُوَ لَا يُلَاقِيَهُمْ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا آيَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا تَدْرِي لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَعْتَبْتُمْ أَنبِيَاءَ رِيبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَلَوَّكُم فِي مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّهُ لَعَلَّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١٦٦﴾

* في هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالأستواء والنزول، والإتيان لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، من غير تشبيه له بصفات المخلوقين. وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير.

* وفيه أن من جملة أشرط الساعة طلوع الشمس من مغربها.

* وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريا لا اضطراريا، كما تقدم. وأن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة

والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

* دلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي

سائر مسأله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّمَا الْمُنْتَظَرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَوْثَانَهَا وَهُوَ لَا يَنْظُرُ الْعَمَلُ ﴿١٥٩﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِسَمًا فَمَالَهُ إِذْ هِيَ ذُرِّيَّتَةٌ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ لَا تَدْرِيكَ أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ أَغْتَابَ اللَّهُ أَيُّ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهَا تَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْتَأْذِنُوا فِي مَاءِ الْبَتْرِ إِنْ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥٩﴾



سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿سورة الأعراف (مكية).﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١١﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٠﴾

* قَالَ إِبْلِيسَ مَعَارِضَ الرَّبِّ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾،
ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة
بقوله له: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ ﴿١٢﴾﴾، وموجب هذا أن المخلوق
من نار أفضل من المخلوق من طين
لعلو النار على الطين، وصعودها.
وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه
باطل من عدة أوجه:

- منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعا لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة.
- ومنها: أن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ بمجرد كافي لنقص إبليس الخبيث.

فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم.
وأي نقص أعظم من هذا؟.

- ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾

قَالَ رَبِّيَ ظَلَمْنَا أَفْسَا وَإِن لَّنُتَعَفَّفَ لَنَا وَتَرَحُّنًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا إِلَىٰ جِبْنَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢١﴾ بَيْنَهُمْ عَادَةٌ قَدِ انزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا لِيُؤْمِرُوا بِذِكْرِ رَبِّهِمْ وَلِبَاسٍ لِّلْقَوَىٰ ذَلِكُمْ عِبْرَةٌ لِّذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ بَيْنَهُمْ عَادَةٌ لَا يَفْقَهُتَكُمُ الشَّيَاطِينُ كَمَا أَخْرَجَ أُوتِيَ كُرَيْشَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ نِيَّتِهِمَا إِنَّهُ بُرِّئَ لَهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴿٢٣﴾ لَقَدْ جَاءتَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا قَالُوا فَحِشَةً قَالُوا وَحَيْدًا عَلَيْهَا بَابَةٌ تَأْتِيهِمْ بِهَا قَوْلٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٦﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾

* في هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول، وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص.

* وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى - بجعله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضالٌّ، أنه لا عذر

له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما آتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى.

﴿يَبْتِغِيْ عَادَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٣١) ﴿

* ﴿يَبْتِغِيْ عَادَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها، ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها، ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِيْ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَحُوا فَكُنَّا مُتَعَابًا عِدَابًا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩) ﴿

* هذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَحُوا فَكُنَّا مُتَعَابًا عِدَابًا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَسَدُ فِي سِرِّ الْجَيْدِ بِوَدَّاعِهِ وَكَذَلِكَ تُجْرَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ رِجَالٌ يَمْشُونَ فِيهَا وَعِشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهَا يَمْشُونَ وَكَذَلِكَ تُجْرَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَكْفُؤُا عَنْ رِجَالِهِمْ فِي الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَذَرَعْنَا مَا فِي صُُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَسْبُ بِنُوْنِهِمْ هَذَا هَذَا هَذَا وَمَا كَانُوا يَلْتَمِعُونَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفُتِحَتْ أَعْيُنُنَا وَأَنْظَرْنَا لَعَلَّنَا نَبْصِرُ ﴿٤٣﴾ وَذُوْدُوا أَنْ يَلِكُوا فِي الْجَنَّةِ أَوْ يَفْتَنُوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ❖

* مفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربهما والحظوة برضوانه.

❖ ﴿٥٥﴾ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ❖**

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكُتُبٍ فَصَلَّاتَهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْيِيدَهُ رَبُّهُ يَأْتِي تَأْيِيدَهُ بِقَوْلِ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ لُرُدُّوا فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٦﴾ فَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ فَأَكْفَأُوا بِقُرْآنِهِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينِيكًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴿٥٨﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ رَبُّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بِشَرِّهَا يَذُرُّ بِهَا رَحْمَتَهُ يَحْيِي الْأَرْضَ إِذَا قَالَتْ سَحَابًا يَتَّقَا ﴿٦٢﴾ سُقِّنَهُ لِبَلَدِهِ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾

❖ **حاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء:**

* الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية.

* وإخفاؤه وإسراؤه.

* وأن يكون القلب خائفا طامعا لا

غافلا، ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة،

وهذا من إحسان الدعاء فإن الإحسان

في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها

كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

ولهذا قال: ﴿٦١﴾ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ ❖** في عبادة الله،

المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه،

وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى.

❖ ﴿٦٤﴾ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ**

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

* في هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ ﴿٥٧﴾

* اعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من

أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٥٧﴾ أو يجنبون
جاءكم ذكركم من ربكم على رجل منكم نذركم
وأذركم إذا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقد آتاكم
في الخلق بضطة فاذكروا آية الله لعلكم تفلحون
﴿٥٨﴾ قالوا اجنبتنا للعبادة لله وحده ونذركم ما كان يعبد
آبائنا فآبائنا بما نعبدهم إن كنا من الصديقين ﴿٥٩﴾
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
أجدي لوتى في أسماء سميتوهما أشعره ابنا لوت
ماتزل الله بهما من سلطان فأنظروا إلى معصية من
المنظيرين ﴿٦٠﴾ فأنجيتهم وألذت معهم برحمتي
وقطعت أباي الذين كذبوا بآياتي وما كانوا مؤمنين
﴿٦١﴾ وإلى ثمود أخاهم صليحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره قد جاءكم آية من ربكم
هذه ناقة لكم آية فذروها تأكل في أرض
الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴿٥٧﴾

صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح، وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأن لها فصيلاً حين عقروها رعى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه، وأن صالحاً عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني حمرة، والثالث مسودة، فكان كما قال.

* وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبير والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه

المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوعدت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارها، واسودادها من العذاب] هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟! فالقرآن فيه الكفاية والهداية عما سواه. نعم لو صح شيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمر التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقها.

﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ

فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٨١)

آيسهم شعيب عليه الصلاة والسلام من

كونه يوافقهم من وجوه متعددة:

- من جهة أنهم كارهون لها
- من جهة أنه جعل ما هم عليه مبغضون لما هم عليه من الشرك.
- ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا، وأشهدهم أنه إن اتبعهم

قال المصنف الذي استكبروا من قومه الخريجة يشعيب والذين آمنوا معه من قريبتنا أو نتعودن في مائتنا قال أولو كذا كرهين قد أفترينا على الله كذبا إن عُدنا في ملتك بعد إذ بَخَّسنا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسيع ربنا كل شيء علما على الله توكلتا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال المصنف الذي كذبوا من قومه أين أتبعتم شعيبا إن كذبنا أو نخبرون فأتبعتمهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لفتنة أفهم الذين كذبوا شعيبا كأولئك هم الخريجون فتولى عنهم وقال يعقوب لقد أتبعكم رسول ربّي ونصحتكم لكم فكيف آسنى على قوم كافرين وما أرسلنا في قبيل من قبيل إلا أخذنا أهلهما بالأيساء والضلالة لعلهم يصمغون ثم بدلتا مكان السجدة السجدة حتى عقوا في الؤاد مس آياتنا الضلالة وأسجدت لهم سجدة بغتة وهم لا يشعرون

ومن معه فإنهم كاذبون.

- **ومنها:** اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها.
- **ومنها:** أن عودهم فيها - بعد ما هداهم الله - من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية.

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١١)

* هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وجلًا أن يتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيًا بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد - ولو بلغت به الحال ما بلغت - فليس على يقين من السلامة.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْؤَةً وَأَمْرَ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٤٥)

* ﴿وَأَمْرَ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ وهي الأوامر الواجبة، والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله - في كل شريعة - كاملة عادلة حسنة.

قَالَ يَمْؤِسِي إِلَى أَصْطَفَيْتِكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالِي وَبِكَلِمِي
فَخَذَ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
شَيْءٍ فَمَخَذَ هَا بَقْوَةً وَأَمْرَ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرَفُ عَنْ عَائِيهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِعِزِّ الْحَقِّ وَإِنْ يَتْرَوْا كَلَّ عَائِيهِ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
وَإِنْ يَتْرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَتْرَوْا سَبِيلَ
الْحَقِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمِي مِنْ بَعْدِي مِنْ خَلْقِهِ
عِجَابًا جَسَدًا لَهُ حَوَارِ الْأَرْضِ وَاللَّهُ لَا يُكَلِّمُ الْهُمَمَ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١١﴾
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قُلُوبَهُمْ
لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَعَنُوا لَنْعًا كَثِيرًا وَتَبِعُوا الْحَمَقِينَ ﴿١١﴾

﴿ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

* فيها دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

* قَالَ هُنَا: ابْنُ أُمَّ، هذا ترفيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه.

﴿ وَمَنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوتٍ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

* في هذا فضيلة لأمة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن الله تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره. وكان الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه

تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معائب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿ وَأَسْمَتْ نَارًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَتْهُ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا النَّارَ الْبَيْتُ قَالَ عَدَايْنِ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾ وَمَنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوتٍ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

* أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم. ﴿أَنْجِينَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْمِ﴾ وهكذا سنة الله في عباده أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد بما كانوا يفسقون. وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ﴾ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاعتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعالهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَخْدِرَةٌ لِكُلِّ ذَلِيلٍ وَلَعَلَّهُمْ سَبُّتُمْ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ جِبْتٍ أَنْجِينَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْمِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَنَاهِمِهِمْ عَلَّمْنَاهُمْ تَارَةً وَرَأْفَةً خَسِيعِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسَّيِّرَنَّ عَلَيْنَهُمُ الْيَوْمَ الْقَيْسَمَةَ مِنَ يَسْمُومِهِمْ سُمُومَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ حَجِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَقَطَّعْتَ عِزَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَنَوْا لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ خَلْفٌ وَرَوَّأَ الْكُتُبَ يَأْخُذُونَ عِزَّ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عِزٌّ مِنْهُمْ بِأَخْذِهِ الْيَوْمِ غَدًّا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ الْكُتُبُ أَنْ لَا يَقُولُوا عِلَّ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ حَرٌّ لِلَّذِينَ يَسْقُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَا تَقُولُوا ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وَالَّذِينَ يَمَسُّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾

* وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

* ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

وَأَذِّنْنَا لِلْحَيْلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ وَاقِعُ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهَا لَمَّا كُنْتُمْ نَحْوَنَ ﴿١٧٢﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَقَائِبَ مَا عَلِمْتُمْ بَرِّعُوا لَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ بَنَاءٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَنَهَا قَائِبَهُ السَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِمَا وَلَّىٰ سَئِيرًا أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَاتَّبَعْتَهُ فَسَاهَىٰ كَسَبَ الْكُفْرَ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَزْكُرُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَالْأَنْظِلُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ خَيْرُونَ ﴿١٧٨﴾

في فطرهم، من الإقرار بأنه ربهم، وخالقهم، ومليكمهم. قالوا: «بلى» قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل أحد، فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير، وتبدل بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة، وهذا ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات.

وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟ .

﴿وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَلُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَا لَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٥﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَسْهَدَهُمْ عَنْ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ بَرِيءُونَ قَالَ أُولَئِكَ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا أَوْهَمَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَتْنَةٍ إِيَّاكُمْ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ أَهْلِيكُمْ وَبَعَثْنَا فِيكُمْ نُوحًا وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَسَدَّقُوا بِالْحَقِّ لَعْنَتِي عَلَيْهِمْ فَكَفَرُوا مِنْهَا فَوَعَدْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ مِن بَعْدِهِمْ لَقَنَافِكُمْ مِنهَا صَعَلَ الْبَطْلَانَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَمْثَالَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَسَعَىٰ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ لَمْ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَسَعَىٰ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ لَمْ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٨٠﴾﴾

* في هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه،

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رُوحَهَا لِتَكْفُرَ الْبَيْنَا قَلَمًا فَتَنَسَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَضَتْ بِهِ فَلَمَّا فَقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رُوحَهُمَا إِلَيْهِ فَأَنْزَلْنَاهُنَّ إِلَى الْبَرِّ لِيُنْفِخَهُنَّ فِيهَا فَمِئَاةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨٠﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صِلَابًا جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ فِيهَا إِذْ نَسَّهَا فَمَقَّلَ اللَّهُ عَنَّا بِشْرُونَ ﴿١٨١﴾ أَيْشُرُونَ مَا لَا يَخْفَىٰ شَيْئًا وَهُمْ يَحْفَظُونَ ﴿١٨٢﴾ وَلَا يَسْطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨٣﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لِأَنَّهُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْهُمْ أَمْ أَدْنَاهُمْ صَاحِبُونَ ﴿١٨٤﴾ إِنْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٥﴾ أَلَمْ نَزَّلْ بِمُوسَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ إِذْ أَخَذْنَا مِنْهُ الْبَيْتَ بِرِجْلَيْهِ فَيَقُولُ سِعْمُونَ ﴿١٨٦﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فِتْنَةً أَنتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨٧﴾ وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَسَعَىٰ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ لَمْ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٨٠﴾﴾

* وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان.
 ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٩﴾﴾
 * هذه الآية الكريمة مبينة جهل من

يقصد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر. فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضرر عن من لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، الذي فاق

نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٤) *

* دل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ السَّكَّاتِ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ قَوْلَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَبْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَرْتَعَنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزْعُفٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تَوَاتَوْا فِي بَيْتِهِمْ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلُوبَنَا لَمَا أَتَيْتُ مَا بَوَّعَ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرَ مِنْ رَبِّي كُنْ مَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْبَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَيَسْتَجِيبُونَ لِمَنْ دَعَاهُمْ وَأَسْمَعُوا



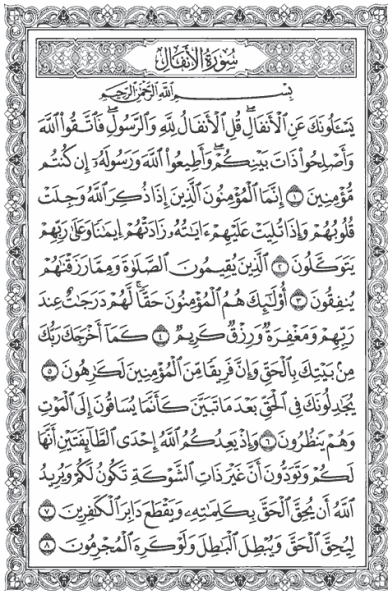
سُورَةُ الْأَنْفَالِ

* سورة الأنفال (مدنية).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ .

* يدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .



* قدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها.

* وفيها دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها، وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميها، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه.

﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١٣)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾.

* ﴿ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ هذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باسروا القتال يوم بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم.

* وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله حقاً:

- منها: أن الله وعدهم وعداء، فأنجزهموه.

- ومنها: ما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا فِئَةٌ تَمْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُعِدُّكُمْ بِأَيْدِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا الْقَعْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ يَنْصَبُكَ الْعَنَاقِ أَمْسَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْطِ عُنُقَ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٥﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧﴾ ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ تَرَافَعُوا قُلُوبُهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ فَلْيُؤْمَرْ بِهِ الْبَرُّ وَلَا يُؤْمَرْ بِالْفِئَةِ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَاتَلْتُمَا إِذْ تَمَثَّلُوا بِآيَاتِهِ فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾

- ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

- ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، ويسرها بأسباب داخلية وخارجية.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ ۝١٥
 وَمَنْ يُولِهِمْ يُومِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ
 مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦﴾

إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجِبَ لَكُمْ أَنِّي مُعِدِّكُمْ بِأَلْفٍ
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۝ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
 وَتَعْلَمِينَ بِهِ فُلُوكُمْ وَمَا تَصُرُّ لِأَمْنٍ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يَقُولُ لِغُصَّيْنِ الْغُصَّاسِ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَّهَّرَ بِكُمْ بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ
 رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ فُلُوكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
 ۝ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ فَأَضْرِبُوا
 فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَمُ قَدْ وُفُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُولِهِمْ يُومِدْ
 دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
 بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

* هذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد، ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه

غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين.

* وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بها إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم. أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٣١﴾

* هذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده، وله الحمد تعالى والحكمة في هذا.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُعْزِزْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٣١﴾

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتَ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ نَحْنُ أَقْوَمُ
أَنْ يَحْتَضِرَكَ النَّاسُ فَآوَيْتَهُمْ وَأَيَّدْتَهُمْ بِقُوَّةٍ وَرَدَّكَ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَيَخَافُونَ أَنْتَ بِعَدُوِّكُمْ وَأَنْتَ تَقَامُونَ
﴿٣١﴾ وَأَقْلَمُوا النَّامُوسَ وَأَوْلَدْتُمْ مِنْهُ فِتْنَةً وَأَرْسَلَ اللَّهُ
عِنْدَهُ أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا
اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُعْزِزْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ وَذِيَمَّكَ إِلَهُكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُتَّبِعُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَمَنْ كَفَرَ
بِمَعْرُوفِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ أَنشَأَ عَلَيْهِمُ
ءَارِسَاتًا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطِينٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا فَرَسَّ السَّمَاءَ
أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٍ مِنْ سَمَاءِكَ وَرَأَى اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَسْخَافُ الْغَافِلِينَ ﴿٣١﴾

* امثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة،
وعلامه الفلاح، وقد رتب الله على
التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا
كثيرا، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل
له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من
الدنيا وما فيها:

- **الأول:** الفرقان: وهو العلم والهدى
الذي يفرق به صاحبه بين الهدى

والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

- **الثاني والثالث:** تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل

في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب

الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

- **الرابع:** الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى

نفسه ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٣١﴾

﴿فِيمَا تَشَفَّعْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾ (٥٧)

* دل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أعطى عهداً لا يجوز خيانه وعقوبته.

﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨)

* دلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ وهنا قد كان معلوماً عند الجميع غدرهم.

* ودل مفهومها أيضاً أنه إذا لم يخف منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١)

﴿فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا، متوكلاً على ربك، فإن في

ذلك فوائد كثيرة :

* **منها:** أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المتبدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

* **ومنها:** أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

* **ومنها:** أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ يَكُ مُعْتَبَرًا لِقَوْمٍ أَتَمَّتْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْتَبَرُوا مَا أَتَمَّتْهَا وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ كَذَابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبَّهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَافٍ أَظْلَمِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ سَعْيَ الْوَالِدِ وَالَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَبْنَاءَ كَانَ يَكُونُ مَرْغُوبًا وَالَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَبْنَاءَ يَتَّقُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ فِيمَا تَشَفَّعْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ سَبَّوْا إِلَهُكُمْ أَنْ يَكْفُرُوا ﴿٦٢﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهَيْبَةِ اللَّهِ وَعُدْوَانِهِ وَالْحَرِيِّ مِنَ ذُنُوبِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾

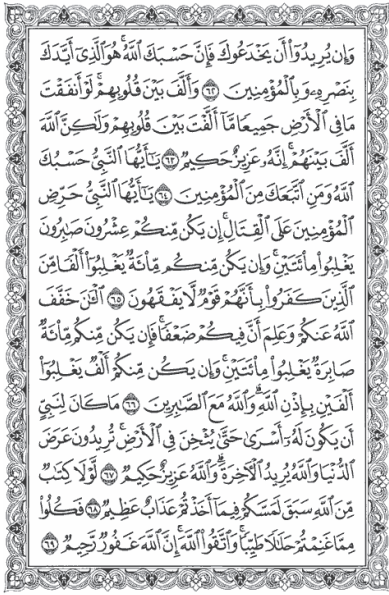
ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه. فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ ۖ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ ۖ ﴾

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوا فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ
بِصُرُوفِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَأَلْفٌ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ قَوْلُ نَفَقَةٍ
مَأْفَى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَتَى بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلْفٌ بَيْنَهُمْ لِيُدْعِيَ عَزِيزٌ كَبِيرٌ ﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ
اللَّهُ وَمَنْ أَجْعَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبَدَلَ بِالسَّبْحِ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ
الَّذِينَ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ لَوْلَا كُنْتُمْ
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فَمَا آتَى قَوْلَ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ فَكُنْ لَوْ
مِمَّا تَعْبَثُونَ مُخْلَافِيًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾

* هذه الآيات صورتها صورة الأخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية. ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار

لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يرد على هذا أمران:



- **أحدهما:** أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

- **والثاني:** تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر. ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثلهم [إذا غلب على ظنهم الضرر] كما تقتضيه الحكمة

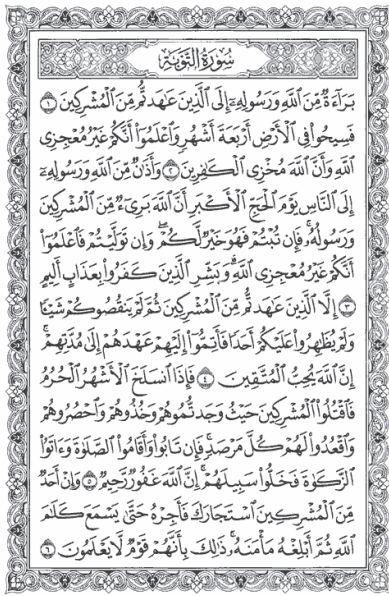
الإلهية. ويجاب عن الأول بأن قوله: ﴿ **الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ** ﴾ إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر. وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين. ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مباشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿سورة التوبة (مدنية).﴾

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾



* في هذه الآية دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَتَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

* في هذا حجة صريحة لمذهب أهل

السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: إن القرآن مخلوق. وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها!

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا

نَكثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

* ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنائيتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر.

﴿فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا دُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْضُرْ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴿١٥﴾ أَجْعَلْتُمْ مَسَاجِدَ الْحَاغِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا عَمَلْنَا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٥﴾

* هذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتناؤه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

* هذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من

هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران: أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

ثُمَّ يَتَأْتِي اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَدِّمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمْ الْآخِرَةُ وَلَا يُحْسِنُونَ مَا حَزَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ أَنْتَ اللَّهُ فَأَنزِلْهُنَّ بِمَنِّهُنَّ يُضْمِرُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَا اللَّهَ إِنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَيَّنَّا لَهُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾

* ليس المراد هنا نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها، والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تقذروهم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان طهارة، فالشرك نجاسة.

* وقوله: ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقة الله بالمشيئة، فإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا من يحب.

* وتدل الآية الكريمة، وهي قوله ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

هكذا ﴿ أن المشركين بعد ما كانوا هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية. ولما مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أن يجلوا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعد كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾.

﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩).

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ تَابُوا إِلَيْهِمْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَلَا يَضَعُ عَتَقَهُ عَلَيْهِ فَنَسْفِئُ يَقْنِصُكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرَاتُنَّ اللَّهُ قُلْنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلُهُمْ يَا قَوْمِ هَيْهَاتُ فَسَدَّ هُمُوتَ قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ تَأْتَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُؤْكَلُوا أَنْ يُؤْكَلُوا أَنْ يَكُونُوا رَبَّكُمْ وَأَنْ يَسْبِقَ إِلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ آتَى مَرْيَمَ وَمَا أُسْرُوا إِلَّا لِيُعْذَرُوا وَلِنَهَأَهُنَّ لِأَلِهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿

* استدلل بهذه الآية الجمهور الذين

يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم، وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتلهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين المجوس، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير

المؤمنين عمر من الفرس المجوس. وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخباراً بالواقع، لا مفهوماً له، ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم

أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كتابي وغيره.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكُونَ ﴾ (٣٠)

* يدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرؤوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله. وقد قيل: إن سبب ادعائهم في عزير أنه ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيرا بعد ذلك حافظا لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَرَبِّهِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَنْتَهِزُوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُضَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي تَارِحَتِهِمْ تَتَكْوَنُ بِهِاجِسَاتُهَا هُمُومٌ وَحُجُومٌ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُفَرْتُمْ تَكَرُّوتٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمٌ أَعْرَسَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُومٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَامِ فَلَا تَقْظِلُوا فِيهِمُ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَاتَلْتُمْ بِقَتْلِهِمْ وَأَعْلَمُوا أَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُضَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُفَرْتُمْ تَكَرُّوتٌ ﴾ (٣٥)

ذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

- إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله.
- وإما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا كُنْتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْبُهُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَوَاطِئَ مَا حُرِّمَ وَلَا تُنَادُوا بِهِ سَبِيحًا وَاللَّهُ عَاقِبُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَاتَ اتْنَيْنِ إِذْ هُمْ فِي الْقَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

* **النسيء هو:** ما كان أهل الجاهلية

يستعملونه في الأشهر الحرم. وكان من جملة بدعهم الباطلة أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا - بأرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا. فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه،

وجعلوا الشهر الحلال حراماً. فهذا - كما أخبر الله عنهم - أنه زيادة في كفرهم وضلالهم،

لما فيه من المحاذير:

- **منها:** أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

- ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.
- ومنها: أنهم مَوَّهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.
- ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل.

﴿إِلَّا نَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

إِنَّمَا النَّبِيُّ رِيسَاةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَاوِتُهُ عَامَا وَيَحْزِنُ مَوْتَهُ عَامَا لِيُؤَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَسَرَهُ اللَّهُ فَيُحَلِّمُوا مَا حَسَرَهُ اللَّهُ نُفُوتَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَالْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤١﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُمْ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٣﴾

* في هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

* وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة

الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

* وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعب للقلب، موهن للعزيمة.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

* في هذا دليل على أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾﴾

* في هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿أساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة:﴾

* أعظمها أذية نبيهم الذي جاء هدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
بِهِيَابِ الْحَبِيبِ وَتَزَهُقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَانُوا يُرَوِّدُونَ
﴿٥٤﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَخْرَجًا
لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٦﴾ وَهَنَّهُمْ مَن يَلْمُوكَ فِي
الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْتَعْظَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَسِيرِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُوكُ فُلُوهُنَّ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْعَسِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ أَسْبَغْتَ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَهَنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

* ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

* ومنها: قدهم في عقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا، وأتمهم إدراكا، وأتقهم رأيا وبصيرة.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَآئِفَةٌ بِآيَاتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

يَخْلُقُونَ بِأَلْفِ لَيْسُوا كَمَا وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ وَأَعْتَقُوا أَن بُرْهُونَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ يَقَالُوا أَنَّهُ مِنْ بَيْنَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتَ لَهُ نَارِجَهْمُ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا بِإِنِ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَآئِفَةٌ بِآيَاتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْقَلْبَانُ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَاتِ تَوَجَّهْنَ خَلِيدَاتٍ فِيهِنَّ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارَاتِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿٦٧﴾

* في هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصا السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة. وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيما.

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

* ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾ أي يعيبون، ويطعنون ﴿ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ فيقولون: مراؤون، قصدهم الفخر والرياء. ويلمزون

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ فقبلوا على صنيعهم بأن ﴿ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٦) فإنهم جمعوا في كلامهم هذا، بين عدة محاذير:

- **منها:** تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩].

- **ومنها:** طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

- **ومنها:** أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

- **ومنها:** أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانتة، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثيبتهم بها قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

- **ومنها:** أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

- **ومنها:** أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: «الله غني عن صدقة هذا» كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء إليه ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) [الزلزلة: ٧] وفي هذا القول من الشيطان عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣)

اسْتَفْزِعُوا لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾ فَجَحَّ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْزِرُوا فِي الْحَرْبِ قَوْلَ تَارِجَةَ أَسَدُ حَرًّا تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَيَكْفُلُنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا وَمَا اللَّهُ بِكَاذِبٍ ﴿٨٤﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْلَمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنْ صَارَ بِدَلِّهِمْ أَنْ يُعْذِبَهُمْ فِيهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آتَيْنَا بِاللَّهِ وَتَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَّاكُمْ أَوْ لَوْ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَالُوا آذَنَّاكَ أَفْعَلْنَا مَعَ الْقَعُودِينَ ﴿٨٧﴾

* فيه تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.

﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨٤)

* في ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلح عليه.

* وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررًا في المؤمنين.

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١)

* يستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان، ﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١).

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا
 اللَّهُ مِنْ آخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ
 إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا
 يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ۞

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا
 لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ آخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
 اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
 عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن
 تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
 ﴿٩٦﴾ الْآخِرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
 الْآخْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُفِيءُ مَغْرَمًا وَيَتَرَقِّصُ يَكْفُهُ
 الَّذِينَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
 الْآخْرَابِ مَنْ يُؤْمِرُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُفِيءُ
 قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَهَا فُرْسَةٌ لَهُمْ
 سَبِّحْ تِلْكَ آيَاتِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

* تأمل كيف قال: ﴿ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ

عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ولم يقل:

(فإن الله لا يرضى عنهم) ليدل ذلك

على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم

مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله

يتوب عليهم، ويرضى عنهم. وأما

ما داموا فاسقين فإن الله لا يرضى

عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو

خروجهم عما رضيه الله لهم من الإيمان

والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي.

* وفي هذه الآيات إثبات الكلام لله تعالى في قوله: ﴿ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ

آخْبَارِكُمْ ۞ ، وإثبات الأفعال الاختيارية لله، الواقعة بمشيئته [تعالى]

وقدرته في هذا.

* وفي قوله: ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ۞ أخبر أنه سيراه بعد وقوعه .

* وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ قُرْبَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾ ﴾

يَتَّخِذُونَ الْكُفْرَ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُم قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِن أَمْرِكُمْ وَسَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُؤْتِيكُمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَتَّبِعْكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُم إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّبُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَهَبْتُمْ لَهُمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ يَخْلِفُونَ لَكُم لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٩﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ قُرْبَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

* في هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.

* **ومنها:** أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخفف بحسب الأحوال.

* **ومنها:** فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر

السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله.

* **ومنها:** أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمورة بها، أو تركها إن كانت محظورة - ومن الأمر بها أو النهي عنها.

* ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما.

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ
اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

* هذه الآية دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب. وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف.

﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَمِنْ حَوْلِ كُرْبَةَ الْأَعْرَابِ
مُنْتَفِعُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ مَرَدُّوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ لَا تَسْلَمُهُمْ
تَحْنٌ يَحْلَمُهُمْ سَمِعَ اللَّهُ مِنْ رَبِّهِمْ فِيمَ يَرْجُونَ إِلَىٰ عَذَابِ
عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٠٤﴾ حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١٠٦﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ وَالْقَهَّادَةِ
فَيَتَبَّحَّرُونَ بِمَا كُفِّرْتُمْ لَنْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَخْرُونَ مُرْتَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ
إِنَّمَا يَعِدُهُمْ وَلَمَّا تَوُوبَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٨﴾

* ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ في هذه الآية دلالة على وجوب الزكاة في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمي ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة. وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمي كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب

فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للبقية لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما

صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

* وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا

يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

* وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي أن يكون جهراً، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

* ويؤخذ من المعنى أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّظَرُوا اللَّهَ وَيُحِبِّ اللَّهُ الْمُتَّظِرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ ۖ

عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ .

وفي هذه الآيات فوائد عدة :

* منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار الذي اطلع على مقصود أصحابه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّظَرُوا اللَّهَ وَيُحِبِّ اللَّهُ الْمُتَّظِرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ ۖ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِسْعًا فِي قُلُوبِهِمُ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْقَتْلِ وَإِنْ أَوْفَىٰ وَعُدَّ عَلَيْهِمُ اللَّهُ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٨١﴾

* **ومنها:** أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منها عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

* **ومنها:** أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها. كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

* **ومنها:** النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

* **ومنها:** أن المعصية تؤثر في البقاء، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد (قباء) حتى قال الله فيه: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ﴾، ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

* **ومنها:** أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية أربع قواعد مهمة، وهي:

- كل عمل فيه مضارة لمسلم.
- أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر.
- أو فيه تفريق بين المؤمنين.
- أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه.

* **ومنها:** أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها، ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

* ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى.

* ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم. والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ
الرَّكُوعُ التَّيْبُوتُ الرَّكُوعُ الرَّكُوعُ الرَّكُوعُ الرَّكُوعُ
وَالنَّاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَقِيقَةُ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّاتِ أَنْ يَقُولَنَّ
أَنْ يَسْتَفْتُوا بِالْمُنْكَرِ وَلَوْ كَانَ أُولَىٰ فَرِيضَةً
مِنْ عَدُوِّ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجَرِ ﴿١١٥﴾ وَمَا
كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَخِيهِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ
إِنَّمَا تَعْبُدُونَ الْتُجَاهُوتَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَدُّ حَيْثُ وَجَدَ مِنَ اللَّهِ مَخْرَجًا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَمْلُوكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْهَرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

* في هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه.

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

خَلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

* وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى

النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عبادته، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

* **ومنها:** لطف الله بهم، وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

* **ومنها:** أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

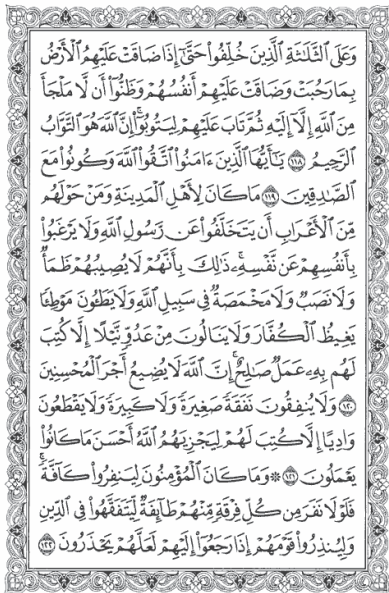
* **ومنها:** أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يخرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

* **ومنها:** أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

* **ومنها:** أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خُلِفُوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتَّ في قبول عذرهم، أو في رده] وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: (تخلفوا).

* **ومنها:** أن الله تعالى منَّ عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالافتداء بهم فقال: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرتبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا يمشون في سبيل الله ولا يطلبون موئلاً يتخطأ الكفار ولا يتألمون من عدوٍ تبلى الأكياب لهم يوم عمل صلح إرث الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا أكتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴿١١٩﴾ وما كان المؤمنون لينتفخوا في الذين وليدروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴿١٢٠﴾

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ



مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

وَعَلَى الْفَلَكَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فَتُوبُوا عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢١﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾



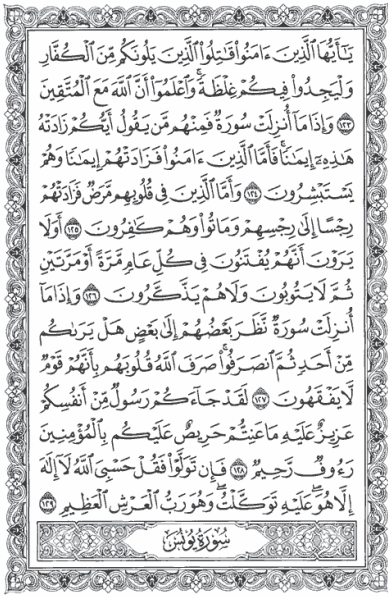
* في هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

* في هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمى له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما.

* وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبية لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن



المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَئِكَ يَتُوبُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

* في هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميّه، ليكون دائما في صعود.



سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس (مكية).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّيَالَةَ أَيُّكَ الْكَبِيرُ ﴿٥﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَرْتَحِبْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ وَيُنِيرَ الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقِي عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكُفْرُونَ
إِنَّ هَذَا السِّجْرُ مِثْلُ آبِ الرَّيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَعَهُ إِذْ يَدْعُكَ اللَّهُ رَبُّكَ فَاقْبُدْهُ
أَقْلَابًا تَدْرُكُونَ ﴿٦﴾ إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ حَمِيمٍ
وَصَدَائِقِهِمْ يَسَآكُونُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

* في هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تفتح البصيرة، ويزداد الإيـان والعقل، وتقوى القرية، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيـان، وجمود للذهن والقرية.

﴿وَلَوْ يُعِجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

* يدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه هلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حلـم حكيم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرْنٍ

غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

* دل قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ الآية، أن الذي حملهم على هذا التعنت الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بلقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بلقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

* في هذا دليل على الثبوت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده، قبل أن يحيط به علمًا.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

* دل قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ الآية، أن النظر إلى حالة النبي صلى الله عليه وسلم،

وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

﴿وَإِنَّمَا زُيِّنَتْ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفَيْتَكَ فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

* فيه الوعيد الشديد لهم، والتسلية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْءِيَّةَ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَلْفُسَهُمْ زِينَةً يَوْمِئِذٍ يَحْسُرُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ هُوَ كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَلْسَانًا مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا زُيِّنَتْ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفَيْتَكَ فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَعْمُوا لِي كُلَّ أُمَّةٍ إِنْ أَدَاءَ أَجَلِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤٩﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ اللَّهِ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَفَلَا إِذَا مَا وَقَعَ آتَانَهُمْ بَيِّنَاتٍ وَقَد كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَخِي هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۗ إِنَّ اللَّهَ

أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾

* يستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ

إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾

الآيَاتُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَّخِذُونَ الْبَدْنَثَ فِي الْآخِرَةِ ۗ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُنَّ الْعَيْسَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ الْآيَاتُ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۗ إِنَّ يَشْعُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۗ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْضَعُونَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ الْيَتِيمَ الَّذِي يَتَّبِعُونَ وَأَتَاهُم بِمَصْرُورٍ ﴿٦٤﴾ فِي ذَلِكَ لَا يَكْفُرُ الْقَوْمُ بِسَعْمُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِحُونَ ﴿٦٧﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثَمَّ إِنَّا نَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾

* يقول تعالى مخبراً عن بهت المشركين لرب العالمين: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ فزعه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿ سُبْحٰنَهُ ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علواً كبيراً، ثم برهن على ذلك، بعدة براهين: - أحدها: قوله: ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: الغني منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له

الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنياً من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد؟ الحاجة منه إلى الولد؟ فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.

- البرهان الثاني: قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد ممالك. ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون

له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقاً ولا مملوكاً. فملكته لما في السماوات والأرض عموماً، تنافي الولادة.

- البرهان الثالث: قوله: ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن الله ولداً، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وأعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٨) فإن هذا من أعظم المحرمات.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنَبِّئُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلَمْ يَأْتِكُمْ مَلٰٓئِكَةٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا الْفُتُوٰقَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهٖ اِلَّا سِحْرٌ مُّضِلٌّ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٢٠﴾ وَيُحْيِي اللّٰهُ الْحَيَّ بِكُلِّ نَفْسٍ وَّاَوْكَعَهُ
الْمُجْرِمُوْنَ ﴿٢١﴾ فَمَاءَ اَمِنَ لِمُوسَىٰ اِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهٖ عَلَى
خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهٖمَ اَنْ يَفْتِنَهُمْ فَاَنْ فِرْعَوْنَ لَعَلَّ
فِي الْاَرْضِ وَاِنَّهٗ لَمِنَ الْمُنٰفِقِيْنَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يٰقَوْمِ اِنْ
كُنْتُمْ اٰمِنُ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْا اِنَّ كُنْتُمْ مُّسْلِمِيْنَ ﴿٢٣﴾
فَقَالُوْا اَعَلِ اللّٰهُ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ
﴿٢٤﴾ وَجٰٓئَتْ اَرْحَمٰتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴿٢٥﴾ وَاَوْحَيْنَا اِلٰى مُوسَىٰ
وَاٰخِرُهٗ اَنْ تَوَكَّلْ عَلَیْنَا بِحُضْرٰتِنَا وَاَجْعَلْ اٰیٰتِنَا
اٰیٰتٍ وَّاٰمِنُ بِاللّٰهِ وَنَبِّئِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا اِنَّا كُنَّا لَمِنَ الْفٰٓتِكِ وَفِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهٖ زَيْنَةً وَّاَمْوَالًا فِی الْحَيٰوةِ
الْدُّنْيَا رَبَّنَا اِجْعَلْ لِّمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًا رَبَّنَا اَطْمَٔنِّنْ عَلٰى اٰمُوْلِهٖمَ
وَاَسْخُدْ عَلٰى قُلُوْبِهٖمَ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتّٰى يَرُوْا الْعَذَابَ الْاَلِيْمَ ﴿٢٧﴾

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ اِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهٖ﴾
﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهٖمَ اَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾
﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهٗ لَمِنَ
الْمُنٰفِرِيْنَ﴾ (١٨)

* الحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن
لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية
والشباب أقبل للحق، وأسرع له
انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن

تربى على الكفر فإنهم - بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة - أبعد
من الحق من غيرهم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيْمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيْلَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٩)

* هذا دليل على أن موسى، [كان] يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، وأن الذي
يؤمن يكون شريكاً للداعي في ذلك الدعاء.

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَوَيْتُمْ وَلَا تَجْعَلُوا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَجَوِّزْنَا بِنَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ بِلِ الْبَيْتِ فَاتَّبِعُوهُ وَيُحْسِنُوا وَجُودُهُ بِغَيْرِ عَدْوٍ وَأَحْسِنُ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ بِتَوَاتُرٍ بِلِ الْبَيْتِ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ءَالْقُرْآنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ ءَالْيَوْمِ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِيَسْكُنَ لَعْنُ حَلْفِكَ ءَابِيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَابِيَتِنَا لَيَقُولُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ تَوَاتَرْنَا بِنَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ بِلِ مُبْتَوًى صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ قَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ قِبَلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَتَوَجَّاهُ نُفُورًا كَلِمَةَ رَبِّكَ حَتَّى يَسْرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٢﴾

* **إن قيل:** إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته، والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

﴿ **فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:**

* **منها:** أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم. وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ(عبدالله بن سلام) [وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وخلفائه، ومن بعده] و«كعب الأخبار» وغيرهما.

* **ومنها:** أن شهادة أهل الكتاب للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه. فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخريهم على إنكار ذلك لم يقدح بما جاء به الرسول.

* **ومنها:** أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد. ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فلو كان عندهم ما يريد ما ذكره الله، لأبدوه وأظهروه وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

* **ومنها:** أنه ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب. فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة.



سُورَةُ هُودٍ

﴿سورة هود (مكية).﴾

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ ۖ وَضَائِقٌ بِهِ ۖ صَدْرُكَ ۚ أَنْ يَقُولُوا ۖ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ۖ كِتَابٌ ۖ أَوْ جَاءَ مَعَهُ ۖ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ۖ افْتَرَبَهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ ۖ مُفْتَرِيَاتٍ ۖ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا ۖ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ۖ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْخَيْرَ
الَّذِي تَارِبُ رِيْبَتَهَا نُوْفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا وَهَمَّ فِيهَا
لَا يَجْحَسُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
الْأَسْأُ وَحَيْطٌ مَا سْتَعْمَلُوا فِيهَا وَتَطِيلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتٍ مِنَ رَبِّهِمْ وَشَلُوهُ شَاهِدًا مَعَهُ وَمَنْ قَبْلِهِ
يَكْتُبُ مَوْجِبَ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنْ الْأَخْرَابِ قَالَ مُرِيعَةُ فَلَا تَأْكُ فِي مِرْيَقَتِنَا إِلَهَ
الْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ
أَطْلَعَهُمْ عَلَىٰ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِيهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾

* في هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصدده اعتراض المعارضين، ولا قدح القادحين. خصوصا إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدر فيها دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك ماضيا على أمره، مقبلا على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب.

* وفيها: أن هذا القرآن معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

* وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧).

* دل هذا على أن نوحا، عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله: ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الدِّينِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ (٢٧)، بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم، والمراجعة فيهم.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٦١).

إِنَّ قَوْلَ إِلَّا أَعْرَضَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِسُوءِ قَوْلِ إِنْ أَشْهَدَ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ وَمَتَّانَةٌ كَرْتٌ ۖ مِنْ ذُوَيْهِ فَيَكُونُ جَمِيعًا لَا تُنْظَرُونَ ۖ إِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا أَهْوَأَ لِحْدَيْهَا صَبَّحَتْهَا أَنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۖ فَإِنْ قَوْلُوا فَقَدْ أَنْفَعْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ وَبَسَّخْنَا رِيبَ قَوْمًا عَازِرِينَ وَلَا تَضُرُّونَهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ الْهَادُونَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَرَحِمْتَنَا وَنَحْنُ نُهْرِمُهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَتِلْكَ آيَاتُ جَدِّكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى وَآلِهِمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ اللَّهِ وَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ وَاتَّبِعُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلْنَا بِكُمْ فِي شَأْنِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِقِينَ ۚ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۖ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَنفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۖ

* اعلم أن قربته تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربته بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) [ق: ١٦]، والقرب الخاص: قربته من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١١) [العلق: ١٩] وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وهذا النوع قرب يقتضي إلفه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه (القريب) اسمه (المجيب).

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيدٍ ﴿٦١﴾

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي وَآتَيْتُمْنِي مِنهُ رَحْمَةً مِّن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦١﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٢﴾ فَصَرَّوْهَا فَفَالَ تَمَسُّوْا فِي دَارِكُمْ فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ وَعَدُّ عَثْرَتَيْ دُوبٍ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرًا بِحَيْثُ تَصَلُّوا صَالِحًا وَالذِّينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمٍ إِذِ ان رَّبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِينِهِمْ جُنُودًا كَانُوا لِرَبِّهِمْ أَكْثَرًا ﴿٦٥﴾ وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا نُرْسِلُكَ إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٦٧﴾ وَأَمْرًا أَنَّ قَابِيلَةَ فَضَحَكَ فَشَرَّهَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَمِنْ زَوْجِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾

* في هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* وأن السلام قبل الكلام.

* وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوِرَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا

تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقَوِرَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ

تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقَوِرَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ

رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ

وَيَقُولُ لَا يُجْرِمَنَّكَ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكَ بِمَثَلِ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ بِغَيْرِكُمْ بَعِيدٍ ۝ وَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي أَنْ تَرَىٰ رَجِيمًا وَذُوْدٌ ۝ قَالَ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتَ مَنَافِقَهُ كُنْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ أَوْلَا أَتَىٰكَ فِتْنًا صَاعِمًا ۝ لَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيدٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَهُ ظَهْرًا ۝ إِنَّا رَبُّكَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَّتِنَا شُعْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ۝ كَانُوا لَرِيفَتِهَا أَهْلًا بِأَعْدَاءِ الْمَدِينِ كَمَا بَدَتِ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَعْمَارًا مَرَّةً وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيدٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ

ظَهْرًا ۖ إِنَّا رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَّتِنَا شُعْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَرِيفَتِهَا أَهْلًا بِأَعْدَاءِ الْمَدِينِ كَمَا بَدَتِ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

* وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي

قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير:

- منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك.
- ومنها: أن نقص المكايل والموازين، من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان

سرقتهم في المكايل والموازين موجبة للوعيد، فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى.

- **ومنها:** أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِنِّي أَرْزُقُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

- **ومنها:** أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام، وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ففي ذلك من البركة، وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

- **ومنها:** أن ذلك من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم.

- **ومنها:** أن الصلاة لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية.

- **ومنها:** أن المال الذي يرزقه الله للإنسان - وإن كان الله قد خوله إياه - فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاؤون ويختارون، سواء وافق حكم الله، أو خالفه.

- **ومنها:** أن من تكلمة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَمَا

أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمُ إِلَى مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ ﴿٢﴾، ولقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

- **ومنها:** أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع المفسد وتقليلها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة. وحقيقة المصلحة، هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية.

- **ومنها:** أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه، وفي غيره ما يقدر عليه.

- **ومنها:** أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعينا بربه، متوكلا عليه، سائلا له التوفيق، وإذا حصل له شيء من التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

- **ومنها:** الترهيب بأخذات الأمم، وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر. كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

- **ومنها:** أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: «إن التائب إذا تاب، فحسبه أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود» فإن

الله، قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿١٠٠﴾.

- ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان. فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدينية، لكان أولى، من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملاً وخدماً لهم. نعم؛ إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَفْعُلُونَ هَلْؤَلَاءُ مَا يَشْعُرُونَ إِنْ كُنَّا بِعَبْدٍ
 ءَابَاءُ أَهْلِهِمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُقُونَ لِحُكْمِهِمْ غَيْرَ مُنْفَرِينَ
 ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَتَوَلَّى كَلِمَةً
 سَبَّحْتَ مِنْ رَبِّكَ فَخَضِعْ يَدَيْهِمْ وَأَنْضِبْ لِي سَكِّ مِنْهُ مُرِيبٌ
 ﴿١٠١﴾ وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيَوْمِ يَوْمِ رُبُّكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ إِنْهُمَا يَمَّا يَعْمَلُونَ
 حَبِيرٌ ﴿١٠٢﴾ فَأَسْتَفْتِرُكُمْ أَيُّرْتَبُ وَمَنْ نَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعَمَا
 إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
 تُنصَرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَأَقْبِرَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلَاتِ
 الْيَلِ إِذْ أَلْحَسْتِ بِذَهَبِ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ
 لِلذَّكِرِينَ ﴿١٠٥﴾ وَأَضِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٠٦﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُجْلِكَ الْقُرْبَىٰ يُظْلَمُونَ وَأَهْلُهَا مُضِلُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
 وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
 تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

* في هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى

الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسال الله العافية من الظلم.

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٥)



* في هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦)



* في هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس،

قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إماما في الدين، إذا جعل عمله خالصا لرب العالمين.



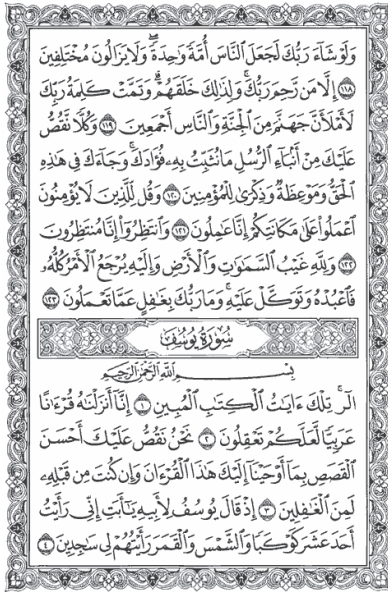
فَلَا تَكُ فِي مَرْجَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَذُلًا وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُرَفُوهُمْ يُضَيِّعُ عَنْهُمْ مَنْعَهُمْ
 ﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَوَلَّى كَلِمَةً
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقِضَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
 ﴿١١٦﴾ وَإِن كَلَّمْنَا الْيُوسُفَ نَحْنُ رَبُّكَ فَاعْتَمَلْهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
 حَيْرٌ ﴿١١٧﴾ فَاسْتَفْعِرَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ نَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَلَّعْنَا
 إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصَبْرٍ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَتَمَسَّكُوا النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٩﴾ وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ عَطْفٌ فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ
 أَيْلٌ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ
 لِلذَّكَّيرِ ﴿١٢٠﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٢١﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

* سورة يوسف (مكية).

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ

مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ * .



* اعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرِك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر

يتتهي إلى هذا الحد قبحا! فإن تضاعف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ * .

* فيه بشارة له بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣١)

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَهُنَّ رَبِّيَ، كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَسْتَجَبْنَا لِأَبَايَ وَقَدَّتْ قَيْصُومَهُ، مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْني عَن نَّفْسِي، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَيْصُومُهُ، وَقَدْ مِّنْ فُجُورٍ قَصِدَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ قَيْصُومُهُ، وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُومَهُ، وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا، وَأَسْتَفْهَرِي لَدُنِّيكَ، إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّاها عَن نَّفْسِهَا، فَدَسَقَهَا جَنَابًا، وَإِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾

* هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا، وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١)

* كان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وترهين إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾

* هذا يدل على أن النسوة جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيده، وجعلن يكذنه في ذلك.

﴿ وَاتَّبَعَتْ مَلَءَءِ ابَاءِ عِزْرِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾

وَاتَّبَعَتْ مَلَءَءِ ابَاءِ عِزْرِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصِيحِي السِّجْنَ وَأَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ حَبِيرٌ أَوَ اللَّهُ الْتَجِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَشْرًا وَءَابَاءُكُمْ فَمَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهِم مِّن سُلْطَانٍ إِن لَّكَ لَآلَاءُ اللَّهِ أَمْزِلْهُمْ وَإِلَّا يَأْتِيَهُمُ الذِّكْرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْصِيحِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا يَسْتَعِي رَبَّهُ رَحْمَةً وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الْقُلُوبُ مِن رُّءُوسِهِمْ فَضَى الْأُممُ الَّذِي فِيهِ قَسَمَ لِي بِيَانٍ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَدَ السِّجْلُ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَلَظِيَ فِي السِّجْنِ بِضَعِّ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سِتْرَ بَقَرَاتٍ يَمْشِيْنَ يَأْكُلْنَ سِنِينَ عِجَافًا وَسَمِعْتُ سُبْحَانَ حُضْرٍ وَأَخْرَجَ بَابِي بِأَيْمَانِهَا أَمَلًا أَفْئُونِي فِي رُءُوسِي إِن كُنْتُمْ لِلزُّلْمِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

* في هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتين لما تقرر عنده أنها رأياه بعين التعظيم والإجلال - وأنه محسن معلم - ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث منَّ عليَّ بترك الشرك واتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتهما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

﴿ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾

* ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإننا لا نعبرها. فجمعوا بين الجهل والحلم بأنهم أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا.

* وهذا أيضاً من لطف الله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملائ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها - لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبها يوسف - وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألمهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيامة، أن يلمهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «أنا لها، أنا لها» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فبسبحان من خفيت أطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان إلى خواص أصفياه وأوليائه!

﴿ قَالُوا سَنُرْوِدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ٦١ ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَنَّهُمْ فِي

﴿ وَمَا أُوتِيَ نَفْسٌ إِذْ نَفْسٌ لَأَتَمَّ أَرْبَابُ السُّوءِ إِلَّا مَا رَزَقَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَزِيزٌ ذُو جَبَرٍ ﴾ ٦٢ ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ بِهَذَا فَخَلَقَهُ نَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ ٦٣ ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ ﴾ ٦٤ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا أَمْرًا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٦٥ ﴿ وَلَا نُجْزِ الْأَجْرَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْبُرْجَانُ وَأَمْرًا وَسَكْرًا وَأُوتِيَ حِجَابًا وَجَنَّةَ إِخْوَةٍ يُوسُفَ فَخَلَعُوا عَلَيْهِ فَعَرَقُوهُ وَهَرَبَ لَهُ مِنْ مَكْرُهُمْ ﴾ ٦٦ ﴿ وَلَمَّا جَاهَهُمْ بِجَاهِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِي بِأَجْرٍ لَكُم مِّنْ أَيْمَانِكُمْ إِلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أَرْبُؤُ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ٦٧ ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُوا بِيَدِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُم بِنِعْمِي وَلَا تَتَّقُونِ ﴾ ٦٨ ﴿ قَالُوا سَنُرْوِدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ٦٩ ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَنَّهُمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٧٠ ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ ﴾ ٧١ ﴿ قَالَ هَلْ ءَأَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَأَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِيظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ ٧٢ ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَنَّهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَعْنَنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزَادُ كَيْلَ

رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَأَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَأَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِيظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَنَّهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَعْنَنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزَادُ كَيْلَ

بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ .

* ﴿قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ دل هذا على أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم ﴿وإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ لما أمرتنا به.

* ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضِعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ هذا دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها. ف ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم - ترغيباً في إرسال أخيهم معهم: ﴿يَتَأَبَانَا مَا نَبْنِغِي﴾ أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وثق لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعِبْرَةُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا لَقَدْ ضَلَّ صَوَاحُ الْمَلِكِ وَلَيْسَ جَاءَ بِهِ بِعَبْرٍ وَآتَاهُ بِهِ رَجِيمٌ ﴿٦٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَفَمَاجِرُؤُوهُ إِن كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجْرُؤُوهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جِرُؤُوهُ كَذَلِكَ يَجْرِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ قَدَّ أَبَا عَيْبَةَ فَفَعَلَ عَوَاءُ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ عَوَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخِيهِ أَنْ يَدِينُ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرَفَعَ ذَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ وَتَوَقَّى كَيْلَ ذِي عَالِمٍ عَلَيْهِ ﴿٧١﴾ قَالُوا إِن يَسْرِفْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَفَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرِكٌ لِّي أَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا نَسِيحًا كَذَبًا فَكُنْ لِأَخِيكَ مَكَّةً لَهُ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٣﴾

* فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهمهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: «تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق».

﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾

وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

* دل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه .

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾

* ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ هذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْيُسُفُفَ الْفَتَى عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا
يَبْنَائِنَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٠﴾ قَالَ سَوْفَ
اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾ فَلَمَّا
كَحَلُوا عَلَى يُوسُفَ فَأَنَادَ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿٩٢﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّي
قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمَلَكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَأَطِرَ الْمَسْمُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تُوفِّي مُسْلِمًا وَرَاحِلًا بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْعَلَمِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَشَاهِدَ إِذْ اجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ
وَمُزِمَكُونُ ﴿١٠٢﴾ وَمَا كُنْتَ مِنَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

* هذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الحب، لتتام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: (أحسن بكم) بل قال: ﴿ أَحْسَنَ بِي ﴾ جعل الإحسان عائدا إليه، فتبارك من يختص برحمته

من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

* ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ﴿١٠٠﴾ فلم يقل (نزغ الشيطان إخوتي) بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة .

فصل في ذكر شيء من الفوائد في هذه:

* **من ذلك:** أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنّة، ومن ذل إلى عز، ومن رُقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع واتتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيّنّها.

* **ومنّها:** أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين.

* **وجه المناسبة فيها:** أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

* **ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث،** فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته.

* **ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود [له] معظم محترم،** فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبيه وإخوته.

* ومن لازم ذلك أن يكون مجتبي مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾. ومن المناسبة في رؤيا الفتين، أنه أول رؤيا الذي رأى أنه يعصر خمرا، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن.

* وأول الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

* وأول رؤيا الملك للبقرات والسنبلات، بالسنين المخسبة، والسنين المجدبة. ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمر المعاش أو عدمه.

* وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقى عليها الماء، وإذا أخضبت السنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافا، وكذلك السنبال في الخصب، تكثر وتخضر، وفي الجذب تقل وتيبس، وهي أفضل غلال الأرض.

* ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قصص على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أمي لا يحط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون.

* **ومنها:** أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تحشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* **ومنها:** أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* **ومنها:** أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

* **ومنها:** أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

* **ومنها:** الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث حصل من الإخبار بالكذب والافتراء، ما حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

* **ومنها:** أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين. ولهذا - في أصح الأقوال - أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣] وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة.

* **ومنها:** ما من الله به على يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به، وتمم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به. ثم بره العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

* **ومنها:** أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقاءه أرضا، وقال قائل منهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

* **ومنها:** أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال، فإن يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَامُ** باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاما رقيقا، وسماه الله شراء، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم.

* **ومنها:** الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توخّدها بيوسف، وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

* **ومنها:** أن الهمّ الذي همّ به يوسف بالمرأة ثم تركه الله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»، وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزما، ربما اقترن به الفعل.

* **ومنها:** أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [٢٤] على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، وخلصه من السوء والفحشاء.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية، لأن يوسف عليه السلام - لما راودته التي هو في بيتها - فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها.

* **ومنها:** أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة. وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقده من دبره على صدق يوسف وكذبها. ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصاً إذا كان معروفًا بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة، وكذلك وجود الرجل يتقياً الخمر، أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد، حاملاً فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمي الله هذا الحاكم شاهداً فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

* **ومنها:** ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب، وللنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها، وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، وقالت بعد ذلك: ﴿الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وقالت النسوة: ﴿حَشَى لِّلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

* **ومنها:** أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة،

ولهذا من علامات الإيثار، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقي في النار.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣).

* **ومنها:** أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضارا لصاحبه.

* **ومنها:** أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة، فـ (يوسف) **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك. ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيها قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقال له: ﴿إِنَّا نَرْنَكَ **مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٣١)، وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده - رأى ذلك فرصة فانتهازها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولا، أن الذي أوصله إلى الحال التي رآها فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه.

* **ومنها:** أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا - قدم لهما قبل تعبيرها دعوتها إلى الله وحده لا شريك له.

* **ومنها:** أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتين: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه، وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قد قال، ووصى أحد الفتين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه.

* **ومنها:** أنه ينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته.

* **ومنها:** أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

* **ومنها:** فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال

يوسف، فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

* **ومنها:** أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المرثي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٤١)، وقال الملك: ﴿ أَقْتُونِي فِي رُءْيَايَ ﴾، وقال الفتى ليوسف: ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

* **ومنها:** أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٥)، وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يدم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فهذه الأمور ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

* **ومنها:** أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيثار والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ (٥٧).

* **ومنها:** أن جباية الأرزاق - إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم - لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجذبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه.

* **ومنها:** حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله.

* **ومنها:** مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ٥٩.

* **ومنها:** أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عاجلوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وقال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم لما احتبس يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة - وإن لم يكونوا مفرطين - فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه ولا حرج.

* **ومنها:** أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لابنيه: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

* **ومنها:** جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

* **ومنها:** أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يجب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعارض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّوع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾، ولم يقل: (من سرق متاعنا)، وكذلك لم يقل (إنا وجدنا متاعنا عنده)، بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

* **ومنها:** أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾.

* **ومنها:** هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويجزئه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)، ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفي بما وعد به، ولا ينافي ذلك، قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾، فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين.

* **ومنها:** أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرابا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يتلي أوليائه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد - بذلك - إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

* **ومنها:** جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ﴾ ولم ينكر عليهم يوسف.

* **ومنها:** فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها، أحسن العواقب، لقوله: ﴿قَالُوا لَأَنَّا لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكرا حاله الأولى، ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها، لقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾.

* **ومنها:** لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ لِي ۗ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١١﴾﴾.



سُورَةُ الرَّعْدِ

﴿سورة الرعد (مدنية)﴾.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾

وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمًا لَهُمْ بِالْعُذُوْرِ الْاَصْبَالُ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلْ اللهُ قُلْ اَفَاتَّخَذُ مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُوْنَ اِلٰهًا غَيْرُهُ فَغَمًّا لِمَنْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَنْثَرُ وَالْبَصِيْرُ اَمْ هَلْ تَسْتَوِي السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلِمَةً فَتَقْتَلِبُ عَلٰی عُلُقِهَا قُلْ اللهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاكَ اَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبْلُ زَيْتًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ اَنْبِيْعَةٌ حَلِيْمَةٌ اَوْ مَسْمُومَةٌ زَيْدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذٰهُبُ جَفَاً وَاَمَّا الْمَتِفِقُ النَّاسُ فَصَمُّوْا فِي الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِيْنَ اَسْتَجَابُوا لِرُوْحِهِ الْحَسَنِ وَالَّذِيْنَ لُوْا بِسَتْجِيْبُوْا لَهُ لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَقٰبِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدُوْا بِرُوْحِهِ اَوْلٰئِكَ لَهُمْ سُوْرَةُ الْحِسَابِ وَمَا وَنُهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمُهَادِ ﴿١٨﴾

* تشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْضَحْ لَهُمْ آبُورُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

[الأعراف: ٤٠].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

* ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول، من آمن واتبع الحق صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

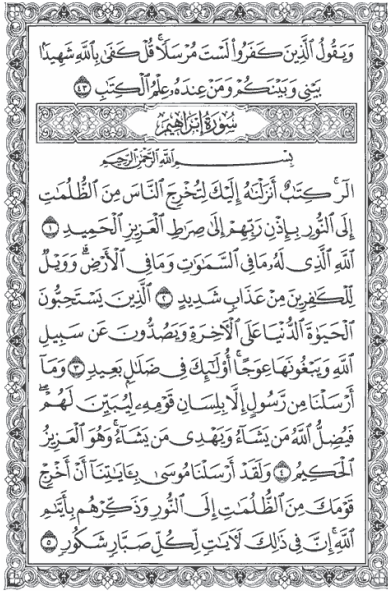
* وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم، والله أعلم.



سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

﴿ سورة إبراهيم (مكية) ﴾

﴿ الرَّكِّتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾



* في ذكر ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿١﴾ بعد

ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. وليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما الله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه

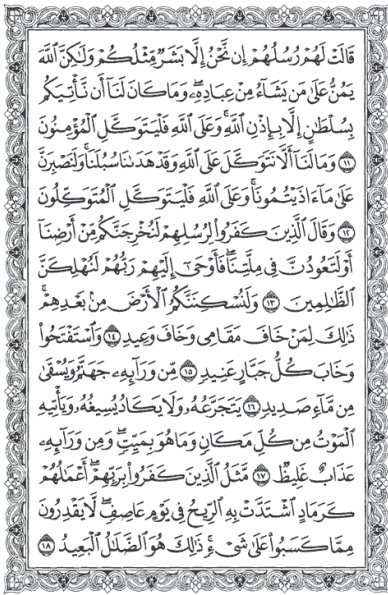
مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقا ورزقا وتدبيراً، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

* يستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم، وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا ﴾

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١﴾



* في هذا كالإشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بأية عظيمة، وهو أن قومهم - في الغالب - لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدثهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه:

﴿ يَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِعَايِنِ اللَّهِ فَاعْلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس : ٧١] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ

أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ
هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾

* ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١١﴾ يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم
ويأت بقوم غيركم يكونون أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ
يفنكم، ثم يعيدهم بالبعث خلقا جديدا، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره
بعده من أحوال القيامة.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ
فَأَخْلَفْتَكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
وَلَوْ مَوْأَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٢﴾

* هنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم
﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤]، واعلم أن الله ذكر في هذه الآية

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿١١﴾ وَيَرْزُقُوا لَكُمْ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفَلِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا
قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ
فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا
أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنْفُسَكُمْ
مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَجْرِي
فِيهَا سَائِرٌ ﴿٢٢﴾ الرَّزَقُ كَيْفَ حَبَّرَ اللَّهُ مَتَلَا كَعَلْمَةَ طَبِئَةَ
كَنْجَرٍ وَطَبِئَةَ أَصْلَاهَا ثَابِتٌ وَقَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾

أنه ليس له سلطان، وقال في آية
أخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ
يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾
[النحل: ١٠٠]، فالسلطان الذي نفاه
عنه هو سلطان الحجة والدليل،
فليس له حجة أصلا على ما يدعو
إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من
الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على
المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو

التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يُؤزّهم إلى المعاصي أزا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بمولاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

﴿يُثِبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣٧)

* في هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِمَا تَعْمَلُونَ كَفَارٌ﴾ (٣٤)

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِمَا تَعْمَلُونَ كَفَارٌ ﴿٣٤﴾ وَتَعْبُدُونَ اللَّهَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٣٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٦٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٧٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٠﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩١﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٤﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٥﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٦﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٨﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٩٩﴾ وَتَقُولُونَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾

* في هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره، ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧)

* افترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم، وجعل فيه سرا

عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما

أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ ٤٥ ﴿

* يدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسول لينصر باطلا، أو يبطل حقا، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله شيئا وإنما ضرروا أنفسهم.



مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُ يُدْأَبٍ وَأَقْبَدَتْهُمُ هَوَالِكُمْ ۖ وَأَنْذَرْنَا النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَاتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُوْتِرْتُمْ كُفْرًا أَنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا تَخْشَ بَلَّ اللَّهِ فَتُلْفِئَ وَتَعْدُوهُ رُسُلَهُ ۖ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُرِّيَّتِي ۖ يَوْمَ بَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَجِدَ الْقَهَّارِ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّبِينَ فِي الْأَصْحَادِ ۖ سَرَابٍ مُّهِمٍّ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ تَقْوٍ تَمَا كَسَبَتْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِمْ وَيَتَعَامَرُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ

سُورَةُ الْحَجَرِ

﴿سورة الحجر (مكية).﴾

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣١﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آدْخُلُوها بِسَلَامٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ يُرْتَضَوْنَ ﴿٤٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٤﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦١﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٤﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٥﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨١﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٥﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩١﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٤﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٥﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٦﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٩﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾

* ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيماً لأمر الله، وإكراماً لآدم حيث علم ما لم يعلموا.

* ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ فيها وما أشبهها

دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير.

* وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه،

وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع

مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُمُيُونَ ﴿٤٥﴾ أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ .

* ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾

إِذْ دَعَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا إِنَّا مِنَ الْمَكْرُوفِينَ ﴿٦١﴾ قَالُوا لَا تَجِدُ لَنَا بُشْرًا يَكْفِيكَ عَلَيْهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ ابْتَزُّوا مُنَىٰ عَنْ رَأْسِ مَنَسِي الْكَرِيمِ يُبَشِّرُونِ ﴿٦٣﴾ قَالُوا ابْشُرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِئِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْتِظْ مِن رَّحْمَةِ رَبِّي وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَكْتُبُكُمْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٧٣﴾ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٧٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٧﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾

﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ .

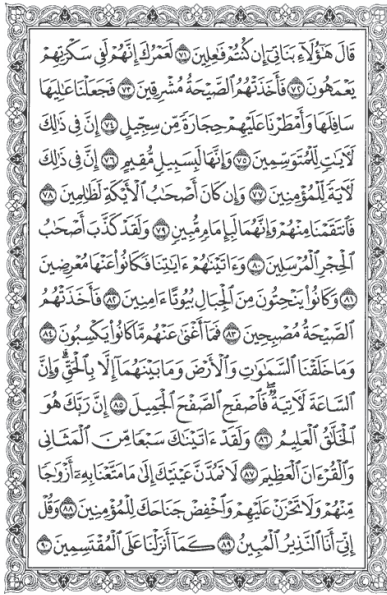
﴿في هذه القصة من العبر:﴾

* عنايته تعالى بخليته إبراهيم، فإن لوطا عَلَيْهِ السَّلَامُ من أتباعه، ومن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر

رسله أن يمروا على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كي يبشروه بالولد، ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عَلَيْهِ السَّلَامُ في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

* وكذلك لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرافة بهم قدر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِنَّ مَوْعَدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ﴿٨١﴾ [هود: ٨١].

* ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.



﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

* ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ﴿٨٥﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتتال من ربك، جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب.

* وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا، وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.



سُورَةُ النَّحْلِ

﴿سورة النحل (مكية).﴾

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَاءِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ آيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَاءِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ آيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي الْأَرْضِ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَائِبِينَ ﴿٣٨﴾ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَلَذُوا الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى وَلَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَذُوا الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَذُوا الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴿٤٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحْرَمُونَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٤١﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ وَرَبُّكَ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ الْمُنْتَفِرِينَ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا كَمَا نَسَلِّمْ عَلَيْكَ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيْتَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَخِصَابٌ بِهَرْمًا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٥﴾

* في هذا فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارا عند الله وعند خلقه .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

* عموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله

المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتركية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٦)

* وجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقة تصلح للطيران، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف، ثم أودع فيها من قوة الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٨١)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَعْيُنِ بُيُوتًا نَسَتْ خِفْتُنَّهَا يَوْمَ ظَلَمْتُمْ وَأَقَامْتُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتْنَا وَمَتَّعْنَا إِلَى حِينٍ ﴿٥٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ النَّبِيُّنَ ﴿٥٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا وَأَكْفُرُوهَا الْكُفْرُونَ ﴿٥٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْتُونَ الْكَلِمَةَ كَفَرُوا وَأَلْهَمُوا يَسْتَعْتِبُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ آذَانُ الَّذِينَ ظَلَمُوا السَّمْعَاتِ فَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ آذَانُ الَّذِينَ أَسْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا لَنْ نَبْهَرَهُم بِالْقَوْلِ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦١﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ يَزِيدُ الْكَاذِبِينَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٢﴾

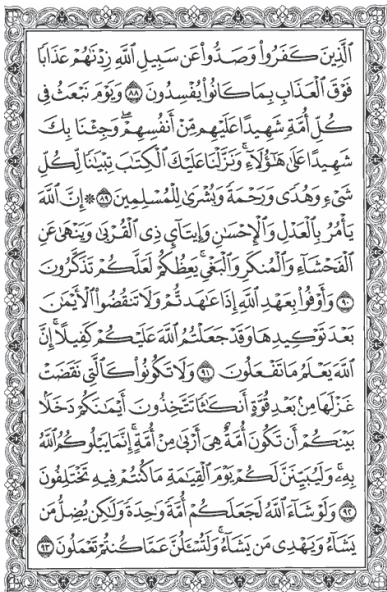
* ﴿ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ ﴾ ولم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم وأخرها في مكملاتها وامتدادها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴾

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨١)

* ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين بالفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يشني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها

عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبيدها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودينياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم.



﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧٧﴾

* صارت هذه الآية جامعة لجميع
المأمورات والمنهيات لم يبق شيء
إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع
إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة
مشملة على عدل أو إحسان أو إيتاء

ذي القربى فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء. ولهذا قال: ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرركم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسدتم سعادة لا شقاوة معها.

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ كَذِبًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَشْفَعُوا لِعِبَادِنَا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ أَتَىٰهُ مِن مَّوَدِعٍ فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَسَبَ عَمَلِهِ طَائِفَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبْوِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهُ مُسْرِكُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا بَدَلْتُمْ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَآلَهُ عُلْمٌ بِمَا يُبَدِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَلَنَزَّلَهُنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

* في هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصا الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضررا على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه وتقديمه على حق الله، فإن هذا الزهد واجب. ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق والتفاوت ما يدعو إلى إيثار أعلى

الأمرين [وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا زهدا صحيحا حتى يقوم

بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع.]

﴿ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٦)

* دل ذلك على أن كلام المكروه على الطلاق أو العتاق أو البيع أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها فغيرها من باب أولى وأحرى.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥)

* من الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدء بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقيم به. وإما

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلذَّيِّبِ عَمِلُوا الشُّعْرَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَأْوُلُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠٦) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ حَنِيفًا وَرَبُّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ مَا كُنَّا لَأَنكُمُةَ نَعْبُدَهُ وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٨﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَكْخُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٠﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١١﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١١٢﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١١٤﴾

بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصيين

من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدوها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها .



سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

* سورة الإسراء (مكية).

﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

﴿٩﴾ إِنَّ أَحْسَنَ تَسْمِيَةٍ لِّأَنْفُسِكُمْ وَأَنَّ أَسْمَاءَكُمْ لَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِكُمْ وَيَوْمَ تُنْفَخُ السُّورَةُ لَأَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ أَحْسَنَ تَسْمِيَةٍ لِّأَنْفُسِكُمْ وَأَنَّ أَسْمَاءَكُمْ لَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِكُمْ وَيَوْمَ تُنْفَخُ السُّورَةُ لَأَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ أَحْسَنَ تَسْمِيَةٍ لِّأَنْفُسِكُمْ وَأَنَّ أَسْمَاءَكُمْ لَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِكُمْ وَيَوْمَ تُنْفَخُ السُّورَةُ لَأَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ أَن يَهْدِيَ لِقَىٰ مِنْ أَقْوَمٍ وَيُنشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْملُونَ الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٨﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانَ بِالْقُرْآنَةِ بِهِ بِالْحَقِّ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَنْ حَمَلَتْهُ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَضْلُنَا نَقْصِيلًا ﴿١١﴾ وَكُلُّ إِنسَانٍ أَلَمِنَهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٢﴾ أَفَلَا تَكْتَبُ كَلِمَةً يُنْفِقُكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٣﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلك قَرْيَةً أَمْرًا مِّنْهُمَا فَقَسَفْنَاهَا وَفَجَّعْنَا الْأَعْيُنَ عَلَىٰهَا أَعْيُنًا مَّوَدَّعَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَضْلُنَا نَقْصِيلًا ﴿١٥﴾

* في هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لثلاث أسباب ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير. ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم.

﴿١٤﴾ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

* استدلل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولاً لأنه منزّه عن الظلم.

﴿١٦﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٧﴾

* فهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه وديناه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباها حق التربية.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ

سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٣٣)

وَمَا تَقْرُؤُونَ عَنْهُمْ أَبْعَادَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجِيهَا قَتْلَهُمْ وَلَا مَنُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَآلُومًا مَحْسُورًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِسَطْرِ الرَّزْقِ لَسِنٌ بِنَدَاءِ وَيَقْدِرُ لَهُ، كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا لِبَصِيرِكَ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا لَكِرِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَتَقْتُلُوا كَمَا كُنْتُمْ كَاتِبِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَقْرُبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٩﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَرُوعًا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَنْسِفِ فِي الْأَرْضِ مِحْرَابًا إِنَّكَ لَنْ تَقْرِي الْأَرْضَ وَلَنْ تَسْلُقَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٤٢﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤٣﴾

* في هذه الآية دليل إلى أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه، وإن عفا سقط القصاص. وأن ولي المقتول يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله.

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَرُوعًا بِالْقِسْطِ

الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤٠)

* يؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مئتمن أو معقود عليه، والأمر بالنصح والصدق في المعاملة.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (٥٧)

* هذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص

الأعمال كلها لله، والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقذور عليها، فمن زعم أنه يجب الله بغير ذلك فهو كاذب.

﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٦٤﴾

* يدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

* ﴿ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ يدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله.

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٧٢﴾

* في هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟ وأنهم لا يؤخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه.

* وأن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

* وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، لأنهم لا يقدر على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوا إِلَّا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا
تَجَدَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٤﴾ فَأَمْسَرَ
أَنْ يَحْسِبَ كُلُّ جَانِبِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا نَهْرًا
لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَاكِبًا ﴿٦٥﴾ أَمْ أَمْسَرَ أَنْ يُعْبِدُكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبَاتٍ مِنَ الرِّيحِ قُدْرًا يَصَاقِقْنَ
كُمُ اللَّحْدُودَ وَالْأَكْمَامَ عَيْنًا يَهُودِيَةً ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
عَادَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ زُرْقًا يَهْتَمُونَ اللَّطِيفَاتِ
وَصَصَلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَقُضِيَ لَكَ ﴿٦٧﴾ وَوَدَّعُوا
كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ
يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ
فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَنْ
كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتُفْتِنَ
عَلَيْتَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَمْ تَجِدْ لَكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ نَبِّئْتَنكَ
لَقَدْ كِدْتَ تَتَّكِلُ آلَ إِبْرَاهِيمَ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِنْ أَلَدْنَاكَ ضَعْفَ
الْحَبْرَةِ وَضَعْفَ الْمَسَاتِرِ فَمَا لَمْ تَجِدْ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَد كِدْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ .

وَأَمَّا مَسْكُ الْفُطْرِ فِي الْبَحْرِ صَدَّقَ مَنْ تَدْعُونَ الْآيَةَ فَلَمَّا تَجَدُّوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٧٤﴾ فَأَمْسُرْ أَنْ يَضِيقَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكُيًّا ﴿٧٥﴾ أَوْ أُنسِتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُرْفِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا تَنْزِيلَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كُفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٧﴾ وَوَرَدَ دَعْوَى كُلِّ أُنْثَىٰ بِإِمْسَاتٍ مِمَّنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِسَمِيهِ فَأُولَٰئِكَ يَبْقِرُونَ وَكَتَبُهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٩﴾ وَلَنْ كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنِ الَّذِينَ أُوحِيَ تَأْيِيدًا لِيَتَّقِرُوا عَلَيْنَا عِبْرَةً وَإِذَا لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَد كِدْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٨١﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾

* في هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه، أن يشبهه على الإيمان، ساعياً في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أكمل الخلق، قال الله له: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَد كِدْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) فكيف بغيره؟.

* وفيها: تذكير الله لرسوله منته عليه،

وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يجب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم - عند وجود أسباب الشر - بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

* وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل - وحاشاه من ذلك - بقوله: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٧٥) .

* وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ۞

وَلَنْ كُنَّا وَالْبَسْتَفْرِزُونَكَ مِنْ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَلَدَا لَا يَلْبَسُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْرَ سُنَّتِنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٨٠﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٨١﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨٢﴾
وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٣﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَوَقَّقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٤﴾ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ مَاهُوَ
شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا نُرِيدُ لِلظَّالِمِينَ الْإِحْسَانَ ﴿٨٥﴾
وَلَدَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَلَا يَتَذَكَّرُ
أَلَمْ نَكُنْ نَوْسًا ﴿٨٦﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيحُهُمْ أَتَدْرُ
يَمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٧﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٨﴾ وَلَيْسَ شَيْئًا لَكَ تَعْبَهُنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَتُكَلِّمَهُنَّ بِهِ عَنَيْتَنَا وَكَلِيلًا ﴿٨٩﴾

* في هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة،
للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات
الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالامر.
* وفيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة،
وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها
لهذه الأوقات. وأن الظهر والعصر
يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك،
للعذر، لأن الله جمع وقتها جميعًا.

* وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها ركن،
لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ۞

* في هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن
يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.



سُورَةُ الْكَهْفِ

﴿سورة الكهف (مكية).﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴿٢﴾﴾



* في وصفه بالحسن، دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من الوجوه، إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تاما.

* وفي ذكر التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴿٥﴾﴾

* تأمل كيف أبطل هذا القول بالتدرج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولاً: أنه ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ والقول على الله بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانياً، أنه قول قبيح شنيع فقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ثم ذكر ثالثاً مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق.

﴿ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ﴿٦﴾ .

* في هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضاعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الله له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [المائدة: ٢٥]، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ ۗ

إِلَى الْمَدِينَةِ فليَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فليَأْتِكُمْ بَرِزِقٍ مِّنْهُ وَلِيَسْتَلْطَفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ .

﴿ وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد:

* منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

* ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم،

وإذا اعتز لشؤمهم وما يعبدون إلا الله فأولوا الكفيع
 ينشرون لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم من قنًا
 ﴿١٩﴾ وترى الشمس إذا طلعت قرأت من كتابها ذات
 الآيتين وإذا غربت تقرضها ذات الشمال وهم في فجوة
 منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن
 يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴿٢٠﴾ وتحسبهم أيقاظا
 وهم رقود ونقلبهم ذات الآيتين وذات الشمال وكلهم
 بسطل ذراعيه بالأوصياء لو أطلقت عليهم لو آتيت منهم
 فركازا ولو آتيت منهم رعبا ﴿٢١﴾ وكذلك بعثهم
 ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
 يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا
 أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة فليَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ
 طَعَامًا فليَأْتِكُمْ بَرِزِقٍ مِّنْهُ وَلِيَسْتَلْطَفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
 أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

* ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

* ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف

المنهي عنه لقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾

وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك، ولعل هذا عمدة كثير من

المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة،

التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

* ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين،

واستعمال الكتان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

* ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة في دينهم،

وتركهم أوطانهم في الله.

* ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه،

وأن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين

المتقدمين والمتأخرين لقولهم: ﴿وَلَنْ

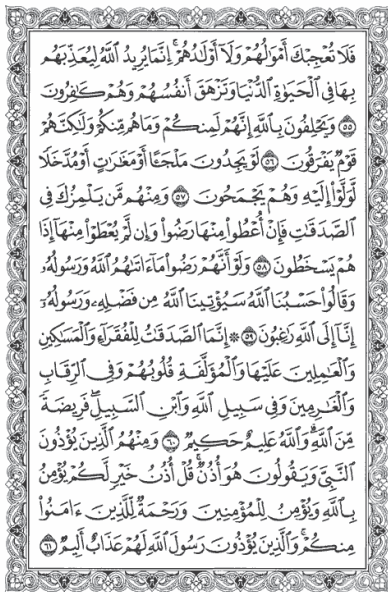
تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن تَعَدَّ اللَّهُ حَقُّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ

يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ

بُنْيَانًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

أَمْرِهِمْ لَنْتَخِذَكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾



* في هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله، آواه الله وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١١٨) [آل عمران: ١٩٨].

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢).

فَلَا تُحَارِبْ أَمْرُهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَوَارٍ ﴿٢٢﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْتَرُونَ ﴿٢٣﴾ لَوْ جِدُّوْتَ مَلَجًا أَوْ مَفْرَتًا أَوْ مَدْعَاةً لَوْلَا إِلَهَ الْوَعْدِ وَهُمْ يَحْمَحُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَعْطُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ الْيَمِّ لَأَتَوْا بِهِ وَسَوَاءٌ قَوْلُكُمْ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْلُومَاتِ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةُ فَلَوْلِيَّتُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالصَّدَقَاتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْبَنَاتُ فِي رِجَالِ قَرِيصَةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُّهُ فَلِأَنْ أَذُنُ خَيْرٍ لِمَنْ يُوَفِّيهِمْ بِأَلْفِهِمْ وَيُوَفِّيهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴿٢٩﴾

* فيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، ففيه هو عن الفتوى من باب أولى وأحرى.

* وفي الآية أيضا، دليل على أن الشخص قد يكون منها عن استفتائه في شيء

دون آخر. فيستفتى فيها هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا، إنما نهي عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾ (٢٤).

* يؤخذ من عموم قوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَقْنَا شَاءَ قَلْبُهُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَوِيضُوا لِقَائِهَا إِيمَانًا كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْمَوْجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُبُورٍ وَأُكْتَبَتْ لَهُمْ فِيهَا أَجْرُهُمْ وَأَنْتَ عَلَى الْأَرْكَانِ ﴿٣١﴾ وَحَسْبَتْ مَرْتَقَقًا ﴿٣٢﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا كَجَلَّتْ أَعْيُنُنَا عَنْ مَنَاجِبِهَا وَمَنْ عَنِتُّهَا وَحَفَفْنَا بِهَا لِقَائِنَا يَنْجَلِ وَجْهَانَا بَيْنَهُمَا رِزْقًا ﴿٣٣﴾ كُنَّا الْبُحْتَيْنِ ﴿٣٤﴾ أَنْتَ أَكْهَلُهَا لِرَوْقِهَا تَقْلِبُ مَنْهَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ خَلَلْنَا لَهَا نَهْرًا ﴿٣٥﴾ وَكَانَ لَهُ قَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ مَا لِيَ وَأَنْتَ أَكْبَرُ ﴿٣٦﴾

* فيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

* **ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلاء قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مرضي**

ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام.

* **وفي الآية استحباب الذكر والدعاء والعبادة طري النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.**

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

* دلت الآية الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله: ﴿ يُجْلُونَ ﴾، وكذلك الحرير ونحوه.

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ وَأَضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ

أَكَلَهَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا

نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا

﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا

أَظُنُّ أَلْسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى

رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾

وَأَضْرِبَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْقَابِنَا قَبْلَهُ، رَعْنٌ ذِكْرًا وَارْتِجِ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ يُرْمَى ﴿٣١﴾ وَيُقَالُ لِمَنْ مَرَّ بِمَنْ سَأَلَ قَلْبِي مِنْ وَمَنْ
سَأَلَ قَلْبِي كَفَرْتُ أَنَا أَعْتَدُ لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَلْطَافِيهِمْ سُرَابِيهَا
وَأَنْ يَسْتَفِيضُوا بِغَيْرِهَا كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ
الْمَرْسَبُ وَسَأَلَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَعْيُنًا عَنْهُمْ حَتَّىٰ نَحْمِلَهُمْ فِيهَا
لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٣﴾ وَأَضْرِبَ
لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٤﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكَلَهَا
وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٥﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٦﴾

لَنَكْبَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ

خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ

يُصْبِحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُّونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤١﴾ وَمَا أَظُنُّ النَّاسَ قَائِمَةَ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ أَنْفَخَ فِيكَ مِن سَوْدِيقٍ رَّجُلًا ﴿٤٣﴾ لَيْسَ تَأْمُرُهُ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا هَذَا اللَّهُ لَا هُوَ إِلَّا يَأْتِيهِ الْبُرْقَانُ أَتَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٤٥﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿٤٦﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤٧﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا هَذَا اللَّهُ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٩﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٥٠﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْرَةَ الَّتِي تَأْكُمُ السَّمَاءَ أَتْرَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَخَذَطُ بِهٖ تَبَاكُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هُبُوبًا تَذُرُّهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٥١﴾

* في هذه القصة العظيمة اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دينوية، فألتهته عن آخرته وأطعته، وعصى الله فيها، أن مالها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلا فإنه يجرمها طويلا، وأن العبد ينبغي له - إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده - أن يضيف النعمة إلى موليتها ومسديها، وأن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ليكون شاكرًا لله

متسببا لبقاء نعمته عليه، لقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

* وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير لقوله: ﴿إِن تَرَىٰ أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾.

* وفيها: أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنَآءَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

* وفيها الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم.

* وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيحتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم ف ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ﴿٤٤﴾
أي: عاقبة ومآلا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿٥٠﴾ .

الْمَالُ وَالنَّسُوبُ رِيئَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْبَيْتِكَ الصَّلَاحُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ نَسِفُ الْجِبَالَ وَنَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَدَرَهُمْ فَوْقَ نَعَادِهِمْ نُهُمْ أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَعَرْضُوا
عَلَى رَبِّكَ صَمًّا لَقَدْ جِئْتُمُوكَ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ كُنْتُمْ
أَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ تَوَعْدًا ﴿٤٦﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَذَى الْمُعْجِرِينَ
مُشْفِقِينَ وَمَتَابِهِ وَيَقُولُونَ تَوَلَّيْنَا مَا لَكَ الْكِتَابَ
لَا نَعَادُ رِضْوَانَهُ وَلَا كِبْرَهُ إِلَّا أَنْحَسْنَاهَا وَجَعَلُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُونَ بِكَ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَكَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ الْفِطْرِ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْفَاضِلِينَ عَضًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَادْعُوهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَهْجًا ﴿٥٢﴾ وَرَهَ الْمُعْجِرُونَ
الْتَارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴿٥٣﴾

* في هذه الآية، الحث على اتخاذ الشيطان

عدوا، والإغراء بذلك، وذكر السبب

الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا

ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من

اتخذ عدوه الحقيقي وليا، وترك الولي

الحميد؟. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٠] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿٥٧﴾ .

* في هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ ۝٦٠ ﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِينَا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا ۝٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطٰنُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٢ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَوْتَدْنَا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٣ فَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَانِيتهٖ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٤ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَنَ أَن تَعْلِمَنَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ۝٦٥ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٦ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٦٧ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٨ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٦٩ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧٠ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧١ تَرْهَقَنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٢ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَآءَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَوْتَدْنَا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٧٣ فَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَانِيتهٖ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٧٤ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَنَ أَن تَعْلِمَنَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ۝٧٥ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٦ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٧٧ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٧٨ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٩ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٨٠ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٨١ تَرْهَقَنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ۝٨٢ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَآءَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَوْتَدْنَا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٨٣ فَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَانِيتهٖ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٨٤

حُفْبًا ۝٦٠ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ ءَانِنَا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطٰنُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ ﴿ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَوْتَدْنَا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ ﴿ فَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَانِيتهٖ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ

عَلَىٰ أَن تَعْلِمَنَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٦٨ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢ ﴿ تَرْهَقَنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَآءَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَوْتَدْنَا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٧٤ ﴿ فَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَانِيتهٖ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٧٥ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَنَ أَن تَعْلِمَنَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ۝٧٦ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٧٧ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٧٨ ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٩ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا

فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَحَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنْبِتُكَ
بِنَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ
مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ
رُكُودًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ
لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً
مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ❁

❁ في هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله :

* **منها:** فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

* **ومنها:** البداية بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك،

والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

* **ومنها:** جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة، كما فعل موسى.

* **ومنها:** أن المسافر لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره

❁ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَحَدَّتْ عَلَيْكَ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنْبِتُكَ بِنَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ رُكُودًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ ﴿٨٢﴾

فوائد من الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهاراً لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: ﴿لَا أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾ وكما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عاداته التوروية، وذلك تبع للمصلحة.

* **ومنها:** إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.

* **ومنها:** جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقا، لقول موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

* **ومنها:** استحباب كون خادم الإنسان، ذكيا فطنا كيسا، ليتم له أمره الذي يريده.

* **ومنها:** استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعا، لأن ظاهر قوله: ﴿ءَأَيْنَا غَدَاءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعا.

* **ومنها:** أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب، مع طوله، لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه: ﴿ءَأَيْنَا غَدَاءَنَا﴾، فحيث تذكر أنه نسيه في الموضع الذي إليه منتهى قصده.

* **ومنها:** أن ذلك العبد الذي لقيه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو

كان نبيا، لذلك كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

* **ومنها:** أن العلم الذي يعلمه الله [لعباده] نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني يهبه الله لمن يمن عليه من عباده، لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥).

* **ومنها:** التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

* **ومنها:** تواضع الفاضل للتعليم ممن دونه، فإن موسى - بلا شك - أفضل من الخضر.

* **ومنها:** تعلم العالم الفاضل للمعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه. فعلى هذا، لا ينبغي للفقهاء المحدثين، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها.

* **ومنها:** إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) أي: مما علمك الله تعالى.

* **ومنها:** أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦).

* **ومنها:** أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر -يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه.

* **ومنها:** أن السبب الكبير لحصول الصبر إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدرى، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨)، فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبراً بالأمر.

* **ومنها:** الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود.

* **ومنها:** تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

* **ومنها:** أن العزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.

* **ومنها:** أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو ناه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالا، لا يتعلق في موضع البحث.

* **ومنها:** جواز ركوب البحر في غير الحالة التي يخاف منها.

* **ومنها:** أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد لقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسامة، بل يأخذ الميسر ليتيسر له الأمر.

* **ومنها:** أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال، والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام، أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يسعه السكوت عنها في غير هذه الحال التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام، وبادر إلى الحكم في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار.

* **ومنها:** القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينها أعظم شرا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانها خير من

ذلك، فلذلك قتله الخضر. وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

* **ومنها:** القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن «عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير» كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن.

* **ومنها:** أن العمل يجوز في البحر، كما يجوز في البر لقوله: ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ولم ينكر عليهم عملهم.

* **ومنها:** أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة.

* **ومنها:** أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

* **ومنها:** أن القتل قصاصا غير منكر لقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.

* **ومنها:** أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته.

* **ومنها:** أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أن أباهما صالح.

* **ومنها:** استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب

السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى

لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْفَغَا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾

كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿وقالت الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

* **ومنها:** أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.

* **ومنها:** أن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

* **ومنها:** أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على الطافه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أموراً يكرها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه،

ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [٢٨١].

* هذا يدل على كونه (ذي القرنين) من الملوك الصالحين والأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.

إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَمَتَّعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسْبَابًا ﴿٢٨٠﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٢٨١﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ السَّمْسِ وَوَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴿٢٨٢﴾ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْتُمْ يَا نَذِيرَاتِنِ إِنَّمَا أَنْتِ نَذِيرٌ وَإِنَّمَا أَنْتِ نَذِيرٌ ﴿٢٨٣﴾ قَالُوا مَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَمَتَّعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسْبَابًا ﴿٢٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٢٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْلَبَ السَّمْسِ وَوَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمُ دِينًا دُورَهَا يَسْرًا ﴿٢٨٦﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿٢٨٧﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٢٨٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٢٨٩﴾ قَالُوا يَا نَذِيرَاتِنِ إِنَّا تَأْتِيكُنَّ بِمَنْجُونٍ وَمَنْجُونٍ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُكَ خَرَجًا عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ﴿٢٩٠﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعْبَثُوا بِقَوْمٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٢٩١﴾ ءَأَتُونِي نَذِيرًا وَلَا أُنذِرُهُمْ إِذْ أَسَأَلْتُنِي بَيْنَ السَّدَيْنِ قَالَ لَأَنْفِخَنَّهَا إِذَا أَجْمَعْتُنَا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْعَ عَلَيْهِمْ قَطْرًا ﴿٢٩٢﴾ فَمَا أَتَوْهُم بِقَطْرَةٍ وَمَا اسْتَطَفُوا لَهُ رَقْعًا ﴿٢٩٣﴾

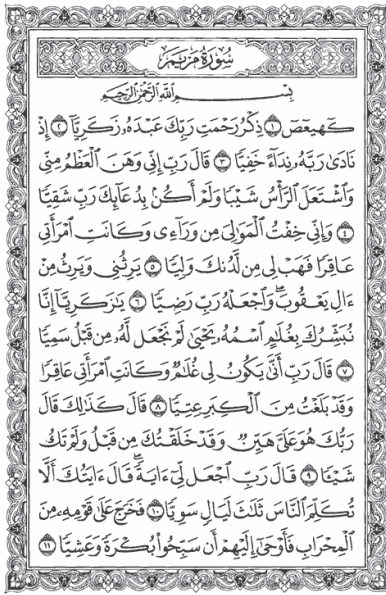


سُورَةُ هُرَيْرَةَ

* سورة مريم (مكية).

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتْ أَمْرًا قَافِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا ۝ ﴾



* ظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عَلَيْهِ السَّلَام ونصحته، وأن طلبه للولد ليس كطلب غيره قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا

يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقرة، أي ليست تلد أصلا، وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ ﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿ يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبقى بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝١٦ ﴾

* تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها

﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٣٨ ﴾

فكفي وأشرفي وفكري عينا فإما ترى من البسر أحد أقربي
إني نذرت للرحمن صوما فلن أكفر اليوم إنسيا ۝ فأتت
بده قومها تحملا ۝ قالوا أنتزيمه لقد جئت شيئا فريا ۝
يتأخت هرون ما كان أولك أمرأ سوء وما كانت
أمك بيضا ۝ فأشارت إليه قالوا كيف نكبر من كان في
المنهد صبيا ۝ قال إني عبد الله اتقوا الكتاب ويجعلني
بيبا ۝ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة
والزكاة ما ذممت حيا ۝ وتبرا بولدي ولما يجعني
جبارا سفيها ۝ وأسئله على نوره فلدت ونوره أموت
ونوره أعت حيا ۝ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
الذي فيه يمترون ۝ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
إذا قضى أمرا فما يقول له من فيكون ۝ وإن الله ربي وربكم
فأعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فأختلف الأحزاب من
بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۝ أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ۝

* تأمل كيف قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
بعد قوله: ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾
ولم يقل (فويل لهم) ليعود الضمير إلى
الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين،
طائفة أصابت الصواب، ووافقت
الحق، فقالت في عيسى: «إنه عبد الله
ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهو لاه
مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد،
فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين.

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٤١ ﴾

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ ﴾

* ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ ﴾ هذا
برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا.
ودل بتنبهه وإشارته أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال
العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى.

﴿ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (٤٣) يَتَابَتِ
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ
كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَذْرَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَإِذْ نَادَى الْأُمَمُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٥٣﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٥٤﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٥٥﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٥٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٥٧﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٥٨﴾ وَأَعْتَرُكُمُوهَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدَعَاةٍ رَبِّي شَاقِيًّا ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَيْبَتُ اللَّهِ وَهَيْبَةُ اللَّهِ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَكَوَلَّجَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٦٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٦١﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٦٢﴾

* في هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى، فإنه لم يقل: «يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل» أو «ليس عندك من العلم شيء»، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها.

* وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن

اتباع ملته سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السامة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعل.

﴿ وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (٥٢)

* في هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا لمن أنكروا ذلك من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحاه نحوهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾

وَذُرِّيَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ جَنَّتَيْنَا شَجَرَةً تَخْرُوجُ مِنْهُنَّ زَيْتُونَ وَزَيْطُونَ وَالزُّبَيْرَ ۚ وَأَنزَلْنَا فِي الْكِتَابِ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ۖ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزُّكُوفِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَرْضِيًّا ۖ وَأَنزَلْنَا فِي الْكِتَابِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ ﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۖ ﴿٥٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۖ ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۖ ﴿٦١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ إِنْ شَاءَ سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۖ وَعَسَى أَنْ يَكُنَّ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۖ ﴿٦٣﴾ وَمَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَأْمُرِ رَبِّكَ اللَّهُ مَا يَكُونُ لِنَبِيِّنَا أَنْ يُبَيِّنَ لِمَنْ تَحْتَهُ مِنْ بَشَرٍ شَيْئًا ۖ ﴿٦٤﴾

* في إضافة الآيات إلى اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾

دلالة على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة.


﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ٦١﴾

* ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يحتمل أن تكون متعلقه


بـ ﴿وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعدا غائبا، لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها، لكانوا أشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعيًا. ويكون في هذا، مدح له بإيمانهم بالغيب الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياه، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حبا، وأجل شوقا ويحتمل أيضا. أن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحمن عباده من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف المجمل، ما يبيح النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ

لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ [السجدة: ١٧-١٨] والمعاني كلها صحيحة ثابتة، ولكن
الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾﴾ لا بد من
وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾. 

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْتَدُوا وَاصْطَبِرُوا لِعَذَابِ
هَل تَعْلَمُونَ سَمِيًّا ﴿٦٧﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسْتُ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٨﴾ وَأَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ
وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴿٦٩﴾ قَوْلِكَ لَتُخَضِرَنَّ هُنَّ وَالسَّاطِرَاتُ لَتُ
لَتُخَضِرَنَّ هُنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧٠﴾ لَتُؤْتِنَهُنَّ مِن كُلِّ
شَيْعَةٍ أَلْهَمَهُ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٧١﴾ لَتُؤْتِنَهُنَّ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
هُنَّ أُولَىٰ بِمَا جِئْتَنَّهُنَّ ﴿٧٢﴾ وَإِن يَنكِحُوا آلَهُنَّ مَا كَانَ عَلَىٰ رِزْقِكَ
حَتَّىٰ تَقْضِيًّا ﴿٧٣﴾ لَتُرْسَبْنَ إِلَىٰ أُنْتَهُنَّ وَتَذَرْنَ الظَّالِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٤﴾ وَإِذَا نَسُوا عَاقِبَةَ أَيْمَانَتَيْتِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدْبًا ﴿٧٥﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَهَبًا ﴿٧٦﴾
قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَلَئِنَّمَا النَّسَاعَةُ فَمَسِعَامُومَن مِّنْهُمْ
مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٧﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا هُدًى
وَالْبَلِيغَاتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾. 

* في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ دعوة
للنظر بالدليل العقلي بالطف خطاب،
وأن إنكار من أنكر ذلك مبني على غفلة
منه عن حاله الأولى، وإلا فلو تذكرها
وأحضرها في ذهنه لم ينكر ذلك.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
وَالْبَلِيغَاتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾. 

* في هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه،

كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴿المدثر: ٣١﴾﴾، ﴿وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿الأنفال: ٢﴾﴾ ويدل عليه
أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان
والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.



سُورَةُ طٰهٍ

﴿سورة طه﴾ (مكية).

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١١).

* في هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتعلة على ذلك.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبْهَا عَلِيًّا وَعَنِي وَلِي فِيهَا مَثَابٌ آخَرَى﴾ (١٨).

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٧﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِشُجْرَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٩﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿٢٠﴾ وَمَا يَلِكُ يَسْبِيغِيكَ يَمْؤَسَى ﴿٢١﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبْهَا عَلِيًّا وَعَنِي وَلِي فِيهَا مَثَابٌ آخَرَى ﴿٢٢﴾ قَالَ أَفَلَهَا يَمْؤَسَى ﴿٢٣﴾ فَأَلْقَهَا فَأَنَذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٤﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ فَخَرَّجَ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ مَثْوَى ﴿٢٦﴾ آيَةُ الْآخِرَى ﴿٢٧﴾ لِلرَّبِّكَ مِنَ الْبَيْتَانِ الْكُبْرَى ﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٣٠﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٣١﴾ لِسَانِي ﴿٣٢﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣٣﴾ وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ ﴿٣٤﴾ أَخِي ﴿٣٥﴾ أَنْذَرْتَهُمْ أَزْرَى ﴿٣٦﴾ وَأَنْشُرْتَهُمْ فِي أَمْرِي ﴿٣٧﴾ كُنْ نَسِيحًا كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَتَذَكِّرْ كَثِيرًا ﴿٣٩﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَايِبِهِمْ ﴿٤٠﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُورَةَكَ يَمْؤَسَى ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٤٢﴾

* من أدب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها أجابه بعينها، ومنفعتها .

﴿قَالَ أَفَلَهَا يَمْؤَسَى﴾ (١٩) ﴿فَأَلْقَهَا فَاذًا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٢٠).

* في وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٣٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٣٦)

﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِّنْ لِّسَانِي﴾ (٣٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٣٨) ﴿وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِ﴾ (٣٩) ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ (٣٠)

أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى ٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢) كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٣٦) *

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ٣١) أَيُّهَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ٣٢) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْفِيهَا الشُّجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ٣٣) فَلَا ضِدَّ لَكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَنْتَ هُوَ قَرِيبٌ ٣٤) وَمَا لَكَ
بِيسْبِيكَ يَا مُوسَى ٣٥) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْتَ كُنْتَ تُعَلِّمُهَا
وَأَهْشُ بِهَا عَلَّ عَنِّي وَلِي فِيهَا مَقَارِبُ أُخْرَى ٣٥) قَالَ أَفَلَمْ
يَسْمَعْ ٣٥) قَالَ لَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ٣٥) قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَحْتَفِ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ٣٥) وَأَضْمَمَ يَدَكَ
إِلَى جَانِحِكَ فَخَرَجَ بِيضَةً مِنْ عَيْنَيْهِ آيَةً أُخْرَى ٣٥) لِيُؤْتِكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ٣٥) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٣٥) قَالَ
رَبِّ أَفْسَخْ لِي صَدْرِي ٣٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٣٥) وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا
لِسَانِي ٣٥) وَيَقْضُ عَاقِبَتِي ٣٥) وَاجْعَلْ لِي ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ٣٥) هَرُونَ
أَيْ ٣٥) أَسْأَلُكَ يَا رَبِّي ٣٥) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٥) كَيْ تُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ٣٥) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٥) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥) قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٣٥) وَلَقَدْ مَنَّاعْنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى ٣٥)

* من تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

* وهذا السؤال من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته، ومعرفته للأمر، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد

والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عما يريد، ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقييح الباطل وتهجينه، لينفر عنه.

* ويحتاج مع ذلك أيضاً أن يتيسر له أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذه الأمور فأعطياها.

* وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصاً خاتمهم وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾

* ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ ﴾ ساقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل في جميع النوبات الإباحة، فلا يحرم منهم إلا ما كان مضرًا كالسموم ونحوه.

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ ضَحَّى ﴾ ﴿٥٩﴾

* إنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره.

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴾ ﴿٦١﴾ فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾

* كلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب. لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى حَالِ الْمُرْسَلِينَ إِلَى الْخَلْقِ، رَأَيْتُهُمْ بِهَذِهِ الْحَالِ، بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ وَبِأَحْسَنِ حَالِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْ كُلِّ صِفَةٍ كَمَالًا، وَلَهُ مِنْ شَرْحِ الصُّدُورِ، وَتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، وَفِصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَحُسْنِ التَّعْبِيرِ وَالْبَيَانِ، وَالْأَعْوَانِ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ، مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ ضَحَّى ﴾ ﴿٥٩﴾

* إِنَّمَا سَأَلَ مُوسَى ذَلِكَ، لِأَنَّ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَوَقْتُ الضُّحَى فِيهِ يَحْتَضِرُ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَةِ، وَرُؤْيَا الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا، مَا لَا يَحْتَضِرُ فِي غَيْرِهِ.

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴾ ﴿٦١﴾ فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾

لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن ما تم أمرهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾ فحينئذ أسروا فيما بينهم النجوى، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي

هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢﴾.

قَالُوا يَمْوَسِيٰ اِيْمَانًا نَّكُرُ اَنْ نُّكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقَىٰ قَالَ بَلْ اَنْفَرْنَا فَاِنَّا جِبَالُهُمْ وَعُصَيْبُهُمْ نُحْمِلُهُنَّ اِلَيْهِمْ مِنْ سِجْرِهِمْ اَنْهَآ نَسَعَى ٥٩ قَالَ يَحْسَبُ فِي نَفْسِهِ خِيْفَةٌ مُّوسَىٰ ٦٠ فَلَمَّا لَاحَظَ اَنَّكَ اَنْتَ الْاَخْلَىٰ ٦١ وَالَّذِي مَافِي بَيْبِكَ تَلْقَفُ مَا سَعَىٰ اِنَّمَا سَعَىٰ كَيْدُ سِجْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ اَتَىٰ ٦٢ قَالَ اِنِّي السَّحْرُ مُجَدِّدًا قَالُوا اَمْ اَنْتَ اَبْرَآءٌ هٰؤُلَاءِ وَمُؤْمِنِي ٦٣ قَالَ اَمْ اَسْأَلُكَ بِرَبِّ اٰدَمَ الَّذِي ذُكِّرْنَا فِيْهِ لِكَيْذِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعَنَّ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ فَرَنْ جَلِيْفٍ وَلَا تُصَلِّبُوْكُمْ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ وَتَلْعَمَنَّ اَيْتَانًا اَشَدَّ عَذَابًا وَاَقْبَىٰ ٦٤ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٦٥ اِنَّمَا اَمْثَارُ بَرِيْتَا لِيَمْتَرْنَا خَطَلَيْنَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَاَقْبَىٰ ٦٦ اِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِبًا فَاِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَبُتُ فِيْهَا وَلَا يُحْيِي ٦٧ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا تَدَّ عَمَلُ الصَّالِحِيْنَ قَالُوْا لِيْكَ لَهُمُ الَّذِيْ رَجَعْتَ اِلَيْهِ ٦٨ جَنَّكَ عَدُوًّا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ جَزَاؤُ مَنْ تَزَكَّى ٦٩

* في هذا الكلام من السحرة دليل على أنه ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿إِنَّمَا اٰمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَلَيْنَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَاَقْبَىٰ ٧٢﴾.

* هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها.

* والظاهر - والله أعلم - أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ

مُوسَىٰ وَيٰكُمُ لَا تَقْتُلُوْا عَلٰى اَللّٰهِ كُذْبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ٧٤﴾ أثر معهم، ووقع

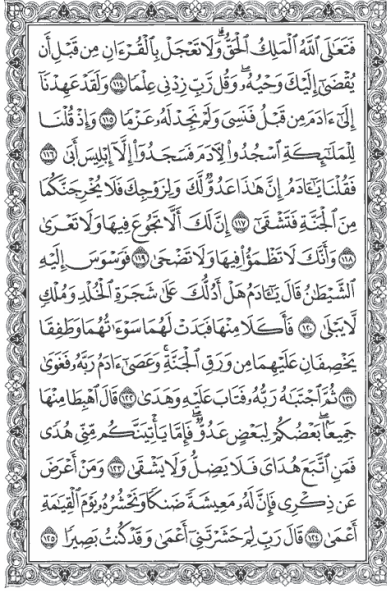
منهم موقعا كبيرا، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة، ثم إن فرعون

ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق

قبل إتيانهم، حيث قالوا: ﴿إِنَّ هٰذٰنِ لَسَجِرٰنِ يْرِيدَانِ اَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ اَرْضِكُمْ

بِسِحْرِهِمَا ٧٤﴾ فجروا على ما سنه لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة التي

قامت بقلوبهم من كراحتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلمهم، ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووقفهم للإيمان والتوبة.



﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ١١٦

* يؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ الملمي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده

سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنه سبب للحرمان.
* وكذلك المسؤول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١١٧

* في هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً على زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا.

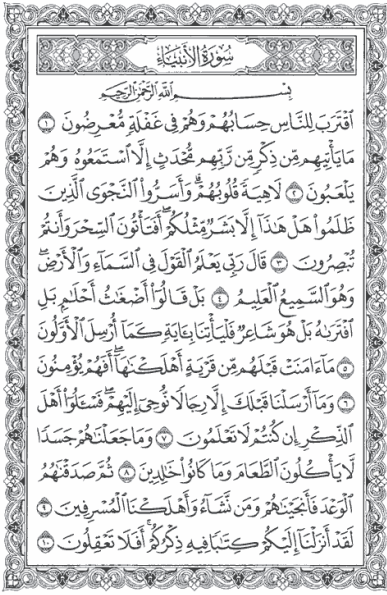


سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

﴿سورة الأنبياء (مكية)﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾



* هذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه.

* وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك.

* وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

* في هذا من بيان عظمتهم وجلالة سلطانهم وكمال علمهم وحكمتهم، ما يوجب أن

لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨)

* هذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥)

* هذه الآية تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلد في الدنيا،

فهو قول لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية.

﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٦)

* قال: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وفي ذكر اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ هنا بيان لقبح حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن - مسدي النعم كلها، ودافع النعم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه - بالكفر والشرك.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (٥٣) ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا اجْعَلْنَا مِثْلَهُ لَئِن لَّمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا مِثْلُ الْبُحْرِ أَوْ آتِنَا بِآيَاتِكَ يَا رَبَّنَا﴾ (٥٥)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥١) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِشَاءٌ مُضْمَرٌ لَا تَفْقَهُوا دُرُوبَهُ يَا قَوْمِ أَيْدِيَهُمْ وَأَمْشَانَهُمْ وَلَا تَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ لِيَأْتِ اللَّهَ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَبَّئِيَ عَجَابًا أَنَّهُ يَسْمَعُ كَلِمَاتِكُمْ الْكَلِيمِينَ﴾ (٥٣) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ كَانَتْ تَارِقًا فَأَنْفَقْتُمْ مِمَّا رَجَعْنَا مِنْ آتِنَا كُلِّ شَيْءٍ أَفَلَا تَتُوبُونَ﴾ (٥٤) ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِيسًا أَنْ تُعْبُدِيَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا لِبِطَاءٍ سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٥٥) ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَخْمُومًا وَهُدًى عَنِ آيَاتِنَا مُعْرُضُونَ﴾ (٥٦) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٥٧) ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٥٨) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٩)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
 لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ .

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّعُ الثُّعَاةُ إِذَا
 مَا بُدِّعُوا ﴿٥٦﴾ وَلَئِنْ مَسَسَتْهُمْ فَتْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 يَنْتَقَالَ حِجَابٌ مِنْ حَزَلٍ أَلْبِنَا فِيهَا ذُكْرًا وَمُنْثَىٰ وَنُحْيِي
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأُخْرَىٰ وَالسَّاعَةَ
 مُشْفِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَقْدُسًا لَهُ
 مُنْكَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا
 بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمِ
 اتَّخَذْتُمْ لَهَا آيَاتٍ كَمَا اتَّخَذَ آيَاتُهُمْ مِنَ الْقَوْمِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٢﴾
 لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْرَكَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٣﴾
 قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ
 رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٥﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٦٦﴾

* ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
 * ﴿٥٥﴾ إنها رددوا الكلام بين الأمرين،
 لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عند
 كل أحد، أن الكلام الذي جاء به
 إبراهيم كلام سفيه لا يعقل ما يقول .

* ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
 تأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن
 كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه
 ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته

لأصحابه، كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين
 يقول: «إلى عظيم الفرس» «إلى عظيم الروم» ونحو ذلك، ولم يقل «إلى العظيم»
 وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ ولم يقل: «كبيراً من أصنامهم»، فهذا ينبغي
 التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه.

﴿ فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ
 وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

* ﴿ فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ أي: فهمناه هذه القضية، ولا يدل ذلك أن داود لم
 يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: ﴿ وَكُلًّا ﴾ من داود
 وسليمان ﴿ ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾، وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق

والصواب، وقد يخطئ ذلك، وليس بمعلوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده.

﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وَمِنَ الظَّالِمِينَ مَنْ يُصَوِّرُ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا ذُوْنَ ذَلِكَ وَكَانَ لَهُمْ حَفِظَاتٌ ﴿٨٧﴾ وَأُتُوْبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى مَسَى الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَيُّنَا أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعَدْنَا وَكَرِهْنَا لِلْعَدِيدِينَ ﴿٨٩﴾ وَأَسْمِعِلْ وَادْرِيسَ وَذَا الْكَيْفِ كُلِّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا أَنَّهُمْ قَتَلُوا الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَكَرِهْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾

* ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

هذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بـ «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

* ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ ﴾ بعدما كانت عاقراً لا يصلح رحمها للولادة، فأصلح الله رحمها للحمل، لأجل نبيه زكريا، وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح، أنه مبارك على قرينه، فصار يحيى مشتركا بين الوالدين.

﴿ حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

* في هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم.

سُورَةُ الْحَجِّ

* سورة الحج (مدنية).

﴿ مِنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (١٥) *

* هذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأيس الكافرين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم.

﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢٤) *

وهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ كُلِّ صَامِرٍ بِأَيَّتٍ مِنْ كُلِّ قَبْضٍ عَمِيْقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي أَنْبَاءِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ وَلِيُؤْمِنُوا أَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَرْضَى وَيَخْتَارُ لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَاكُمُ الْبَيْتَ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ لِلنَّاسِ أَعْيُنًا عَدْلًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يُعِظِرْ عُزْرَتَهُ عَنِ اللَّهِ فَحَرَّ اللَّهُ رِيَّةً وَأُجِدَتْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ الْأَمَانَةُ عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَائِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ يَبْعَثُ رَبُّكَ الْقُرْآنَ فِي الْأَنْعَمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

* في ذكر ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ هنا، لبيان أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنتته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢٥) *

* في هذه الآية الكريمة وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها.

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

* يدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي تشوش المتعبدين بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف لاختصاصه بجنس المساجد.

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَحَمَّارَ قَنَاقَتِهِمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

حُفَاءَ اللَّهِ عَزْمُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحَةُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِرْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٧﴾ لِكُرِّ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمَّىٰ رُوِيَ أَنَّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَتَذَكَّرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ أَلْفَعِمُ فِي أَلْفَعِمِ إِلَهُ وَجِدَ قَلْبُهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَحَمَّارَ قَنَاقَتِهِمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لِكُرِّ مِنْ شَعْبِيرِ اللَّهِ لِكُرِّ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكَرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِدَتْ جُنُوبَهَا فَكَلَامُهَا وَأَطْعَمُوا الْقَائِمَ وَالْمُعْتَرِّكَ ذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لِكُرِّ لَمَّا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ ﴿٤١﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لِكُرِّ كَثِيرٍ إِنَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٣﴾

* أتى بـ ﴿من﴾ المفيدة للتبعض، ليعلم سهولة ما أمر الله به وورغ فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فإياها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لِكُرِّ لَمَّا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

* ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ في هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرا ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله كانت كالعشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ يُدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلىٰ نَفْسِهِمْ لِتُدْرِكَ الْأَفْسَ بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٥١﴾﴾

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ يُدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلىٰ نَفْسِهِمْ لِتُدْرِكَ الْأَفْسَ بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٥١﴾﴾

* هذا يدل على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إقامة دين الله، وذب الكفار المؤذنين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة، ولهذا قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في دفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ يُدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلىٰ نَفْسِهِمْ لِتُدْرِكَ الْأَفْسَ بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٥١﴾﴾

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ يُدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلىٰ نَفْسِهِمْ لِتُدْرِكَ الْأَفْسَ بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٥١﴾﴾

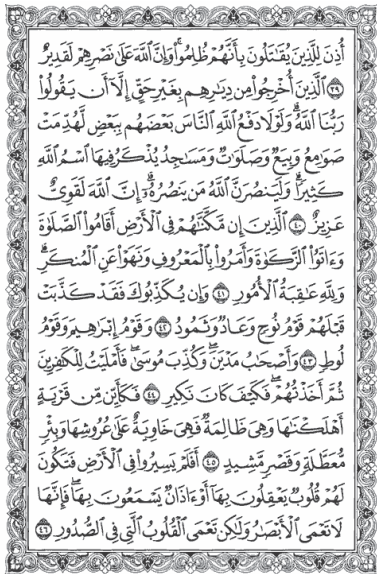
* ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وبركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

* **فإن قلت:** نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا يدان لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة، وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة ولايتهم من الكفار على هدمها، والله أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعا.

* أجيّب بأن هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخلاً في حكمها، تعتبره عضواً من أعضاء المملكة، وجزءاً من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعددها أو عددها، أو مالها، أو عملها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب الدينية والدينيوية، وتحشى إن لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصاً المساجد، فإنها - والله الحمد - في غاية الانتظام، حتى في عواصم الدول الكبار.

* وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظراً لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها سالمة من كثير ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم أن يمد يده عليها خوفاً من احتوائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يري عباده من نصر الإسلام

والمسلمين، ما قد وعده به في كتابه. وقد ظهرت - والله الحمد - أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم، والشعور مبدأ العمل، فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق المطابق للواقع: ﴿وَلْيَنْصُرْتُ﴾ **اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ** أي: يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا.



﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا ۗ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَسْأَفُ مَا يَكْفُرُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو قُوَّةٍ ۗ وَلَيْسُ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ .

* يؤخذ من هذه الآية قاعدة شرعية،

وهي أن (المشقة تجلب التيسير)،

و(الضرورات تبيح المحظورات)، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية شيء

كثير معروف في كتب الأحكام.



أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا ۗ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَسْأَفُ مَا يَكْفُرُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو قُوَّةٍ ۗ وَلَيْسُ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ .

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

سورة المؤمنون مكية

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٠﴾ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعَايُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْيَتِيمَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِذْ كَرِهْتَ الْذَكَرَ ﴿١٩﴾ وَوَضَعْنَا عَنَقَهُ ﴿٢٠﴾ وَنَبَّأْنَاهُ نَجْمًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذْ كَرِهْتَ الْإِسْقَاتَ ﴿٢٢﴾ وَوَضَعْنَا عَنَقَهُ ﴿٢٣﴾ وَنَبَّأْنَاهُ نَجْمًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ ثُمَّ إِذْ كَرِهْتَ الْإِسْقَاتَ ﴿٢٥﴾ وَوَضَعْنَا عَنَقَهُ ﴿٢٦﴾ وَنَبَّأْنَاهُ نَجْمًا كَرِيمًا ﴿٢٧﴾ ثُمَّ إِذْ كَرِهْتَ الْإِسْقَاتَ ﴿٢٨﴾ وَوَضَعْنَا عَنَقَهُ ﴿٢٩﴾ وَنَبَّأْنَاهُ نَجْمًا كَرِيمًا ﴿٣٠﴾

* ﴿ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ﴿٧﴾

عموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصودا بقاؤها، ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك.

* ويدل قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾

أنه يشترط في حل المملوكة أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل، لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل

هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

* هذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من

الضرر، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ ﴿٣٠﴾

[الملك: ٣٠].

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون ﴿٢٦﴾ ﴾

وَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَبَتْ فِي الْأَرْضِ مَاءً عَلَّ
ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رَوَى ﴿٢٣﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ
وَأَعْنَبَ لَكُمْ فِيهَا أَفْرَاجًا كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٤﴾ وَشَجَرَةً
تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْدَى تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٌ لِلْكَالِبِ ﴿٢٥﴾
وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْهَارِ لَآيَةً تُسْقِطُهَا فِي الطُّورِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْتَقِعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَلَوْنَهَا وَعَلَى الْفَالِكِ شَحْمَلُونَ
﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ
الْفَالِكِ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ آمِنًا وَأَقْرَبَ الْكُورِ فَمَا سَأَلْنَاكَ
فِيهَا مِنْ شَيْءٍ سِوَىٰ رُوحِنَا وَتَحْتِهَا أَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذَّبُونَ ﴿٢٨﴾

* هذه الشبه التي أوردوها معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية الجهل والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقولته: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أثبتوا أن له عقلا يكيدهم به، ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج - مع هذا - أن يحذر منه لثلاث يغتر به، فكيف يلتئم مع

قولهم: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾، وهل هذا إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟». ويأبى الله إلا أن يظهر خزي من عاداه وعادى رسله.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

* مر عليّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما

تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٣) [القصص: ٤٣]، فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا ما ذكر الله في سورة (يونس) من قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَكَاذِبُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٧٥) [يونس: ٧٤-٧٥] الآيات والله أعلم.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١).

* دل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المأكول، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت

مَا تَأْتِي مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْتِرُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ تَرَاكُمُ الْمَاءَ أُمَّةً رَّسُولَهَا كَذِبًا فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٤﴾ فَقَالُوا الْيَوْمَ لَنَسْتَبْرِزَنَّهُمْ وَلَنُلَاقِيَهُمْ بِمِائَاتِنَا عَاكِفِينَ ﴿٥٥﴾ فَكَذَّبُوا بِمَا كَانُوا يُكْفَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ آيَاتٍ وَمَا يَنْظُرُونَهَا إِلَّا نَكْرًا وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

بتفاوت الأزمنة. ولهذا، الأعمال الصالحة التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامى، والحنو والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمدا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى لهرقل وغيره، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بد أن يأمر بالشر، وينهى عن الخير.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾

* دل هذا على أن تدبر القرآن يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقبالها.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَهُمْ وَكُنُفُوا مَا بِهَمِّمْ مِنْ ضَرِّ النَّجْرَانِ فِي طَغْيِهِمْ يَوْمَهُمْ ﴾ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعُقَابِ فَمَا أَصْبَأُوا أَنْ يُعَذِّبُوا مَا يَبْضُرُونَ ﴿٦٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَصَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧١﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا لَهُ كَادَ رَبُّنَا رَبُّنَا وَعِظَامُنَا أَوْ هَٰؤُلَاءِ لَمْ يَخْلُقُوهُمْ أَوْ لَمْ يُعِدْنَا غَنًّا وَءَاثَابًا وَآثَابًا هَٰذَا مِنْ قَبْلِ أَنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَدْعُونَ رَبَّكُمْ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ حَبِّ خَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿٧٩﴾

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٨١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٧﴾

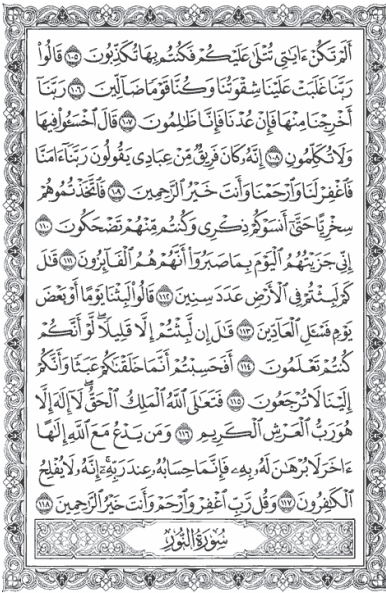
* في هذا من لطف الخطاب، من قوله: ﴿ أَفَلَا تَدْعُونَ رَبَّكُمْ ﴾، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

* والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب، ما لا ينحفي .

﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ ﴾

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

* هذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافرين، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها. وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.



﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

﴿١٠٩﴾

* جمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنتته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم. فهو لاء سادات الناس وفضلاؤهم.



سُورَةُ النُّورِ

✽ سورة النور (مدنية).

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾



* هذا دليل صريح على تحريم نكاح

الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح

الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج

لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد

الاقترانات والازدواجات، وقد قال

تعالى: ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾

[الصفات: ٢٢] أي: قرناءهم، فحرم

الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم،

وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد

الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما

بعضه كاف للتحريم .

* وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمناً، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يزيني

الزاني حين يزيني وهو مؤمن » فهو وإن لم يكن مشركاً، فلا يطلق عليه اسم

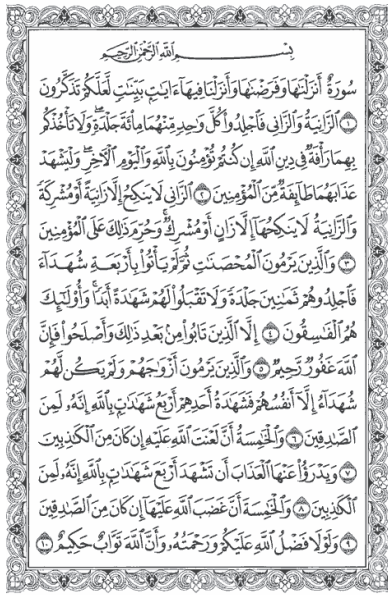
المدح، الذي هو الإيذان المطلق.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾

* في هذا تقرير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصنا مؤمنا، وأما قذف غير المحصن، فإنه يوجب التعزير.

* وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ



لِمَنِ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾

* هل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه الدليل أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ ﴾ إلى آخره، فلو لا

أن العذاب وهو الحد قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها داراً له.

* وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان مختص بالزوج إذا رمى امرأته، لا بالعكس، وأن الشبه في الولد مع اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجح إلا هو.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاذْنَبُوا وَالشَّهَدَاءُ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ تَوَلَّى فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحِمْتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

﴿١٢﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾

﴿١٣﴾ تَوَلَّى جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاذْنَبُوا وَالشَّهَدَاءُ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾

﴿١٤﴾ تَوَلَّى فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحِمْتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

﴿١٥﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿١٦﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

﴿١٥﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾

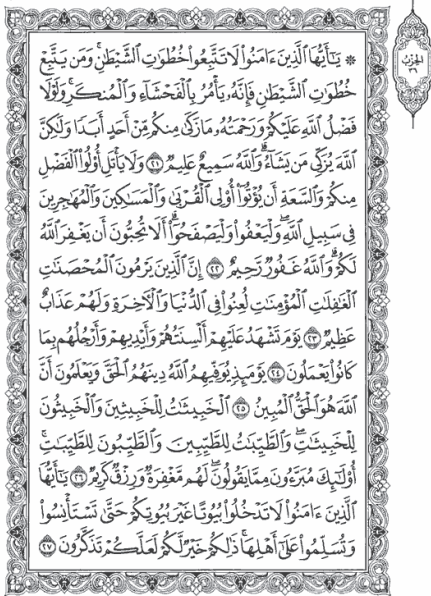
* جعل الخطاب عاما مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قرح بعضهم ببعض كقبح في أنفسهم، فيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكما أنه يكره أن يقدر أحد في عرضه، فليكره من كل أحد أن يقدر في أخيه المؤمن الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه.

* ﴿فَاذْنَبُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٣﴾ وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك من دون أربعة شهود، ولهذا قال: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٣﴾

ولم يقل: (فأولئك هم الكاذبون) وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه من دون نصاب الشهادة بالصدق.

* ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيد حسابانه شيئاً، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقفته مرة أخرى.

* ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) دل ذلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات.



﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقَرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢)

* ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢)

* ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢)

في هذه الآية دليل

على النفقة على القريب، وأنه لا تترك

النفقة والإحسان بمعصية الإنسان،

والحث على العفو والصفح، ولو جرى عليه ما جرى من أهل الجرائم.

﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيُّثُوكَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُوكَ لِلطَّيِّبَاتِ وَأُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا قَالُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٦)

* ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيُّثُوكَ لِلْحَيِّثَاتِ﴾ هذه كلمة عامة وحصر، لا

يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته أن الأنبياء - خصوصاً أولي العزم منهم،

خصوصاً سيدهم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بهذا الأمر قدح في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المتناقضين، فمجرد كونها زوجة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح . فكيف وهي هي؟ « صديقة النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا، ولا لشك وشبهة مجالا، فقال: ﴿أَوْلَيْتِكَ مُبْرَأَةٌ وَمَا يَقُولُونَ﴾ والإشارة إلى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أصلا، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ تستغرق الذنوب، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة صادر من الرب الكريم.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوَدَّنَ لَكُمْ
وَلَنْ يُدَنَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا وَأَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا
تَحْمَلُونَ عَلَيْهِمْ ۖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا
غَيْرَ مُسْكِرِينَ فِيهَا مَسْكِرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ۗ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۗ
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنْ
الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَا يَرْبُهُمْ وَأَعْلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَتْرُجِهِنَّ يُعَلِّمُهُنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الثَّيِّبَاتِ وَذَوُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ۗ

* ولهذا سماه الله حفظا، فالشياء المحفوظة إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أو قعاه في بلايا ومحن.

* وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما

البصر فقال: ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ أتى بأداة (من) الدالة على التبعية، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخطاب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

* ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ هذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن

الزينة التي يحرم إبدائها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا.

* ﴿أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ فيه دليل لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إليها الذمية.

* ﴿أَوْ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ ودل هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء.

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُورَ
وَلَنْ يُقَالَ لَكُورًا فَاتَّجَعُوا هُوَ أَذَىٰ لَكُورًا وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَصْنَعُونَ ﴿٣٣﴾
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٤﴾

* ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِالرُّجُلِ هِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ويؤخذ من هذا ونحوه. قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة منع منه.

* وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنِّ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾

* فيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر.

وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنِّ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنْفَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكِّبُوا لَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَوْتَوْهُم مِمَّا لِلَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيِّبُوا عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ آدَمَ مَبْنِيَّةً وَمَلَائِكَةَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ نُورِهِ كَمِشْحَارٍ وَبِهَا وَصِيحُ الْبَصِيحِ فِي رُجَاةِ الْأَرْضِ أَجْمَعِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ زُرِّيٌّ وَقَدْ مِنْ شَجَرَةٍ مُبِينَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا تَمْرُوقَةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنْسَهُ تَائِبٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرَبَ اللَّهُ الْكُفْرَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُرْفَعُ وَيُنزَلُ فِيهَا أَسْمُهُ رُسُخٌ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوَةِ وَالْأَسْوَاحِ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَيْسَتَعْفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْهِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنْفَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكِّبُوا لَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَوْتَوْهُم مِمَّا لِلَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيِّبُوا عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

* مفهوم الآية الكريمة، أن العبد إذا لم

يطلب الكتابة، لا يؤمر سيده أن يبتدئ بكتابتها، وأنه إذا لم يعلم منه خيرا، بأن علم منه عكسه، إما أنه يعلم أنه لا كسب له، فيكون بسبب ذلك كلا على

الناس، ضائعا، وإما أن يخاف إذا أعتق، وصار في حرية نفسه، أن يتمكن من الفساد، فهذا لا يؤمر بكتابتته، بل ينهى عن ذلك لما فيه من المحذور المذكور.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَأَكْبَرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْكَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ وَمَا كُنْ بِمَكْرُومٍ فَكُنْ بِمَنْعَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً عَلَيْهِ ۝ وَلَا تَسْتَعِيفُ الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ دِكْحًا سِوَى اللَّهِ يُضَيِّعُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۝ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِنَازَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكُنْ لِأَنْفُسِهِمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَرَأَوْهُمُ مِنَ اللَّهِ الَّذِينَ أَنْتَكُمُ وَلَا تَكْفُرُوا ۝ فَمَنْ كَرِهَ عَلَى الْإِقْبَاءِ أَنْ أَرْزَنَ مَخْصَمًا لَمْ يَتَّبِعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرَهْهُ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِذْ هُمْ عَنْهُمُ رَحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَى كُرَيْمٍ مِنَ الْبَنَاتِ مِائَتَيْ مِائَةٍ مِنَ الَّذِينَ حَلَّوْا مِنْ قَبْلِكَ وَمَنْعَظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ تُرْفَعُ وَبُذْرُهَا أَسْمُهُمْ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا الْغُدُوُّ وَالْأَصَالُ

* وجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من

سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاج الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

﴿٥٠﴾ وَرَسُولُهُ. بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

* في هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عما تولى عن الطاعة.

* وفيها وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من ينقله دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه.

* وأنه يجرم إساءة الظن بأحكام

الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة.

يَقْبَلُ اللَّهُ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّوِّبِينَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٠﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَلَأَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخَافُ اللَّهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَلْفَاظُهُمْ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٥٢﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٣﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٤﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٥﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٥٩﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٠﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾

* دلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال

موسى لقومه: ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾

﴿[الأعراف: ١٢٩] وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي

الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٥٠﴾

[القصص: ٥-٦].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزَّزْنَ بِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ

مَرَّتْ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

في هاتين الآيتين فوائد:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَذَابِي مَا مَحَلَّ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا فَتَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَيُؤْتِيَهُم مِّن لَّهُمْ مِمَّا رِزْقُهُمُ الَّذِي آتَىٰ قَبْلَهُمْ وَيُؤْتِيهِم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا بُعِدُتْ بِسِي لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ مِنَ النَّارِ وَلَيَقْسِ الْعَصِيرُ ﴿٦١﴾ بَيَّنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسِّرَنَّ اللَّهُ لَهُمُ الْأَرْضَ وَيُؤْتِيَهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا بُعِدُتْ بِسِي لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ مِنَ النَّارِ وَلَيَقْسِ الْعَصِيرُ ﴿٦١﴾ بَيَّنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسِّرَنَّ اللَّهُ لَهُمُ الْأَرْضَ وَيُؤْتِيَهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا بُعِدُتْ بِسِي لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ مِنَ النَّارِ وَلَيَقْسِ الْعَصِيرُ ﴿٦١﴾

* **منها:** أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسِّرَنَّ اللَّهُ لَهُمُ الْأَرْضَ وَيُؤْتِيَهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا بُعِدُتْ بِسِي لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾

* **ومنها:** الأمر بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن المحل والمكان الذي هو مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهي عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو ذلك.

* **ومنها:** جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك.

* **ومنها:** أن المسلمين كانوا معتادين للقليلولة وسط النهار، كما اعتادوا نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة.

* **ومنها:** أن الصغير الذي دون البلوغ لا يجوز أن يمكن من رؤية العورة، ولا يجوز

- أن ترى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما يجوز.
- * **ومنها:** أن المملوك أيضا، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير.
- * **ومنها:** أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجردا عن الدليل والتعليل، لأن الله - لما بين الحكم المذكور - علله بقوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾.
- * **ومنها:** أن الصغير والعبد مخاطبان، كما أن وليهما مخاطب لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.
- * **ومنها:** أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ مع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سئل عن الهرة: «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات».
- * **ومنها:** جواز استخدام الإنسان من تحت يده، من الأطفال على وجه معتاد لا يشق على الطفل لقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.
- * **ومنها:** أن الحكم المذكور المفصل إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ فليس إلا الاستئذان.
- * **ومنها:** أن البلوغ يحصل بالإنزال، فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى



أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَّتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ
مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ
أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ
طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
أَسْتَأْذِنُ الْبُيُوتِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَالْقَوْلُ عِدَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ
الَّذِي لَا يَدْخُلُ فِيهِ كَمَا قَالَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ
يَسَايَهُنَّ غَيْرَ مُتَرَجِّحِينَ بِرَبِّتِهِمْ وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا خَيْرٌ
لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا
عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِكُمْ
أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ
مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا
عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

* ليس المراد من قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾

﴿بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم.

* ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم

بعضكم على بعض، لأن المسلمين

كانهم شخص واحد، من تواددهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت وبيت .

* وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: أن العرف والعادة مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ « فإن الأصل أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف جاز الإقدام عليه.



* وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان.

* وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المعتاد.

* وفيها دليل على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

✽ سورة الفرقان (مكية).

✽ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ✽

✽ وهذا القول منهم فيه عدة عظامه:

* **منها:** رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.* **ومنها:** إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله - بأنه كذب وافتراء.* **ومنها:** أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله، وأن يضاهاه المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل

من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

* **ومنها:** أن الرسول قد علمت حالته، وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له، وقد زعموا ذلك.

✽ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمِيمِ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا ﴿٣٥﴾ أَمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٦﴾ ✽

* مما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل

وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ عَالِمَةً لَيُنْفِقُونَ سَيِّئًا وَهُمْ يُحَافُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
إِنْفَاكُ أَفْتَرْتَهُ وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخِرُونَ فَقَدْ جَاءَهُمْ ظُلْمَاتُ
النُّجُومِ ﴿٦﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٧﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمْعَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ذَكِيمًا ﴿٨﴾
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ بَأْسَ كَلِّ الطَّعَامِ وَيَتَشَبَّهُ فِي
الْأَشْوَابِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَالًا فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٩﴾
أَوْ يُنذِرُنَا إِلَهُهُ كَيْفَ أُنزِلَتْ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا ﴿١٠﴾ أَنْظَرَ
كَيْفَ ضَرَبُوا إِلَيْكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿١١﴾ تَبَارَكَ الَّذِي أَنْشَأَ جَعَلٌ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَعَلْتَ نَجْمِي مِنْ نَجْمِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٢﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

حي، وملاأت الكائنات، وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص، وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليها الأسماء الدالة على الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها سبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به؟! ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

* هذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرَقَانَا وَأَصْلُ سَيْلَانٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَحَمَلْنَا مَعَهُ أَلْحَابَهُ هَارُونَ وَزَيْدًا ﴿٣٤﴾ قُلْنَا آذِهُبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٥﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لِنَائِهِمْ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٦﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّيسِ وَقَوْمَنَا بَدِيتَ ذَلِكَ كَبِيرًا ﴿٣٧﴾ وَكُلًّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْتَلَّ وَكُلًّا نَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ الَّذِي مَطَّرَ النَّسْوَةَ أَقْلَهُ يَكْفُو نُؤَابِرَ وَهَذَا بَلَكُ الْوَالِدِ لِحُجُوتِ لُثُورِكَ ﴿٣٩﴾ وَإِلَّا رَأَوْكَ إِلَّا نَسْجِدُونَكَ إِلَّا هَهُنَا هَاهُنَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤٠﴾ إِنْ كَادَ لَيُبْدِلُنَا عَنْ هَذِهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهِنَّ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيْلَانٍ ﴿٤١﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٢﴾

حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية.

* وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق، فكلما حدث موجب أو حصل موسم أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.

* وفيه رد على المتكلمين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها، ولها معان غير ما يفهم منها، فإذا - على قولهم - لا يكون القرآن أحسن تفسيرا من غيره، وإنما التفسير الأحسن - على زعمهم - تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفا.

﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (١١).

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَمِنَ شَاءَ أَنْ يَخُدَّ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْوَعْدِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَخِّبْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُّوبٌ عَبَادَهُ خَيْرًا ﴿١٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ خَيْرًا ﴿١٤﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُغْوِيًّا ﴿١٥﴾ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا ﴿١٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَبِيسُوتُ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يُمُوتُونَ رَبَّنَا تُرِيبًا غَنَاءً غَدَابَ جَهَنَّمَ إِنْ عَذَابُهَا كَانَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لِرَبِّهِمْ قَالُوا لَوْ نَفَعْنَا رَبَّنَا وَكُنَ بِرَبِّكَ قَوْلًا ﴿٢٢﴾

* كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿ نَبَارَكُ ﴾ ثلاث مرات لأنها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته.

* وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع

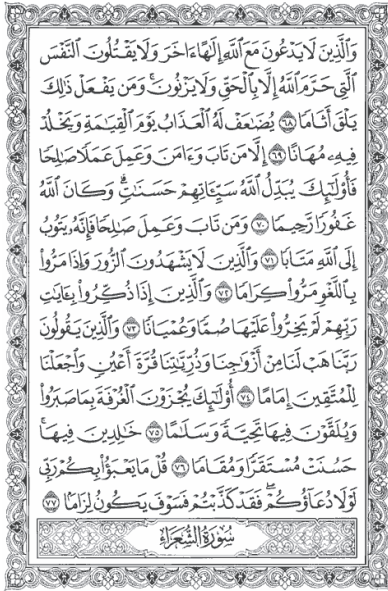
جوده وكثرة خيراته الدينية والدينية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن .

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (١٨).

* نص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٢﴾ .

* في قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه .



سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿سورة الشعراء﴾ (مكية).

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣٨)

قَالَ قَعْلَمَهَا إِذَا مَا أَنَامِنَ الْمَضَالِيْنَ ﴿٣٨﴾ فَفَرَزَتْ مِنْكُمْ لِمَأْكِفِكُمْ
فَوَهَّابِ لِي رَبِّي حِكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَا لَيْدَةَ
تَمِيمًا عَلَّقَ أَنْ عَبَّدْتَ رَبِّي اسْتَرْبِيلَ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبُّنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾
قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ لَيْسَ حَوْلَهُ إِلَّا السَّمْعُومُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٥﴾
قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾
قَالَ لَيْسَ الْمُخَذَّبَاتِ إِلَّا الْعَذَى لَأَجْمَلَكُم مِّنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٤٧﴾
قَالَ أَوْلَوْجِنَّكَ يَسْقَى وُثْيِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَأَيُّ بَهَائِمٍ كُنْتَ
مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْلَابٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْتُكَ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ لِلْمَلَاحِقَ لَهُ
إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلَيْهِ ﴿٥٢﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَهَذَا تَأْمُرُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَمَّا هُوَ فَلَئِمَّ فِي الْمَدَائِنِ
حَنِينِينَ ﴿٥٤﴾ يَا فُؤَادُكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٥٥﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٦﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّخْتَلِفُونَ ﴿٥٧﴾

* فيه إيحاء وتنبية إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون أنه داؤمكم، فرميتم أذكى الخلق عقلاً وأكملهم علماً بالجنون!!، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم عن إنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسموات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأى شيء تثبتون؟! وإذا جهلتموه فأى شيء تعلمون؟! وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء بعد الله وآياته تؤمنون؟!

تالله إن المجانين الذين بمنزلة البهائم أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة أهدى منكم .

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥)

* جمعهم لأن تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة و أخبار واحدة، فتكذيب أحدهم كتكذيب جميع ما جاؤوا به من الحق.

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

* من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه من كونه نزل من الله لا من غيره مقصوداً فيه نفعكم وهدايتكم.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾

* تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة،

على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه، وهي قلبه، وعلى أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين.

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

* هذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له: أحسن إلى قرابتك، فيكون هذا الخصوص دالاً على التأكيد وزيادة الحث، فامثل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش فعمّم وخصّص، وذكّرهم ووعظهم، ولم يبق **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من مقدوره شيئاً من نصحهم وهدايتهم إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

* ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعضهم عليه، وانصحهم، وابدل

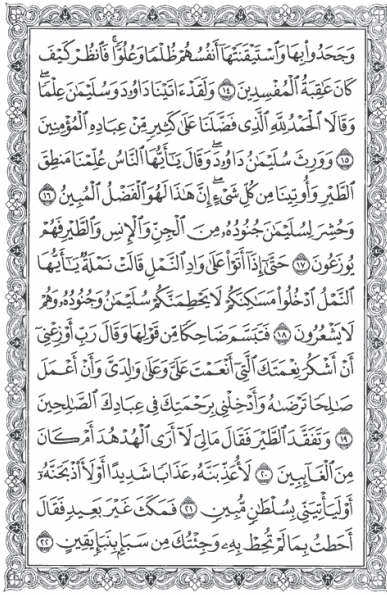
وَأَنْتَ الَّذِي خَلَقَهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَلْتُكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿١١٩﴾ لَقَدْ نَزَّلَ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٢٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢١﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّهُ لَكَلِمَةٌ ذُكِّرْنَا لِأُولَئِكَ أَنْ لَوْ رَبُّكَ لَهَمَّ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢٣﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٢٤﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهُدًى يَوْمَ تَوَفَّيْتَهُمْ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٢٦﴾ فَبِأَيِّ هَمٍّ بَعَثَهُمْ وَعَبَّرَ عَنْهُمْ وَرَدَّهُمْ لَوَارِثَهُمْ فَبَقُوا قُلُوبًا هَلْ تَحْنُ مِنْظُورَةٌ ﴿١٢٧﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٢٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٢٩﴾ فَنَدَّجَاهُمْ ثُمَّ مَاتُوا مَوْتًا عَذَابًا ﴿١٣٠﴾

قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه. وهذا الدفع احتراز وهم من يتوهم أن قوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] يقتضي الرضا بجميع ما يصدر منهم ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا. والله أعلم.



سُورَةُ النَّاسِ

﴿سورة النمل (مكية).﴾



﴿فَتَبَسَّصَ صَاحِبَاكَ مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾

* هذه حال الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام: الأدب الكامل والتعجب

في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك

إلا إلى التبسم، كما كان الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء

الأدب، وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه يدل على شراسة الخلق

والجبروت، والرسول منزهون عن ذلك .

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ

عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

* دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدييره بنفسه للأمر

الكبار والصغار حتى إنه لم يهمل هذا الأمر، وهو تفقد الطيور والنظر هل هي

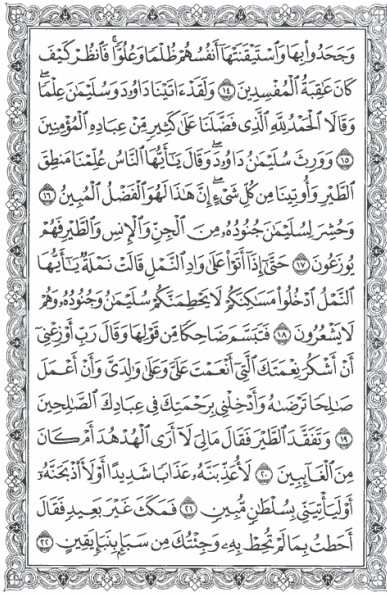
موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية، ولم يصنع شيئاً من

قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منه ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا

عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه

دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر

هذا البصر الخارق للعادة وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات. وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: لطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقدته قال ما قال، أو ففتش عن الهدهد أو بحث عنه ونحو ذلك من العبارات. وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب، ولزومها للمراكز والمواقع التي عينها لها.



* وأيضاً فإن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج إلى هندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعماريات ما يحفرون له الماء ولو بلغ في العمق ما بلغ، وسخر له الريح غدوها شهر، ورواحها شهر فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد؟! وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل فينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم، حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع.

* واللييب الفطن أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم، وأمرهم بالتفكير في معانيه وتطبيقها على ألفاظه

العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء؟ وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ردها إلى الأصل، فإن وافقه قبلها من كون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى، أو لفظاً أو معنى ردها وجزم بطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها وهو ما يعرفه في معنى كلامه ودلالته.

* والشاهد أن تفقد سليمان **عَلَيْهِ السَّلَام** للطير وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدييره للملك بنفسه وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر الصغير: **﴿فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِبِينَ﴾** (٢٠) أي: هل عدم رؤيتي

إياه لقلّة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة أم على بابها بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟!

* **﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ، عَذَابًا شَدِيدًا﴾** وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعدر واضح، فذلك استثناء لورعه وفطنته.

وَجَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَلَهَا أَلْفُ سُرُطَلَمَا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبُهُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَدْءَا اتَّبَعَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا
وَقَالَ لِمَنْدُوبُهُ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَيَّ كَبِيرَيْنِ عِبَادِي الْفُؤُوسِيَيْنِ
﴿٢١﴾ وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنَّ مَطِيقَ
الطَّيْرِ وَأُوَيْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَضَى الْمَعِينُ ﴿٢٢﴾
وَحُجْرَتِ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهَمَّ
بُورْخُونَ ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ الْقَوْمِ قَالَ تَمَلَّكُوا يَا أَيُّهَا
الْقَوْمُ أَنْ تَدْخُلُوا مَسْجِدَهُمْ لَا يَحْطَبُكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَتَبَسَّصَ حَاكِمًا مِنْ قَوْمِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْرِثْنِي
أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَوَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
﴿٢٥﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْعَائِبِينَ ﴿٢٦﴾ لَأَعَذِّبَنَّهٗ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْهُ
أَوْ لَا يَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٧﴾ فَمَكَتْ عَذْرُوبِي فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٨﴾

﴿ فَمَكَتْ عَذْرُوبِي فَقَالَ أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴾ (٢٨)

* هذا يدل على هيبة جنوده منه وشدة ائثارهم بأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه عذر واضح لم يقدر على التخلف زمنًا كثيرًا.



﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

* أي لا تكونوا فوقني، بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري، وأقبلوا إليّ مسلمين، وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام لأنه تضمن نبيه على العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام. وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة، وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب.

إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُكُمْ وَأُورِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَدُّنَ لَهُمُ الشَّمْسَ إِذَا غَمَّتْهُمْ فَصَدَّحُوا عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ قَالَ سَتُنطَلِقُ أَسَدَقْتُ أُمَّرَأَتِي مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ أَذْهَبَ بِكَ هَذَا فَأَلْفِيهِ إِلَيْهِمْ فَوَقُولَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرْجُونَ ﴿٣٥﴾ فَأَنَّ تَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِلَى الْعِرْقِ كَيْتَبُ كَرِيمٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ فَأَنَّ تَأْتِيهَا الْمَلَأُ الْفُتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَهُ أَمْرًا حَتَّى تَنْهَدُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ أَلَا تَحْنُ أَوْلَاؤُا قَوْمِي وَأَوْلَاؤُا بَنِي شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَنَّ لِلْمَلَأِ كَيْدًا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَدُهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُمْ أَهْلِيهَا آذَانًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِهِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾ ﴿٤٣﴾

* لم يعتر بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك، لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾ ﴿٤٣﴾

فَلَمَّا جَاءَهُ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُ مِنِّي بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهَا إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَنَا آتِيكَ بِهَا أَنْتُمْ بِهِدِيَّتِي كَفَرْتُمْ ﴿٤٣﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَأْتَيْهِمْ يَجُودُوا لِأَقْبَلُ لَهُمْ بِهَا وَلِيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَوْلَةً وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ تَأْتِيهَا الْمَلَأُ الْكُفْرَ بِأَيِّ بِنِي بِعَرَضِهَا أَقْبَلُ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ عَفْرِيُّ مِنْ لَيْلَى أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٦﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٧﴾ قَالَ تَكْفُرُوا لَهَا عَرَضًا تَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تُكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَلْكَذَا عَرَضُكَ قَالَتُ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْهَبْنَا الْيَلُونَ قِيْلَهَا وَكَيْفَ مُسْلِمِينَ ﴿٤٩﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ قِيلَ لَهَا إِذْ حُلِّي الصَّرْحُ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لِحْجَةً وَكَذَّبْتَ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صِرْحٌ مُفْرَدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأْتُكَ مَعَ سُلَيْمَانَ إِلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (٤٤)

* ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ هذا من ذكائها وفطنتها، لم تقل: هو، لوجود التغيير فيه والتكبير، ولم تنف أنه هو، لأنها عرفته، فأنت بلفظ محتمل للأمرين، صادق على الحالين.

فَلَمَّا جَاءَتْ سَلِيمَنَ قَالَ أَتَيْدُونَ قِيَامًا إِنَّمَا أَنشَأَ اللَّهُ حَتْرًا وَمَا
 أَنشَأَ قَبْلَ أَنَّهُمْ يَهْدِيكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٤٤﴾ أَنْزَجَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَهُمْ
 بِحُورٍ لَا يَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا وَلَا كَفَرْتُمْ بِهَا وَأَدَلَّهُمْ وَخُصِمُوا مِنْ ﴿٤٥﴾
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَيْكُرُ يَا أَيُّهَا الْعَرِيبُ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِمُسْلِمِينَ
 ﴿٤٦﴾ قَالَ عَفْرِيُّ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ لَمَّا قَالَ أَنَّهُ أَيُّوبُ بْنُ قَعْقَبَةَ بْنِ قَعْقَبَةَ
 وَابْنِ عَلِيٍّ لَقَوِيَ لَمِينًا ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ رِجَالٌ مِنْ الْكُتُبِ أَنَا
 أَيُّوبُ بْنُ قَعْقَبَةَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكَ فَلَمَّا رَأَى مُسْتَقْرَأَ عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ لَنَا
 يَزِيدْنَا مِنْهُ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبَ عَنِّي كَبِيرٌ ﴿٤٨﴾ قَالَ نَسَى رَأْيَهَا
 عَرِيبًا فَانظُرْ أَنه تَدْرِي أَوْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
 وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
 قَوْمِ كَثِيرٍ ﴿٥١﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ
 مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
 وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤)

* هذا أيضاً من عقلها وأدبها فإنها لم تتنفع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله لعلها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى

شك من حال السوء بعدما رأت ما رأت، فلما استعدت للخوض قيل لها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ أي: مجلس من قوارير، فلا حاجة منك لكشف الساقين، فحيثئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت، علمت نبوته ورسالته، وتابت ورجعت عن كفره: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤).

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢)

* هذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشرار

الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، «ولم يأت دليل يدل على كيفيتها ولا من أي نوع هي، وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه. والله أعلم».



سُورَةُ الْقَصَصِ

﴿سورة القصص (مكية)﴾

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِمُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن

وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْبَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمَّنَّ وَجُنُودَهُمَا
وَيُنْهَرُ مَا كَانَ الْوَأَخْبَتَا إِلَىٰ أُمُوسَىٰ ﴿٩﴾ وَأَخْبَتَا إِلَىٰ أُمُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِيَهُ فَإِنَّا نَخْفَتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَفَا
وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا نَأْتِيهِ بِآيَاتٍ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُنْتَسِلِينَ ﴿١٠﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿١١﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِمُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا
أَنْ رَّظَنَّا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْمَوِّتِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَتِ
لِأَخِيهِ قُصِّبْتُ قَبْرَتِي بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٤﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
﴿١٥﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ
﴿١٦﴾ فَتَرَعَيْتُمَا وَلَا تَحْزَنْ وَانْتَعَدَا
أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا لِأَنَّ كَثْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْمَوِّتِينَ
﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأَخِيهِ قُصِّبْتُ قَبْرَتِي بِهِ عَنْ
جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَانْتَعَدَا أَنْ وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَيْتَنَّهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ

الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ
عَدُوِّهِ فَاسْتَعَنَّهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

* ﴿لِتَكُونَ﴾ ﴿بذلك الصبر والثبات﴾ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾، فإن العبد إذا

أصابته مصيبة فصبر وثبت ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك على أن استمرار
الجزء مع العبد دليل على ضعف إيمانه.

* وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أمًا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا.

* ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٧) ﴿ هذا وعد من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ نَحْيِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ وَخَلَّ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَكَرَهُهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأْتِرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٣﴾ فَجَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلَقَاءَ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينِكَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٧﴾ فَجَاءَهُ أَحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأْتِرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَجَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلَقَاءَ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينِكَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُ أَحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ .

* ﴿تَمْشَى عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ هذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

* ويدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخدم الذي لا يُستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ ثَلَاثَةٌ مَدِينَةَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّبِيلِ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَةِ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُوتُونَ وَوَجَدَهُمْ يُرْشِدُونَ أَمْرًا رَبَّنَا قَالَ مَا حَاطَبُكُمْ كَمَا قَالَتْ الْأَنْسَابُ حَتَّىٰ بُصِّدَ الرَّبْعَةَ وَأَبُونَا سَمِعَ كَيْدَهُ ﴿٢٦﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا تَوَلَّىٰ إِلَى الظَّلِيلِ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لَمَّا أَوْلَيْتُكَ ابْنًا مِنْ خَيْرِ قَوْمٍ ﴿٢٧﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشَى عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنَ يَدْعُوكَ لِیَجْرِيَنَّكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتُ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَحْوَتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣١﴾ .

* وهذا يدل على أن الرجل الصالح ينبغي له أن يحسن خلقه معها أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٨﴾ .

* هذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر



عند كثير من الناس:

- فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيباً **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟
- وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟
- ولو كان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان.
- وأيضاً فإن شعيباً **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما.
- وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم.

فصل في ذكر بعض الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة:

- * **فمنها:** أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.
- * **ومنها:** أن الله تعالى إذا أراد أمراً هياً أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة.
- * **ومنها:** أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإيأس من ارتقائها إلى أعلى

- الأمور، خصوصا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.
- * **ومنها:** أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها [ولا دنياها] ولا يكون لها إمامة فيه.
- * **ومنها:** لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.
- * **ومنها:** أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سرورا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرا أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهلم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا.
- * **ومنها:** أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.
- * **ومنها:** أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبیت من الله، عند المقلقات، كما قال تعالى.
- ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.
- * **ومنها:** أن من أعظم نعم الله على عبده، و [أعظم] معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعاه وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا يتتبع بنفسه في تلك الحال.

* **ومنها:** أن العبد - ولو عرف أن القضاء والقدر ووعده الله نافذ لا بد منه - فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

* **ومنها:** جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.

* **ومنها:** جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك.

* **ومنها:** أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.

* **ومنها:** أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عدّ قتله القبطي الكافر ذنبا، واستغفر الله منه.

* **ومنها:** أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

* **ومنها:** أن من قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهيب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي **﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾** (١١) على وجه التقرير له، لا الإنكار.

* **ومنها:** أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شريعته فيه، لا يكون ذلك نميمة - بل قد يكون واجبا - كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحا له ومحذرا.

* **ومنها:** أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

* **ومنها:** أنه عند تزامم المفسدين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل [يدله] غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

* **ومنها:** أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢).

* **ومنها:** أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق الأنبياء.

* وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.

* **ومنها:** استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً لها، لأنه تعالى، يجب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكته، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤).

* **ومنها:** أن الحياء - خصوصاً من الكرام - من الأخلاق الممدوحة.

* **ومنها:** المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.

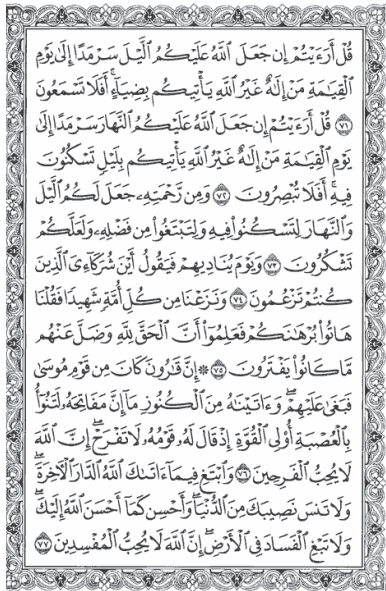
* **ومنها:** أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب

- مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.
- * **ومنها:** مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، ممن لا يقدر العمل، وإنما مرده العرف.
- * **ومنها:** أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعاً.
- * **ومنها:** أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخير، لا يلام عليه.
- * **ومنها:** أن خير أجير وعامل [يعمل] للإنسان، أن يكون قويا أميناً.
- * **ومنها:** أن من مكارم الأخلاق، أن يُحسِّن خلقه لأجير، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ لَكَ سَجَدًا إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧).
- * **ومنها:** جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إسهاد لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨).
- * **ومنها:** ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البيّنات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق.
- * **ومنها:** أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيّناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً في الخير هادياً مهدياً.
- * **ومنها:** ما فيها من الدلالة على رسالة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من

تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.

* فصلوات الله وسلامه، على مَنْ مجرد خبره ينبيء أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.

* ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكائد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نمواً، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات يظهر من آياته ما هو عبرة للعالمين، وهداية للعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده.



﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧١﴾

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تبصرون ﴾ ﴿٧٢﴾

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ، وَعَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ، مِثْرَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَكَثْرَتُ جَمْعًا
 وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَصَحَّحَ عَلَى قَوْلِهِ
 فِي زَيْتِي، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيَلْبَسُنَّ
 مِنْهَا مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ قُرْبَانَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَسَى
 صَلَاحًا أَوْ لِيُفْلِحَهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٥﴾ فَحَسَّنَا بِهِ
 وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَصْرُوهُ، مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا
 مَكَانَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ يَفُورُونَ وَيَكْفُرُونَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَهْتُمْ بِئْسَ
 وَجْهًا، لَا يَفْضَحُ الْكُفْرُونَ ﴿٨٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا
 لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾

* في هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٩)

* ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق.
 * وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٩)

* شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله



به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى
وحقوق العباد .



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

﴿سورة العنكبوت (مكية).﴾

﴿فَأَمَّا لَوْمَةُ لَوِطٍ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ التَّارِكِينَ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ مَّن بَيْنِكُمْ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ فَأَمَّا لَوْمَةُ لَوِطٍ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَسَىٰ أُنَاقُتُ أَفْتَحُكُم مَّا سَقَطَ فِيهَا مِن آخِرِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ أَيُّكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ اضْرَعْ عَنِّي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

* لما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم يذكر الله عنهم أنه أهلهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره

كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك أن الخليل **عليه السلام** من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم] وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذابا عاما. وما يدل على ذلك أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

* تقدم أن لوطا عَلَيْهِ السَّلَام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم. فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبياً رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣)

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَنسَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَمِيعِينَ ﴿٤٣﴾
فَكَيْفَ أَتَى النَّبِيَّ يُرِيهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَمِنهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا
وَمَا كَانُوا لِيُظَاهِرَهُمُ اللَّهُ لِيُظَاهِرَهُمْ
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظَاهِرُونَ ﴿٤٥﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً كَمَا اتَّخَذَ الْفِرْعَوْنُ
مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَكْفُرُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْمَلُونَ مِنْ
دُونِهِمْ نَحْنُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٧﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٨﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَنْتَلَى مَا أَرْسَلْنَاكَ مِنْ
الْبَشَرِ وَأَنْتَ أَكْبَرُ أَعْيُنُ النَّاسِ عَنِ السَّمْعِ
وَالْمَنْعِ وَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٠﴾

* هذا مدح للأمثال التي يضر بها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضر بها الله في القرآن، إنما هي للأموال الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبدلون جهدهم

في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

* ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ أي:

ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِرُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُّهُ بِسْمِئِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْتَلُونَ ﴿٥٦﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُكَ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ فِيهِمْ أَنَا أَنْزَلْتُ آيَاتِكَ الْكِتَابَ يُعَلِّمُكَ مَا فِيهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَنِي وَبَنَاتِكُمْ شُهَدَاءَ إِنَّكَ مَعَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٠﴾

إياهم [على وجه] يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر.

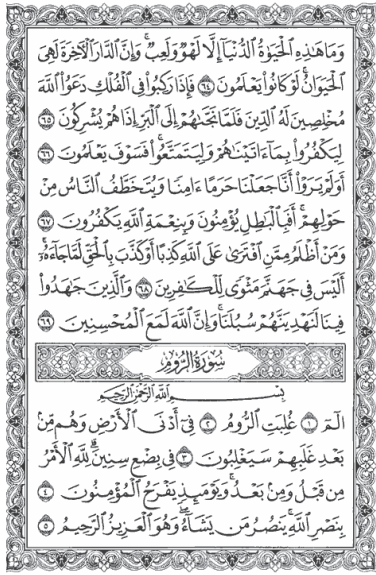
* فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً.

* وأيضا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد **صلى الله عليه وسلم** قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسول كلهم، وهذا من خصائص الإسلام. فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو

يرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

* وأيضا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكل شبهة يقدر بها في نبوة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أظهر وأظهر.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦١﴾



* دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من

الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.



سُورَةُ الرَّومِ

* سورة الروم (مكية).

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴾ (٧) *

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنْ أَكْفَرْنَا لَن لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَدَّدٌ وَإِنَّ كِبْرًا مِّنَ النَّاسِ يَلْقَاوْنَ رَبَّهُمْ لَكُفْرًا ﴿٣﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ وَعَمَرْنَاهَا أَنَّى تَرْمَعَا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَرُوا الشُّرَكَاءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦﴾ وَيَوْمَ نَعْلَمُ السَّاعَةَ يُبْسِلُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧﴾ وَلَوْ يَكُن لَهُمْ مِنَ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا يُبْتَغَىٰ بِهِمْ كُفْرَاتٌ ﴿٨﴾ وَيَوْمَ نَعْلَمُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ بِتَفَرُّوتٍ ﴿٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُنحَرُونَ ﴿١٠﴾

* من العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب، وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن

آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون. نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون. ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما] حرموا من العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عبادته، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه، فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته، [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي

العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بنى كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير]

﴿ فَسُبِّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

وَأَمَّا اللَّيْلُ فَكثُرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٧﴾ فَسُبِّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ تُرَابٍ نُورًا إِذْ أَنْشَأَ بَشَرًا تَنْشُرُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَافِكُ إِلَهِكُمْ وَالنَّهَارِ وَأَبْغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ بُرُجُ الْمُرُقِ حَوْفًا وَطَمَعًا وَمِنْ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَشَرًا مَوْتِيًّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾

* لأن هذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها، فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها، بل العبادة وإن لم تشتمل على قول (سبحان الله) فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة، أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

* هذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد والمطالب.

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ مُبِين

إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ .

* خص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على

الأميرين سَعْيُ البدن، ولهذا قال:

﴿حَنِيفًا﴾ أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه.

* الإنابة إجابة القلب، وانجذاب

دواعيه لمراضي الله تعالى. ويلزم

من ذلك حمل البدن بمقتضى ما

في القلب، فشمّل ذلك العبادات

الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا

بترك المعاصي الظاهرة والباطنة،

فلذلك قال: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾، فهذا يشمل

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ فَإِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ خَائِفُونَ ﴿٣١﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَدِيثُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ عَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ
شَرِكَةٍ فِي مَا رَزَقْتُمْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَسَوَاءٌ تَحَافُوتُهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾ نَبِيٌّ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَقْرَبُ
وَجْهًا لِلَّذِينَ حَنِيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الذين كفروا ولكن آفة
الناس لا يعلمون ﴿٣٦﴾ مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَأَنْقُوهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٧﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٨﴾

فعل المأمورات وترك المنهيات. وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو

إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهذا إعانتها على التقوى. ثم

قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهذا حثها على الإنابة. وخص

من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: ﴿وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها

الإخلاص من كل وجه.

* وفي هذا تحذير للمسلمين من تشبههم وتفرقهم فرقا، كل فريق يتعصب لما



﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾



* هذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف [العقل] خفيفه. فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمنزلة القشور، فالله المستعان.



وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مُّضْمِرًا لِّظُلُومٍ مِّنْ بَعْدِهِمْ يَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٦١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ صُلَيْبِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِيفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخَافُ مَا بَسَّطَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتُوا عَذْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَالسَّاعَةُ كَذِبٌ لِّكُفْرِهِمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦٧﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

﴿سورة السجدة (مكية)﴾

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤١﴾

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن دُكِرَتْ بِعَائِدَتِ رَبِّهِ قَدْ أَفْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِمَنْ إِيَّاهُ شَاءَ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ بِهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُفَصِّلُ الْبَيْنَ لِمَنْ يُؤْمَرُ الْفَيْسَمَةَ فِيمَا كُنْتُمْ تُخْتَلَفُونَ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ يُعَذِّبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٦﴾ يَسْمُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَقْلًا يَسْمُونَ ﴿٤٧﴾ أُولَئِكَ نَزَّلْنَا آتَانَا فِي السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُرْتَضَىٰ فَخَرَجُوا مِنْهَا زَاغَاتٍ كُلٌّ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَاوَمَتِ أَعْيُنُهُمْ تَلَوُّمًا لِيُصِيبُوا ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمِنْ أَمْتٍ أَنْظَرْتُمْ عَنْهُمْ مَسْطَرُونَ ﴿٥١﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

* هذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالاتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار.

* ولما كانت الإذاعة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿الروم: ٤١﴾.



سُورَةُ الْأَحْزَابِ

* سورة الأحزاب (مدنية).

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَتْلُوهَا النَّبِيُّ أَلْفًا وَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُتَّقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٦﴾ وَأَتَمَّ مَا أُوتِيَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حُجُوبِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَهُمْ فِي جُفَايَا رِجُلَيْنِ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَةَ ذَكَرِ ابْنَةِ ذَكَرٍ قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٩﴾ وَأَقْرَبَهُمْ وَوَالِدَهُمْ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١٠﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْرُجُوا فِي الْبَيْنِ وَمَوْلَاهُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا بَل لَّيْسَ بِمَاقَصِدَاتِكُمْ وَاللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٢﴾

* أخبر في هذه الآية أن المؤمنين كلهم أولاد للرسول، فلا مزية لأحد عن أحد وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف.

* وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أمهن لا يجللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

* وهذه الآية حجة على ولاية ذوي الأرحام في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾.

* ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ يريدون يا أهل المدينة فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن

كاملات مكملات، طيبات مطيبات ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾
[النور: ٢٦].

* **ومنها:** أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.

* **ومنها:** أن يكون اختيارهن هذا سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكنَّ بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣٣)

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٤)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٥)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٦)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٧)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٨)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٣٩)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٠)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤١)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٢)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٣)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٤)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٥)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٦)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٧)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٨)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٤٩)
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سُلُوكًا سَلِيمًا﴾^(٥٠)

* هذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال أن لا تلين لهم القول.

* ودل قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم،

والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فليعرف أن ذلك مرض. فليجتهد في

إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧) .

﴿ وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة فوائد :

* منها: الثناء على زيد بن حارثة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وذلك من وجهين:

- أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره.

- والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه،

أي: بنعمة الإسلام والإيمان.

وهذه شهادة من الله له أنه مسلم

مؤمن، ظاهرًا وباطنًا، وإلا، فلا

وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن

المراد بها النعمة الخاصة.

* ومنها: أن المعتق في نعمة المعتق.

* ومنها: جواز تزوج زوجة الدعي، كما

صرح به.

* ومنها: أن التعليم الفعلي أبلغ من القولي، خصوصاً إذا اقترن بالقول، فإن

ذلك نور على نور.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صَلْبًا مُمْسِكًا ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ آدَمَ الَّذِي ذُكِّرَ مِنْ قَبْلَ وَأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورٌ ﴿ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَهُمْ وَتَخْشَوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاشَ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿

* **ومنها:** أن المحبة التي في قلب العبد لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يَأْثَم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته أن لو طلقها زوجها، لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أخفى ذلك في نفسه.

* **ومنها:** أن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قد بلغ البلاغ المين، فلم يدع شيئاً مما أوحى إليه إلا وبلغه، حتى هذا الأمر الذي فيه عتابه. وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحى إليه، ولا يريد تعظيم نفسه.

* **ومنها:** أن المستشار مؤتمن، يجب عليه - إذا استشير في أمر من الأمور - أن يشير بما يعلمه أصح للمستشير ولو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشار على هوى نفسه وغرضه.

* **ومنها:** أن من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمسакها معها أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

* **ومنها:** [أنه يتعين] أن يقدم العبد خشية الله على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.

* **ومنها:** فضيلة زينب **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها، من رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

* **ومنها:** أن المرأة، إذا كانت ذات زوج لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها، ولا يقضي وطره حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمته، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِتَعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾ .

* يستدل بهذه الآية على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن

يُنكِحَهَا، أَوْ عُلِقَ طُلُقُهَا عَلَى نِكَاحِهَا، لَمْ يَقَعْ، لِقَوْلِهِ: ﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فَجَعَلَ الطَّلَاقَ بَعْدَ النِّكَاحِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَا مَحَلَّ لَهُ. وَإِذَا كَانَ الطَّلَاقُ الَّذِي هُوَ فِرْقَةٌ تَامَةٌ، وَتَحْرِيمٌ تَامٌ، لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، فَالتَّحْرِيمُ النَّاqِصُ لظَهَارٍ، أَوْ إِيْلَاءٍ وَنَحْوِهِ، مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُحْرَى أَنْ لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، كَمَا هُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

يُنكِحَهَا، أَوْ عُلِقَ طُلُقُهَا عَلَى نِكَاحِهَا، لَمْ يَقَعْ، لِقَوْلِهِ: ﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فَجَعَلَ الطَّلَاقَ بَعْدَ النِّكَاحِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَا مَحَلَّ لَهُ. وَإِذَا كَانَ الطَّلَاقُ الَّذِي هُوَ فِرْقَةٌ تَامَةٌ، وَتَحْرِيمٌ تَامٌ، لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، فَالتَّحْرِيمُ النَّاqِصُ لظَهَارٍ، أَوْ إِيْلَاءٍ وَنَحْوِهِ، مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُحْرَى أَنْ لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، كَمَا هُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

* ويدل على جواز الطلاق، لأن الله أخبر

به عن المؤمنين، على وجه لم يلهمهم عليه، ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.

* وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية الأخرى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

* وعلى أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج، حيث لا مانع.

* وعلى أن عليها العدة، بعد الدخول. وهل المراد بالدخول والمسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى

بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطئها، أم لا، إذا خلا بها وجب عليها العدة.

* وعلى أن المطلقة قبل المسيس تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول تنصّف المهر، وكفى عن المتعة .

* وعلى أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جميلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر. ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر، شيء كثير.

* وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس كان له عليها عدة

* وعلى أن المفارقة بالوفاة، تعدد مطلقاً، لقوله: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية .

* وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

يَتَأْتِيهَا نَوْرٌ بَلْقَوْمَهُ رَسُولُهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٥٠﴾ يَأْتِيهَا
الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهَا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥١﴾ وَدَاعِبًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْرًا ﴿١٥٢﴾ وَيُنِيرُ الْكُفْرِينَ وَأَلْمِيقِينَ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَرِيمًا ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُتَّقِينَ
وَدَعَىٰ أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٥٤﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَتَيَمُّوهُنَّ وَسِرَّجُوهُنَّ سِرًّا حَاجِمِيًّا ﴿١٥٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
بِيَمِينِكَ وَمِمَّا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَاءَ
مُؤْمِنَاتٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكُونَ
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَرِهَاتُ اللَّهِ عَنَّا فَذُرُوا حَيْمًا ﴿١٥٧﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ
ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ بِيَمِينِكَ مِمَّا
آفَأَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ
مَعَكَ وَأُمَّرَاءَ مُؤْمِنَاتٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ
إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ
فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ ❦

* يؤخذ من مفهومه أن ما عداهن من الأقارب غير محلل، كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما عداهن من الفروع مطلقاً، والأصول مطلقاً، وفروع الأب والأم وإن نزلوا، وفروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ❦

* هذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعة درجته، وعلو منزلته

عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ ❦

* لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ❦ أي: أبعدهم

وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه

يحتم قتل من شتم الرسول وآذاه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي ءَأْيَابِهِمْ وَلَا أُتْبَانِهِمْ وَلَا الْإِخْرَاقِينَ وَلَا
أُتْبَانَهُ الْإِخْرَاقِينَ وَلَا أُتْبَانَهُ الْإِخْرَاقِينَ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ وَأَقْبِرَتِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ
مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾
يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يُذَيِّبُونَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ يُهْرَقْنَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا
يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَنْ نُؤْتِيَهُ الْمُنْفِقِينَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُومِينَ فِي الَّتِي هُمْ فِيهَا
كُنُوزُهُمْ يُعْرَضُونَ لِأَجْمَلِهِمْ وَأُولَئِكَ فِيهَا الْأَلْقَالُ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ
أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجِدُوا وَقِفُوا تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي
الَّذِينَ حَلَلُوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذَنِّبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ
أَدَّى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٥٩﴾ ❦

* ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ ❦ دل على وجود أدية إن لم يحتجب، وذلك،

لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

﴿لَيْنَ لَمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾

لَا حِجَابَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَقْبِرَتِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدًا ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثْنَا مَا مَحْسَبُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ لَكِنَّا نَمُحُّهُمْ كَمَا نُحْسِبُ مَا آتَيْنَاهُمُ النَّبِيَّ قُلْ لَا رُوحَ جَبْرِيَّتِكَ وَيَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُذَيَّبُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلِيدٍ بِرِئْتِ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَعْرِفَ قَلِيلًا يُؤْذِنُونَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٣﴾ لَيْنَ لَمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ مَلْعُونِينَ أَيْمَانًا نَقُصُّوا أُجْرًا وَقَالُوا لَنُغْرِبَنَّكَ اللَّهُ فِي سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْآيَاتِ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٥﴾

* ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ هذا فيه دليل لنفي أهل الشر الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه .



سُورَةُ سَبَأٍ

* سورة سبأ (مكية).

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿٦﴾

* هذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ﴿١﴾

* ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ﴿١﴾ فكما كان العبد أعظم إنابة إلى الله كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالْعَذَابُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا نَشَاءُ فَضَّلْنَا بَعْضَ الْأُمَمِ عَلَى الْآخَرِ إِنَّا لَفَاعِلٌ ﴿٣﴾ إِنَّا لَفَاعِلٌ سَابِقِينَ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ وَيَسْمَعُ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرًا وَرَوْحاً شَهْرًا وَأَسْمَأُكُلَهُ عَيْنُ الظُّفْرِ وَإِن لَّمْ يَأْمُرْ يَأْمُرْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَائِمَةً مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَكْتُمُ الْغَيْبَاتِ كَالْخَرَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَدَّرْنَا مِنْ عِبَادِنَا الشُّكْرُ ﴿٦﴾ فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دُلَّهُمْ عَلَى مَوْجِهِ إِلَّا دَارَهُمُ الْأَرْضُ فَأَكُلُ مِنْهَا مِمَّا نَشَاءُ وَلَقَدْ آتَيْنَا الْبَنِيَّ الْأَنْبِيَاءَ أَنْ يَتَّقُوا لِقَابَ رَبِّهِمْ فِي الْعَذَابِ الْيَوْمِ ﴿٧﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي
مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ
أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَعَمَلُوا
صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ .

* ما خصه به من أمره تعالى الجهادات
كالجبال، والحيوانات من الطيور، أن
تؤوب معه، وتُرَجَّع التسييح بحمد
ربها، مجاوبة له، وفي هذا من النعمة
عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي
لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك

يكون منهضاً له ولغيره على التسييح إذا رآوا هذه الجهادات والحيوانات، تتجاوب
بتسييح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

* **ومنها:** أن ذلك - كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت داود، فإن الله
تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجَّع التسييح
والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب كل من
سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها.

* **ومنها:** أنه لعله ليحصل له أجر تسييحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعاً له.

* ومن فضله عليه، أن ألان له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى
كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقة، ويصنعه كذلك، ثم
يدخل بعضها ببعض. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ

مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١٠﴾ أَفَأَنْزِلُ وَإِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَشَاءُ نُخَفِّضْ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ نُسَفِّطْ عَلَيْهِمْ كَسَفَّائِنَ السَّمَاءِ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآتِيَةٌ
بِكُلِّ عَمْدٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَالطَّيْرُ وَالرِّيحُ عُدُوهُمَا نَسْفَعُ بِالنَّاصِيَةِ
وَأَسْلَمْنَا لَهُ مِنَ الْعَقَبِ وَمَنْ عَدُوهُ مِنْ أَيْنَ شَاءَ إِنَّا
بِأَعْيُنِنَا رِيحٌ وَبَرَقٌ مِنْهُ عَنِ الْمَوْتِ وَأَعْرَابٌ لِّدَفْعِ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يَبْعَثُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهَا صَيَّغَةٌ
مِّنَ النَّارِ تُضَلُّونَ فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَلِّمُونَ فِي الْعَذَابِ وَمَنْ يُكَلِّمُنَا مِنْهُمْ
يَكَلِّمْنَا نَسْفَعُ بِالنَّاصِيَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَكَلِّمُونَ الْقَيْبَ مَا لَيْسَ فِي الْعَذَابِ الْبَعِيدِ ﴿١١﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

﴿سورة فاطر (مكية)﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

* هذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ [البينة: ٨].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾﴾

* قوله ﴿إِذِنَ اللَّهُ﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعاونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾ تَوَّأْوَرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٤٠﴾ وَهُرُوفُهُمْ حُجْرٌ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا تَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا تَعْمَلُ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ كَجِزَاةٍ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَبِيدَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٢﴾

دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

* هذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

* ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.



سُورَةُ يَسِّ

سورة يس مكية

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾



* تأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضوع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا

قَدَّمُوا وَأَوَّارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

* ﴿وَأَوَّارَهُمْ﴾ هي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيهِ عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك

عمل الشر. ولهذا: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وهذا الموضوع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرماً، وأعظمهم إثماً.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِّنَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿١٣﴾

* تعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها، ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها.

﴿ وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

* هذا الموضوع من أشكال المواضع عليّ في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام،

وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن لَّنَا لَأَقْرَهُ تَخْلِيقَهُمْ وَاصْتِرَاعِ كَيْفِهِمْ وَلَآ أَهْرُيقْدُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِلَآحْمَهُمْ مِنَّا وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمِمَّا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّمَّا كَرِهْتُمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطْعَمَهُم مِّن لَّدُننَا أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِن كُنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهَيُّهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ تَوَصِيَّةً لِّأَهْلِهَا يَرْجُونَ ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ قِيَاةً لِّأَهْلِهَا لِيَسْأَلُوا ﴿٥٢﴾ قَالُوا أَتُوبَلَّغُنَا مِن رَّبِّنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِن كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا ظَنٌّ نَّخْشِصُ وَلَا نَحْنُ بِمُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا لَمَّا نَحْنُ مُحْتَضَرُونَ ﴿٦٠﴾

وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يباهه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

* وثم احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

* فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضوع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلاله كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمر الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تنزل موجوده في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن، فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية، مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ

﴿٤١﴾ أَي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤١﴾

* في إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانا. وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم.

﴿قَالُوا يَدْعُونَنا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقِدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ﴿٥١﴾ وَصَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا زَجَمْنَا وَمَسَّا مُتَقَابِلِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا آلِهَتِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَتَّأْتِيهِمْ مِنْ أَيَّامِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ إِلَىٰ أَوْاعِنَهَا مُعْرَضِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِعُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُ أَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلَطْعَمَهُمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ مَا نَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَا تَسْتَعْجِلْ بِهِمْ تَوْصِيَةً إِلَّا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا قَوْمِ لَنَا مِن بَعْثِنَا مِن مَّرْقِدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ كُنْتُمْ إِلَّا صَائِحِينَ وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُخْضَرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالِيَوْمَ لَا تُظَلُّهُ نَفْسٌ سَائِغٌ وَلَا مَتَجِرَةٌ إِلَّا مَأْكُتٌ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾

* لا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَ يَمِيزُ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨] ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾

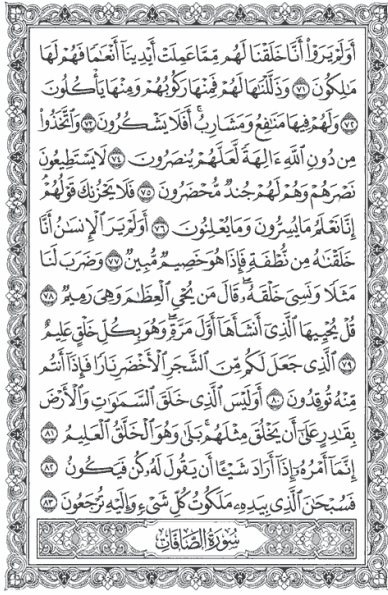
* ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦١﴾ أَي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه،

أنزله الله كذلك على رسوله .

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ
لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ .

* ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ﴾ ولا أنفسهم
ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون
نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر
له شرطان: الاستطاعة والقدرة فإذا
استطاع، يبقى: هل يريد نصره من

عبده أم لا؟ فننفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما.



سُورَةُ الصَّافَّاتِ

✽ سورة الصافات (مكية).

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ
 آءِ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ آءِ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا آءِ نَالْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ
 ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتُ لَلتَّرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
 لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ ✽

يقول آء نك لمن المصدقين ﴿٥٠﴾ آء اذ مننا وكننا ترابا وعظاما آء نالمدنين ﴿٥١﴾ يقول
 لتدينون ﴿٥٢﴾ قال هل ائت مطلعون ﴿٥٣﴾ فاطلع فرأاه في سواء الجحيم ﴿٥٤﴾ قال تالله ان كدت
 لتردين ﴿٥٥﴾ ولولا نعمة ربي لكنت من المخضرين ﴿٥٦﴾ قال هل ائت مطلعون ﴿٥٧﴾
 الآية الأولى وما نحن ببعدين ﴿٥٨﴾ إن هذا الهو القور العظيم ﴿٥٩﴾
 ليثل هذا القبعيل القديون ﴿٦٠﴾ أذلك خير ترابا أم شجرة
 الزقوم ﴿٦١﴾ إنا جعلناها فتنة للقلوب ﴿٦٢﴾ إنها شجرة
 تنبع في أصل الجحيم ﴿٦٣﴾ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴿٦٤﴾
 فأنهت لا تكون ومنها القلوب ومنها البطون ﴿٦٥﴾ فأن له
 عليها الشويمان حيم ﴿٦٦﴾ ثم إن مرجعهم للى الجحيم ﴿٦٧﴾
 إنهم القور آء هضر آءن ﴿٦٨﴾ فنه على آء آءه ربه رعون ﴿٦٩﴾
 ولقد صر قلهن آءن آءن آءن ﴿٧٠﴾ ولقد أرسنا فيهم
 منذرين ﴿٧١﴾ فأنظر كيف كات عفة المندون ﴿٧٢﴾
 لآعباد الله المخلصين ﴿٧٣﴾ ولقد نادتنا نوح فليعة
 المجربون ﴿٧٤﴾ ونحنه وأهله من الكعب العظيم ﴿٧٥﴾

✽ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ ✽

وحذف المعمول، والمقام مقام لذة
 وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون
 بكل ما يلتذون بالتحديث به، والمسائل
 التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن
 المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل
 عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات
 الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من
 هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم
 من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه.

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿١٠١﴾ ✽

✽ هذا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة [بإسحاق، ولأن
 الله تعالى قال في بشراه بإسحاق ﴿ فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾
 [هود: ٧١] فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل، عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عن جنى.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأْتَهُمُ الْمَلَأِينُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَتَدْبِرْنَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِهِمُ
 فَدَسَّدَوْتَ الرُّءُوسَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ
 هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْأَمِينُ ﴿١٠٨﴾ وَتَدْبِرْنَهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ بَيِّنًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَدَّكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ
 وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحَمَّدٌ وَظَلَّ بِرَأْسِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
 عَلَىٰ مَوْسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٥﴾ وَبَشَّرْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْأَعْيُنِيِّ ﴿١١٦﴾ وَبَشَّرْنَاهُمَا فَكَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ ﴿١١٧﴾ وَرَأَىٰ لَيْسَ
 الْكَتَبَ الْمُسْتَوِينَ ﴿١١٨﴾ وَهَدَىٰ بَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَوِيَّ
 ﴿١١٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مَوْسَىٰ
 وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ
 إِذْ قَالَ لِقْمَانُ يَا لَيْسَ لِي مِنَ الْغَنِيِّمْ فَاتَىٰ لُقْمَانَ الْمَلَأِينَ
 الْكُفْرِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٥﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾

* الواضح الذي تبين به صفاء إبراهيم،
 وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل
 عَلَيْهِ السَّلَامُ لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه
 حبا شديدا، وهو خليل الرحمن، والخلة
 أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا
 يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون
 جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحسوب،
 فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه

إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وُدّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم
 حبه حب ربه، فلما قدم حب الله، وأثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال
 ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ

الْبَلَاءُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَتَدْبِرْنَهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾

* أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيما:

- من جهة أنه كان فداء لإسماعيل.
- ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة.
- ومن جهة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ ﴿١١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٧﴾

* هذا فيه بيان براءة الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عما قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد

الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدير قد أمره الله به
لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء.



سُورَةُ صٰٓءِ

﴿سورة ص (مكية).﴾

﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمُ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
 مَسَّ وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ﴿٦﴾ بَلِ الدِّينُ كَفْرٌ وَّافِي عِزٍّ وَشِقَاقٍ ﴿٧﴾
 كَرِهْنَا لِمَن يَكْفُرْ مِن قَبْلِهِمْ قَدَآءَ أَوْلَادٍ مِّن مِّنَّا مَن يَكْفُرْ بِآيَاتِنَا
 أَن جَاءَهُمْ مُّذَيَّبُهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٨﴾
 أَعْمَلُ الْاٰلِهَةِ اِلٰهًا وَّجِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٩﴾ وَاَنطَلَقَ الْمَلَأُ
 مِنْهُمُ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى ءَالِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١٠﴾
 مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اَسْحَابٌ ﴿١١﴾ اَنْزِلْ
 عَلَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ فِى سَمْعِكَ مِنْ لَمَّا بَدُوْا عَذَابٌ
 ﴿١٢﴾ اَمْ عِنْدَ جَهَنَّمَ خٰزِنٌ رَّحِيْمٌ اِنَّكَ اَعْرٰبٌ اَلْوَهَابُ ﴿١٣﴾ اَمْ لَكُمْ مٰلُكُ
 السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْاَسْمٰبِ ﴿١٤﴾ جُنْدٌ
 مَّا هُمْ اِلَّا كَقَوْمٍ مَّهْرُومٍ ﴿١٥﴾ مِنَ الْاَنْخٰبِ ﴿١٦﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ
 وَعَادُوا وَرَقَعُوْنَ اُذُوْا الْاَوْتَادِ ﴿١٧﴾ وَتَمُوْدٌ وَقَوْمٌ لُّوٓطٌ وَاَصْحٰبُ
 لَيْكَةِ ﴿١٨﴾ اُولٰٓئِكَ الْاَنْخٰبِ ﴿١٩﴾ اِنَّ كُلَّ اِلْكٰذِبِ اِلْكٰذِبِ اِلْكٰذِبِ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ اِلَّا الصَّبِيْحَةَ وَّجِدَةً مَّا هِيَ
 مِنْ فَوَاقٍ ﴿٢١﴾ وَقَالُوْا رَبَّنَا نَحْنُ اِنَّمَا فَتَنَّا فَبَلِّغْنَا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾

* فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين، وهم قصدهم أن محمدا ما دعاكم إلى ما دعاكم إلا ليرأس فيكم، ويكون معظما عندكم، متبوعا.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ

نِعَاجِهِ ۗ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ۗ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾

* ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضاها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره.

* فقال داود - لما سمع كلامه - ومن المعلوم من السياق السابق من كلامها، أن هذا هو الواقع، فلماذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل: لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٢٩﴾

* هذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

* ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

﴿ وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا

الْمِحْرَابِ ﴾ ﴿٣١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ

مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا

عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي

لَهُ، تَسِعْ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ فَقَالَ

أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ﴿٣٣﴾ قَالَ لَقَدْ

ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا

مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ

أَصْبَرَ عَلَى مَا يُؤْمَلُونَ وَأَذَكَ عِدَانَا دَاوُدَ إِذْ الْيَدُ إِلَيْهِ أَوَّلُ ﴿٣١﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُونَ بِالْعَمِينِ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٣٢﴾ وَالظَّالِمِ مَخْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوْتَابٌ ﴿٣٣﴾ وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٣٤﴾ وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ ﴿٣٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٣٨﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَاقِبٍ ﴿٣٩﴾ يٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَفَرُوا ﴿٤٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٤١﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٤٢﴾ كَتَبَ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٣٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَاقِبٍ ﴿٣٥﴾ يٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ

فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَمَا خَلَقْتَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا تَبْلُغًا ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لَّيِّقٌ كَقَوْلِ الْتَّارِ ﴿٣٠﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣١﴾ كَذَبَ الَّذِينَ اتَّكَفَرُوا إِلَى اللَّهِ يَدْعُونَ بِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٢﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣٤﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٥﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَلَظِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاكِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ دُونِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٨﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٩﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٤٠﴾ وَأَخْرَجْنَا مَقْرِنَيْ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤١﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ ﴿٤٣﴾

وَلْيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٢﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٤﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَلَظِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاكِ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ دُونِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٧﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٨﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٩﴾ وَأَخْرَجْنَا مَقْرِنَيْ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٠﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ ﴿٤٢﴾

فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام:

* **فمنها:** أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.

* **ومنها:** أن الله تعالى يمدح ويجب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

- * **ومنها:** أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- * **ومنها:** ما أكرم الله به نبيه داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهيم يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.
- * **ومنها:** أن من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.
- * **ومنها:** اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**.
- * **ومنها:** أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.
- * **ومنها:** أن داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، كان في أغلب أحواله ملازماً محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتاً يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.
- * **ومنها:** أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود فرع منها، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

- * **ومنها:** أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.
- * **ومنها:** كمال حلم داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فإنه ما غضب عليها حين جاءه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.
- * **ومنها:** جواز قول المظلوم لمن ظلمه: (أنت ظلمتني) أو (يا ظالم) ونحو ذلك، أو باغ علي لقولهما: ﴿ **خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ** ﴾.
- * **ومنها:** أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشتمز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشتمز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.
- * **ومنها:** أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.
- * **ومنها:** أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.
- * **ومنها:** إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

* **ومنها:** أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمر الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يجلب له الإقدام عليه.

* **ومنها:** أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

* **ومنها:** أن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما كان نورا على نور.

* **ومنها:** ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله ﴿ **نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ (٤٤).

* **ومنها:** كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.

* **ومنها:** تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

* **ومنها:** أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فليُفَارِقْهُ وَلْيُقْبَلْ عَلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ.

* **ومنها:** القاعدة المشهورة «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه». فسليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها آدميون.

* ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* ومنها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الحال أكمل.

﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ مُمَفَّنَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ ﴿٥٠﴾

* هذا دليل على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ ﴾

﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿٧٦﴾

* بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد والعلو والطيش والحفة، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج أنواع الأشجار والنباتات، وهو يغلب النار

وَقَالُوا مَا آتَانَا إِلَّا نَارٌ بَدِئًا كَمَا بَدِئُوهَا مِنَ الْأَشْجَارِ ﴿٥٠﴾ فَتَذَكَّرْتَهُمْ
سِخْرِي فَأَمَّا رَبُّكَ فَاعْتَبِرْ عَنِ الْقَوْمِ الْأَصْفَرِ ﴿٥١﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُوا أَهْلَ
الْآثَارِ ﴿٥٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنِّي أَلْفَاظُ الْقَوْلِ جَهْدَ اجْتِهَادِي
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥٣﴾ قُلْ هُوَ تَوَكَّلْ
عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾ أَنْتَ رَبُّ الْمَرْصُوفِينَ ﴿٥٥﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ أُنزِلَتْ
إِلَيَّ بِخَبْرٍ مَوْجُودٍ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُبْتَلًى ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٥٧﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٥٨﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ
يَبْنَؤُا بِلَيْسَ مَا مَسَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَتُكَدِّرُ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
﴿٦١﴾ قَالَ فَانْزِلْ فِيهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَإِنِّي عَلَيَّ لَأَعْتَبُ إِلَى يَوْمِ الْبَإْتِنِ
﴿٦٣﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٦٥﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴿٦٦﴾ قَالَ قَبِعْ رَبِّكَ
لَأَخْفِي يَوْمَ يُخْفَى الْأَشْقَاءُ وَالْمُنْكَرُونَ ﴿٦٧﴾

ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا وفسادا من هذا القياس.



سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿سورة الزمر (مكية)﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨)

* ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠)

خَلَقَ كَرِيمٌ نَفْسٍ وَجَدَّ وَشَرَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لِكُلِّ مِنَ الْأَنْعَامِ نَسَبًا أَرْوَجُ بَخْلًا كُنْفِي نَظْرُونَ أَمَهْتِكُمْ خَلَقَانِي بَعْدَ خَلْقِي فِي ظُلْمَتٍ تَلَدَّ ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَهًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُضَرُّوْتُ ﴿٨﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَى عَنَى عَنَى وَلَا تَرْضَى لِي عِبَادَهُ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٩﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١٠﴾ أَمَنْ هُوَ قَدِيرٌ رَبُّهُ أَتَىٰ سَاجِدًا وَقَفًا لِيَمْتَحِنَهُ الْأَخْرَى وَيُخْرِجُ رِجْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢﴾

* ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إذا منعتكم من عبادته في أرض فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. ولما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضوع، وهو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: ﴿وَأَرْضُ

اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ وهنا بشارة نص عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لا تزال

طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ وَمَنْ أَلْفَيْتَهُ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ ۚ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ ظِلٌّ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ
وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظِلٌّ ۚ ذَلِكَ بِمَا كَفَرُوا بِاللَّهِ بِعِبَادَتِهِمْ فَآتَوْهُم
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ۚ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ ۚ
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِقُ مِنْ فِي النَّارِ ۚ
لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رُزُقَهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا مِنْ فِيهَا طَرَفًا مَتَّبِعْتَهُمْ
مِنْ تَحْتِهَا الْأَفْهَرُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ۚ الْوَتَرُ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ رَشْتِهِمْ فِي الْأَرْضِ
فَنَجَّى بِهِ رِبَّاتِ الْوَهْدَىٰ وَالْوَهِدَىٰ ثُمَّ يَجْعَلُ فِيهَا مَضْجَرًا لَمْ
يَجْعَلْهُ خَطْمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَىٰ الْأَلْبَابِ ۚ

* والمراد بالطاغوت في هذا الموضع عبادة غير الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ ۚ ﴾

* في هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن

هؤلاء المدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ الآية ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ لأحسن الأخلاق والأعمال ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ الْأَلْبَابِ ﴾ أي: العقول الزاكية. ومن لبهم وحزمهم،

أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثاره على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسنها وقيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

أَقَمَّنَ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ بِالْإِسْلَامِ فَهَوَّلَ نُورَيْنِ رَبِّهِ قَوْلًا
لِلْقَسْبَةِ فَلُوَّهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي صَلَاتِ مُبِيرٍ ﴿٢٣﴾
اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ
جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَقَمَّنَ يَسْتَجِي بِوَجْهِهِ سَوَاءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٣﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهَرُوا الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَبْرِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ
الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَءَانَا عَابِرًا
عَبْرِدِي عَوَجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَجَلَا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَابِهُونَ وَرَبُّكَ سَلَّمَ لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَدِيثِ لِلَّهِ بَلْ كَثُرَ لَعَلَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّكَ مَعِينٌ وَإِلَهُكُمْ
مَعِينُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِنَّكَ بِرُؤُوسِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَحْتَصِمُونَ ﴿٢٣﴾

* متشابهاً في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع. وأما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] فالمراد بها،

التي تشته على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهاً، أي: في حسنه، لأنه قال: ﴿ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضاً كما ذكرنا.



﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

* ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الْتَى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنِ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الْتَى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتُمْ أَزْوَاجًا لَمَّا قَالُوا اللَّهُ شُفَعَا فَمَنْ أَوْفَكَ أَوْ لَمْ يَكُنِ الْوَكِيلُ سَبَّحًا وَلَا يَعْفُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا ۗ إِنَّ مَلَائِكَةَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُمْ خَائِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كُنُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ اللَّهُ مَخْرَجَ الْوَالِدَاتِ وَالْحَسْبُ وَبَدَأَ

* إخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] ﴿حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنعام: ٦١] لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها،

باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً.

* وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن

* وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة والإمساك والإرسال.

* وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتحدث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

وَبَدَّ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِسْنُ صُرْدًا نَمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ
بِعَمَّةٍ مِمَّا قَالَ إِنَّمَا أَوْفَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلَّغَ مِنْ بَيْتِهِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا
أَعْنَى عَنْهُمْ مَأْكَأَ الْوَأْكَاسِ ﴿٥٦﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُنَا لَوْ سَمِعُوا بِهَذَا سَيِّئَاتِ
مَا كَسَبُوا وَهُمْ يَمُجِرُونَ ﴿٥٧﴾ أَوْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ لَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٨﴾ قُلْ يَا بَنِي آدَمَ اذْهَبُوا إِلَى الْأَرْضِ فَانقُطُوا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْقَدُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَأَذِينُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَتَّبِعُوا الْحَسَنَ
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ مِنَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي
عَلَى مَا قَرَّرْتُ بِإِنَّ جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٢﴾

﴿ وَأَذِينُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا قَرَّرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

* ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً.

* ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ و(لو) في هذا الموضوع للتمني، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقياً له، فأسلم من العقاب، وأستحق الثواب، وليست (لو) هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿٦٢﴾

* ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقديم

بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدوم الأرض والسموات، وكالقائلين بقدوم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات.

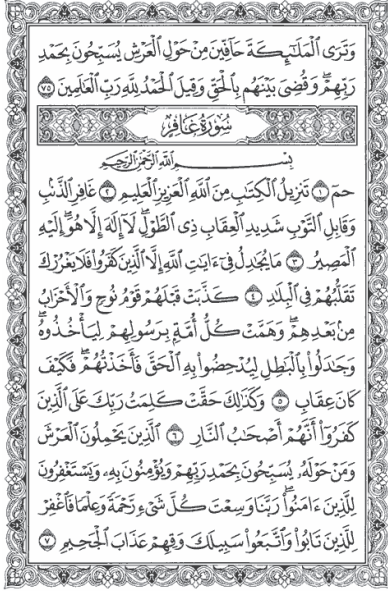
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ .

* قال في النار ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ وفي الجنة ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال،

وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها. وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية التي لا يوصل إليها ولا يناها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَصَّيْحَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ نَسِيَ اللَّهُ فُتِّحَ فِيهِ الْآخِرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِعِزَّةٍ يَبْتَظِرُونَ
﴿٧٣﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكُرْسِيُّ وَجَاءَهُ
يَا لَيْسَ وَالشُّهَدَاءُ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٧٤﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ
﴿٧٥﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا ابْنَائِنا وَلَكِن كَذَّبَتْ كَلِمَةً الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِذِكْرِ آلِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ
مُتَنبِّئِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾

* وفي الآيات دليل على أن النار والجنة هما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان اللتان لا يدخل فيها إلا من استحقها، بخلاف سائر الأمكنة والدور.



﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ

الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾.

* ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.



سُورَةُ غَافِرٍ

✽ سورة غافر (مكية).

﴿ الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

* في ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقر بهم من ربهم، وكثرة عبادتهم ونصحهم لعباد الله، لعلمهم أن الله يجب ذلك منهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ﴾.

* واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقر بهم منه يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧].

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَلَأْتُ اللَّهُ أَعْيُنَ مَقَاتِلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا أَفْتِنَا أَفْتِنَا فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَبْ لَنَا مِنْ حُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّ، كَفَرْتُمْ قَدْ بُدِّعْتُمْ بِهِ، لَوْ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ الْعَجْبِ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٢﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ رِزْقَهُ الْخَلْقِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ كُرُوفُونَ لَا يُجْعَلُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ حِسَابٌ يَوْمَئِذٍ لَمَنْ أَلْمَنَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْفَهَّارُ ﴿١٥﴾

* ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذا من جملة فوائد الإيثار وفضائله الكثيرة جداً، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم.

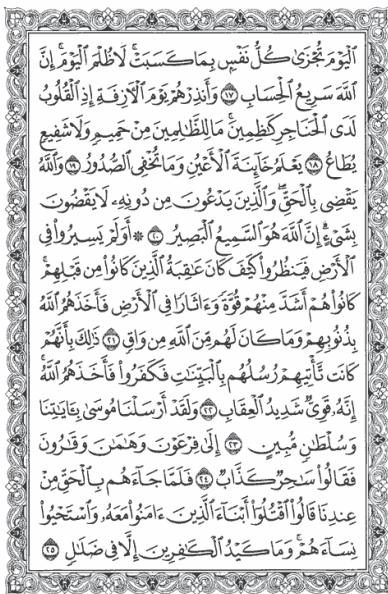
وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة :

- * كمال معرفتهم بربهم .
- * والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنی، التي يجب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علمًا توسلوا بالرحيم العليم .
- * وتضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه، لا يُدلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه .
- * وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي هي العبادات التي قاموا بها، واجتهدوا اجتهد المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلا لمن يحبه .
- * وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون التدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم

إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص الدال عليه اللفظ. والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده **أمران**:

- **أحدهما**: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.
- **والثاني**: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكير في كتابه. وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير بحسب ما وفقه الله له.

* وتضمن ذلك أن المقارن من زوج وولد وصاحب يسعد بقريته، ويكون اتصاله به سببًا لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقد يقال: إنه لا بد من وجود صلاحهم لقوله: ﴿ **وَمَنْ صَلَحَ** ﴾ فحينئذ يكون ذلك من نتيجة عملهم، والله أعلم.



﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ** ﴾

مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ **إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ**

وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَدْحِرُ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا

أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا

نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ ﴿٣١﴾

* ﴿ **وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي**

ضَلَالٍ ﴿٣١﴾ تدبر هذه النكتة التي

يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتدرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلهذا لم يقل: ﴿وما كيدهم إلا في ضلال﴾ بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ ﴿٢٥﴾.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
 بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
 يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ
 كَيْدُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا نُصَبِّحُكُمْ بِعَذَابٍ يُعَذِّبُكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُ لِكُلِّ
 أَلْمَلِكِ الْيَوْمَ ظَهْرِي فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَنِي اللَّهِ
 إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ
 إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُمْ إِلَىٰ أَخِي
 عَلَيْهِ كَيْفَ يَمُوتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ﴿٢٩﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْزٍ فُوجٍ وَعَادٍ
 وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
 وَيَقْتُلُونَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْأَشْجَادِ ﴿٣١﴾ يَوْمَ نُؤْتُونَ مَذْمُورِينَ
 مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٢﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَيْدُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٨﴾.

* ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ هذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى

بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تينك الحاليتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٨﴾ وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ أَتٰهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبٰلِغِيهِ فَاَسْتَعٰذُوا بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥١﴾.

* هذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُكْرًا مَوْسُومًا وَمَنْكُرًا مِّنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَلْعِفُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ هُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُجِيبُ قِيَادًا فَصَحَّ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضْمِرُونَ ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ مُرْسِلًا فَسَوَّفَ يَلْعَنُونَ ﴿٧٦﴾ إِذَا الْأَعْيُنُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٧﴾ فِي الْحَجِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٠﴾ دَلَيْكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ تَقْرَأُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْأَرْضِ يَغْتَابُ الْمَغْتَابُ ﴿٨٢﴾ تَمْرُوحُونَ ﴿٨٣﴾ أَذْخُلُوا الْأَرْبَابَ جِهَةً حَلِيلِينَ فِيهَا فَيَقْسِمُونَ عَلَى الْمُتَكَذِّبِينَ ﴿٨٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قِيمًا لِّرَبِّكَ تَعَسَّى الَّذِي يُعَذِّبُهُمْ وَأَتَوَفَّيْتَنَّهُمْ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِرِينَ ﴿٨٥﴾

* ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾

يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل - وهو الأظهر - أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس الله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال

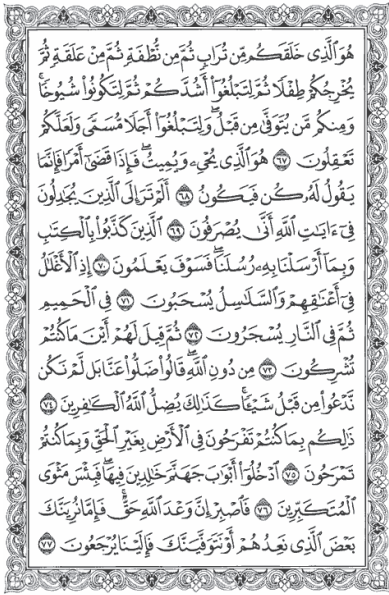
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥].

﴿ فَلَمَّا جَاءَ تَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

* ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ *

من المعلوم، أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية

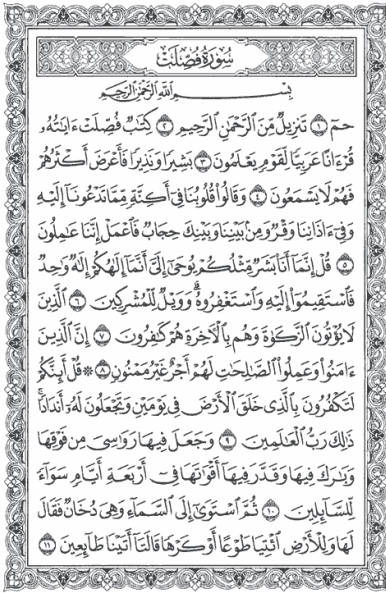
القاطعة أدلة لفظية، لا تنفيذ شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها والمناقضة، فالله المستعان.



سُورَةٌ فَصَّلَتْ

﴿سورة فصلت (مكية).﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾.



* في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصاً صالحاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً.

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أُنْتَبَاهُ أَوْ كَرِهَا قَالَتَا أُنْتَبَاهُ طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾﴾.

* اعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾ [النازعات: ٣٠] يظهر منها التعارض، مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف. الجواب عن ذلك، ما قاله كثير

من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ (٣١) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ (٣٢) [النازعات: ٣١-٣٢] متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ إلى آخره ولم يقل: (والأرض بعد ذلك خلقها).

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صِيعَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا



كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧)

فَقَضَّاهُمْ سِتْرَهُمْ وَأَنقَضْنَا بِرُوحِنَا آلَهُمْ قَدْ تَبَيَّنَ رُوحِي الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا لَنَسِفُنَّهَا فِي الْيَوْمِ ذِي الْقَعْدِ وَالْأَرْبَعِ عَشْرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا نَجْعَلُهَا لِمَن نَّشَاءُ رِيبًا وَلَا نَزِيلًا ﴿١٩﴾ فَاتَّبَعُوا آلَهُم بَاطِلًا ﴿٢٠﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُبْطِلْ بِمَنِّكَ كِتَابَ اللَّهِ يُبْطِلُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَئِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مِّنَ السَّمَاءِ نَدِيمٌ ﴿٢١﴾ حَالِقٌ كُلًّا سَافِرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَايِبًا وَبَاطِلًا ﴿٢٣﴾ وَالصَّالِحِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ قَوْلَهُمْ فِي الْحَقِّ وَبِطَانَتِهِمْ فَاعِلًا ﴿٢٤﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مِّنَ السَّمَاءِ نَدِيمٌ ﴿٢٥﴾ حَالِقٌ كُلًّا سَافِرًا ﴿٢٦﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَايِبًا وَبَاطِلًا ﴿٢٧﴾ وَالصَّالِحِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ قَوْلَهُمْ فِي الْحَقِّ وَبِطَانَتِهِمْ فَاعِلًا ﴿٢٨﴾

* ﴿أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأثامهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى.

﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢١)

* ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ﴾ هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما

ذكرنا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢٦)

* ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغْلِبُونَ﴾ وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق

ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٣٩).

* في هذا بيان حقيق بعضهم على بعض، وتبري بعضهم من بعض .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣).

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَتَنَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةُ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٣﴾ تَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكِنَّ فِيهَا مَا تَدْنُوْنَ ﴿٣٤﴾ يُزَلُّونَ عَنْ قُرْبٰنِ رَبِّهِمْ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا لِأَذْوٰطٍ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَأَمَّا زَنْجَبَذٌ فَإِنَّهَا أُسْرٌ مِّنَ السَّيِّطِينَ تَنۢبَعُ فَاَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ وَمِنْ لَّدُنِّيهِ الْبَيْلُ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ رَٰبِعِينَ ﴿٤٠﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّيَ يُسِخَرُونَ لَهُمُ الْبَآئِلُ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ ﴿٤١﴾

* هذا استفهام بمعنى النفي المقرر

أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة ﴿مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾

بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق

يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه،

ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن الدعوة إلى الله تحييه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

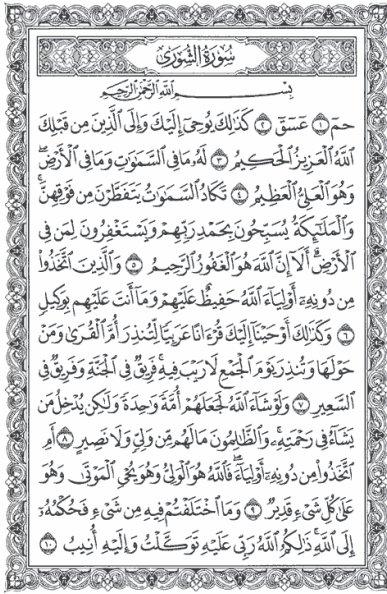
* ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين. ومن ذلك الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.



سُورَةُ الشُّورَى

﴿سورة الشورى﴾ (مكية).

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.



* في وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموماً، وإلى محمد - صلى الله عليهم أجمعين - خصوصاً، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف

جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول اتخاذ أنداد لله من دونه ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم.

﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَالَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

* مفهوم الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٢ مَسَّحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٣ وَمَا تَقْرَأُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَيِّنَاتٍ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّبَتْ بَيِّنَاتُهُمْ وَلَئِنِ أَوْرَأُ الْكَافِرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَبَدِّلْ اللَّهُ شِبَابَهُمْ رَبِّمْ ١٤ فَلَنَذَلَّكَ فَأَعْبُدْهُ وَاسْتَفْعِرْ لَكَ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلِنَ لِلنَّاسِ أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَأَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا كُنَّا كُفْرًا حَتَّى جَاءَنَا اللَّهُ بِحُجَّتِهِ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَاللَّهُ أَلِيمُ الْبَصِيرِ ١٥

* هذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا

تَنْفَرِقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٣﴾

* في هذه الآية أن الله يهدي إليه من ينيب مع قوله: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

فَأَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ بِذُرُوفِكُمْ خِيَالًا لِّتَسْكُنُوا فِيهَا سُبْحًا وَنَهَارًا وَاللَّيْلِ لَسًا وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ ذُو الْعَرْشِ ﴿١٥﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ مَسَرَّحَ لَكَ مِنَ الَّذِينَ مَآءُصَى بِهِ فُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَمْتَرُوا هَذِهِ لَكُم مِّنْ مَّآئِدٍ مُّشْرَبِينَ مِمَّا نَدَّبَهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يُجْتَنَى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٧﴾ وَمَا فَتَرْتُمْهُ إِلَّا مِمَّنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا لِّكَلِمَةٍ سَمِعَتْ مِنْ دُونِكَ إِلَى أَعْيُنِنَا لَقَدْ نَسَى الَّذِينَ آوَوْا أَوْ رَوَّأُوا أَلَيْسَ مِنَّا بِعَدُوِّهِمْ لَقِيَ سَيِّئًا مِّمَّنْ قَرِيبٌ ﴿١٨﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾



* في هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيـمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابتنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها،

وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته. وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابتنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

* الكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

* وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية،

والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخله في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله.

* وما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزان مما قيل: إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل وما أخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه.

* وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاه وخلافه سيان.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩)

* من لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث

هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

* ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ، حَجَّاجُونَ
دَاجِجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
الْآنَ إِنَّ الَّذِينَ يُعَارِفُونَ فِي السَّاعَةِ لَيَكُنَّ بِعِيدٍ﴾ ﴿
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْبَ الْآخِرَةِ فَنَزِدْ لَهُ فِي حَرْبِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدْ حَرْبَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ اللَّهُ وَتَوَلَّوْا كَلِمَةَ الْفُضُولِ لَقَدْ نَبَّهْتُ
وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَرَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِصَاحِ اللَّهِ الْبَطْلُ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٤)

* هذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات فإن عاقبته الاضمحلال.

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٢٧)

وَمِنْ آيَاتِهِ الْمَوَارِئُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٦﴾ إِنَّ يَسَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بِالرِّيحِ فِطْرَتُهُمْ رَوْادِكُهُمْ عَلَى طَهْرٍ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٧﴾ أَوْ يُوقَفُكُمْ يَمَّا كَسَبْتُمْ أَوْ تُعْطَفُ عَنْكُمْ كَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ فِيءَ آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِسَابٍ ﴿٢٩﴾ فَمَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْغَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْتَمِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَمَّا نَتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَلَمَّا صَبَرَ وَخَفِرْنَا لَكُمْ ذَلِكَ لِيَمُنَّ عَذْرُ الْأُمُورِ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّهُ يَكْتُمُ الْبَغْيَ وَيُحِبُّ الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ رَبِّ سَبِيلٍ ﴿٣٨﴾

* الفرق بين الكبائر والفواحش - مع أن جميعها كبائر - أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) وَلَمَّا نَتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

* شرط الله في العفو الإصلاحي فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

* وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يجب أن يعامله الله به، فكما يجب أن يعفو الله عنه فليُعْفُ عنهم، وكما يجب أن يسامحه الله فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

* ودل قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ وقوله: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ووقوعه. وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة

ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدي تاديباً يردعه عن قول أو فعل صدر منه.

﴿اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾

* هذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

وَتَرْهَمُهُمْ بِعُضُوبٍ عَلَيْهِمْ خَشِيعَتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ
مِنْ ظُلْمِ فِي حَيْفٍ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُقْتَبِرٍ ﴿٤٧﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٨﴾ اَسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ. مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَغُ وَأَنَا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَدَّبَ بِهَا وَأَنْ صَبَّهِنَّ سَيْئَةً
يَمَاقِدَ مَتَّ أَيْدِيَهُمْ قَارِئَ الْإِنْسَانِ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مَتْلُوكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْتَلِقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِخَابًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّوْرَ ﴿٤٩﴾ أُوْتِيَ زُجْرُهُمْ ذِكْرًا وَآتَانَا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيبًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
إِنْسَانًا يَكْتُمُهُ اللَّهُ إِلَّا الْآخِثًا أَوْ مَن وَرَآيَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ
رَسُولًا فَيُوحِي بِآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾



سُورَةُ الزَّخْرَفِ

﴿سورة الزخرف (مكية).﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

ذلك باطل من عدة أوجه :

* منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

* ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

* ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون

الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

* ومنها: أن الصنف الذي نسبه الله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراحتهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من كراحتة وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

* ومنها: أن الأئني ناقصة في وصفها، وفي منطقتها وبيانها، ولهذا قال تعالى:

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْمَنًا
 كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
 لَكُم مِّنَ الْمَالِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْضَوْنَ ﴿١٥﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ
 ثُمَّ يُدْكِرُوا بَعْمَةً رَبِّكَ إِذَا اسْتَوَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَفَوَّلُوا مُبِينًا
 الَّذِي سَخَّرْنَا لَهَا مَاءً غَمَرًا ﴿١٦﴾ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
 لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
 لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ أَرَأَيْتَ إِذْ أَعْمَىٰ بُنْيَانَ أَصْفَادًا
 يَالْبَسِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا الْبُشْرَىٰ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
 ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٢١﴾ أَوَمَنْ يُنَشِئُ فِي
 الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخُصَاةِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
 الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَادًا خَالِقَهُمْ سَمْعِيئًا
 سَهْدًا نُّهْرًا وَيُسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
 مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ أَنَاتِنَا
 كِتَابَيْنِ فَبَلَّوْهُ فَهَمَّ بِهِهُ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
 وَجَدْنَاهَا آيَاتِنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أَوْ مَنْ يُشَوُّ فِي الْحَلِيَّةِ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨) أي: غير مبين لحجته، ولا مفسح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهم لله تعالى؟

* **ومنها:** أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثًا، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنثوية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

* **ومنها:** أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا



وَكذلك مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قُرْآنٍ لَوْ كُنَّ مُدْرِكِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقَدِّمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ أُولَئِكَ يُكْفَرُونَ وَمَا أَعْبَدْتُمْ عَلَىٰ آلِهَةٍ كُفْرًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَنزَلْنَا مِنْهُمْ مَطَهْرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْفِرِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقومِهِ إِنِّي بَرَاءٌ لِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُعيدُنِي ﴿٢٣﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٤﴾ تَلَقَّكَ مَلَكًا مِنْ آلِهَةٍ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ عَلَٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا ﴿٢٦﴾ أَي: ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج

بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

* في هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا﴾ أي: ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج

بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

* وفيها دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية

الأخرى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿يونس: ٥٨﴾.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَخَبَتُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

* في هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم،

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَخَبَتُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ، سَيَطْلَنَّا
فَهُوَ لَهُ، قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَأَنْهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنْهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُونَ
الْأَصْمَةَ أَوْ تُبْصِرُونَ السُّمِّيَّ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قِيَامًا
نَدَّاهُمْ بِكَ قِيَامًا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُورِيكَ الَّذِي
وَعَدْتَهُمْ قِيَامًا عَلَيْهِمْ مُّتَدُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمِعْ بِالذِّكْرِ أَوْجِي
إِيَّاكَ أَنْكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْلِكَ
وَسَوْفَ يَسْمَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدره، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ، سَيَطْلَنَّا لَهُ، قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَلِيَأْتَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنْهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

* ﴿وَلِيَّتَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم.
 ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له،
 وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من
 حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين
 مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في
 الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

* ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾

يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة
 الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على
 من عبدهم، ونزل أيضا قوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
 وَرِدُونَ﴾ ﴿[الأنبياء: ٩٨]، ووجه

حجتهم الظالمه، أنهم قالوا: قد تقرر
 عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من
 عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة

وَمَا يُرِيدُونَ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ
 بِالْأَعْيُنِ لَمَّا هُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَسْأَلُكَ لِتُكْفِّرَ
 رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا الْمُهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُمْ أَعْيُنَهُمْ إِذْ هُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَأْتَى فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ
 قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي هُوَ مَهْدِيٌّ
 وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٦٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آيَاتُ رَبِّهِ مِنْ ذَهَبٍ
 وَأُجَاهٍ مَمَّهَ الْمَلَكِيَّةَ مُقْتَرِنِينَ ﴿٦٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ
 فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا هَا سَفُونَا
 انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ
 سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
 إِذْ أَوْمَرَ مِنَ الْمَاءِ لِيَبْدُؤَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
 هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ
 إِذْ عَبَدُوا آتَمَعْنَا عَلَيْهِمْ وَجَعَلْنَاهُمْ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٩﴾
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٧٠﴾

الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك
 باطلة لم تتناقض. ولم قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
 جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ ﴿[الأنبياء: ٩٨] وهذا اللفظ بزعمهم، يعم
 الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها،

هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة [الذي] فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتباشرون. وهي - والله الحمد - من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟ وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقربا عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

- أحدها: أن قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أن ﴿ما﴾ اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.
- الثاني: أن الخطاب للمشركين الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناما وأوثانا ولا يعبدون المسيح.
- الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء داخلون في هذه الآية.



سُورَةُ الْجَانِثِيَةِ

﴿سورة الجاثية (مكية)﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حم ﴿١﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴿٢﴾ إن في السموات
 والأرض لآياتٍ للذين يؤمنون ﴿٣﴾ وفي خلقكم وما أتاكم من يَدَيْهِ آياتٌ
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وأخلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء
 من رزق فأحياه بالارض بعد موتها وتصريف الرياح ء آياتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فإني حديث بعد
 الله وآياته يؤمنون ﴿٦﴾ ذل لكل آفة أليم ﴿٧﴾ بسمع آيات
 الله تتلى عليه فم نهي من حكيم لعلهم يرجعون ﴿٨﴾ بسمع آيات
 الله وآياته من آياتنا نتلوها لهم وأول آياتهم عذاب
 موهين ﴿٩﴾ من وآياتهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا
 ولأما اتخذوا من دون الله آلياتاً وهم يفتخرون ﴿١٠﴾ هذا
 هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب عظيم ﴿١١﴾ هذا
 آية الله التي لا تنسى ﴿١٢﴾ سخر لهم البحر ليجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا
 من فضله ولعلكم تشكرون ﴿١٣﴾ وسخر لكم ما في السموات وما في
 الأرض جميعاً إنه في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

* يخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس. والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة، فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم وأيضا فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة

فضائل كثيرة، فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيم على سائر الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين.



سُورَةُ الْاِحْقَافِ

﴿سورة الاحقاف (مكية)﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اِحْسَانًا حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ اِذَا بَلَغَ اَشَدَّهُ وَبَلَغَ اَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اَوْزِعْنِي اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَاِلٰدَتِي وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَاَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ اِنِّي تَبَتُّ اِلَيْكَ اِنِّي تَبَتُّ اِلَيْكَ ۗ﴾

* يستدل بهذه الآية مع قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة

وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اِحْسَانًا حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ اِذَا بَلَغَ اَشَدَّهُ وَبَلَغَ اَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اَوْزِعْنِي اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَاِلٰدَتِي وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَاَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ اِنِّي تَبَتُّ اِلَيْكَ اِنِّي تَبَتُّ اِلَيْكَ ۗ اُولَٰئِكَ الَّذِيْنَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اِحْسَانَ مَا عَمِلُوْا وَنَبْتَغُوْنَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَاَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَوَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِيْ كَانُوْا يُوعَدُوْنَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِيْ قَالَ لِوَالِدَيْهِ اِنِّي لَكُمْ اَتْعِدَانِيْ اَنْ اُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّبَ الْفُرُوْنَ مِنْ قَبْلِيْ وَهُمَا يَسْتَفْتِيَانِ اللّٰهَ وَيَقَالُ يَا اِنَّ رَبَّ اللّٰهِ حَتَّىٰ يَقُوْلَ مَا هَذَا اِلَّا اَسْطِزْرُ الْاَوْلَادِيْنَ ﴿١٦﴾ اُولَٰئِكَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيْ اَمْرِ قَدْحَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنَّهُمْ كَانُوْا اَخْسِيْرِيْنَ ﴿١٧﴾ وَكُلٌّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوْا وَلِيُوَفِّيَهُمْ اَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُوْنَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَلٰى النَّارِ اَذْهَبُوْا طِيْبَتِكُمْ فِىْ حَيَاتِكُمْ اَلَّذِيْنَ اَرْتَمْتُمْ عَنْ رِجْلَيْهَا فَاَلْوَمَّ يُخْرَجُوْنَ عَذَابُ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ فِى الْاَرْضِ بِعَدْوِيٍّ اَلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُوْنَ ﴿١٩﴾

الرضاع - وهي سستان - إذا سقطت منها السستان بقي ستة أشهر مدة للحمل .



* **الثاني:** العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

* **الثالث:** العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

* **الرابع:** ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

* **الخامس:** معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدتهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خيرا أو دفع شرا، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

* **السادس:** اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

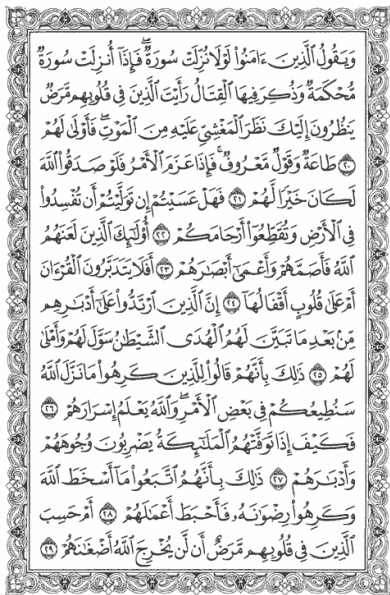
* **السابع:** أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا، ورأيا وصوابا، وعلمًا - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا الله بذلك.

* **الثامن:** ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

* فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها، عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم

بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبهه والخيالات، ولا يزداد - على تكرر الباطل والشبهه - إلا نمواً وكمالاً. هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته - فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

* ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فإنهم - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأموراً بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يجب لهم من الخير ما يجب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساوئهم ومعائبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعاً تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.



﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذِكْرُهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُظَاهِرُونَ إِيَّاكَ بِظُلْمٍ وَأُولَئِكَ نَظَرَ الْمُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَو صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿١٠﴾﴾

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (٣١) من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

* **منها:** أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

* **ومنها:** أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل أما الحال، فلأن المهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتت المهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

* **ومنها:** أن العبد المؤمل للأمال المستقبلية، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقباله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٣)

* ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٣) يشمل

النهي عن إبطائها بعد عملها، بما يفسدها، من من بها وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْبَتَكُمْ هَهُنَّ فَتَرَفْتُمْ بِسَمْتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ءَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ وَلَتَبْلُؤُنَّ كُرْحِيَّ نَعْمَةٍ الْمَجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَيَتْلُوا أَلْبَابَكَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ ءَعْمَلُهُمْ ﴿٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كَعَفَا قَلْبِي بِتَغْيِرِ اللَّهِ لَهُمْ ﴿٣٧﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَوَلَّوْا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآخِرُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيغَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ لَنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِيكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُ ءَأْمُوكُمْ ﴿٣٩﴾ إِنْ سَأَلْتُمْهُمَا فَيَنْصَحْكُمْ وَيَخْلُقُوا مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ هَذِهِ لَذِكْرٌ لَكُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَيَصِلُوا إِلَى اللَّهِ وَمَنْ يَصِلْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَبَتْ حُقُوبُهُ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ لَنْ تَتَّقُوا بِسَبِيلِ اللَّهِ فَمَا غَيْرُكُمْ لَتَكُونُوا ءَأْمَلَكُمْ ﴿٤٠﴾

* ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلة في هذا، ومنهي عنها.

* ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع النفل، من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علماً وعملاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ﴾ (٢١٧)

* هذه الآية والتي في البقرة قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧]

مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه

* ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا

من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر

لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو

كانوا مفرين أعمارهم في الكفر به

والصد عن سبيله، والإقدام على

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَ هُنَّ فَكَفَرْتَهُمْ بِسِمْتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢١٧﴾ وَلَتَسْتَأْذِنُوا حَتَّىٰ تَقَالَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ وَتَسْتَأْذِنُوا الْكُفْرَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَسَأَلُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا نَبَّيْنَاهُمْ أَنَّهُمْ لَهْدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ
﴿٢١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُطِيعُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢١٧﴾ فَلَا تَهْتُمُوا
وَتَذَعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْمَلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْزِقَ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٢١٧﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَلَا تَسْأَلُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ تَسْأَلَكُمْ بِهَا
فِي حِفْظِكُمْ تَحَلُّوا مِنْهَا وَتَحَرَّجُوا مِنْهَا فَتَحَرَّجُوا عَنْهَا هَلْ تَعْلَمُونَ
تُدْعُونَ لِتُقْبَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهِيَ كَرْمٌ مَنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَأَنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَلَنْ
تَتَوَلَّوْا أَشْيَاءَ تَسْتَبِيلُ قَوْمًا غَيْرِكُمْ فَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم يغلقها عن أحد، ما دام حياً متمكناً من التوبة. وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، بل يعافهم، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ﴾ ﴿٣٥﴾

* هذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتضى

للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلىين،

أي: قد توفرت لهم أسباب النصر،

ووعدوا من الله بالوعد الصادق،

فإن الإنسان، لا يهين إلا إذا كان أذل

من غيره وأضعف عدداً، وعدداً،

وقوة داخلية وخارجية.

* **الثاني:** أن الله معهم، فإنهم مؤمنون،

والله مع المؤمنين بالعون، والنصر،

والتأييد، وذلك موجب لقوة

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَنْتَكُمُ فَعَرَفْتُهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبِقَوْلِ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ
﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُجَاهِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاؤُوا وَهُمْ كُفْرًا فَان يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعَلٌّ وَلَهُوَ الْوَقْدَانُ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٤٠﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا
فِي حَيْفِكُمْ فَجَبِّحُوا بِهَا حَتَّى تَرْضَىٰ أَمْضَيْنَا عَنْكُمْ ﴿٤١﴾ هَٰذَا نَسُئْتُهُمْ
تُدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا لَكُمْ مِنْ يَسْبَحَلٍ وَمَنْ يَسْبَحَلٍ
فَلْيَسْبَحَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْكَفَّارُ ﴿٤٢﴾ وَلَنْ
تَتَّوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٤٣﴾

قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم. الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم

شيئاً، بل سيوفهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصاً عبادة الجهاد،

فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال

تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ

رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا

نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا

يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ

أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ

وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ [التوبة:

١٢٠-١٢١] فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أو جب

له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا



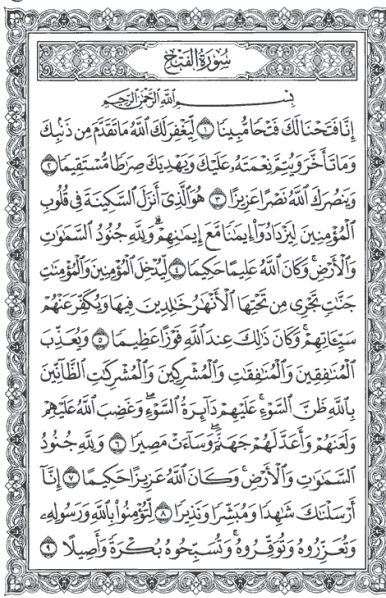
اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب
الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.



سُورَةُ الْفَتْحِ

﴿سورة الفتح (مدنية)﴾.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعْزِرُوهُ وَتُقِرُّوهُ، وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١).



* ذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقدیس بصلاة أو غيرها.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقْتَلُونَهِمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦).

* ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك.



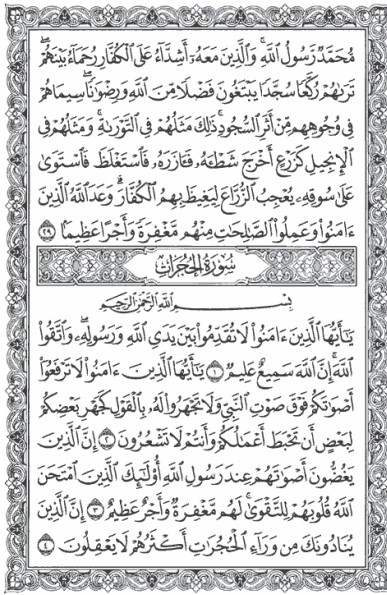
سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

* سورة الحجرات (مدنية).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

* في هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على قوله، فإنه متى استبان سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها كائنا ما كان.

* وفي ذكر الاسمين الكريمين - بعد ﴿﴾
النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه - حث على امثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن الامثال.



﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۗ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ۗ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

* في هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتقوى، وصار قلبه صالحاً لها، ومن لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ

مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾

وَلَوْلَا فَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَخَذُوا مِمَّا سَفِهُوا بِهَا لَوَافِقًا فَبَيَّنَّا لِلرَّاسِقِ تَبَيُّنًا فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَهْلُ الْأَمْرِ الْعَمِيمِ ﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا حُدُودَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لِيُذَكَّرَ فِيهِ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلِيمِينَ ﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا حُدُودَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لِيُذَكَّرَ فِيهِ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلِيمِينَ ﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا حُدُودَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لِيُذَكَّرَ فِيهِ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلِيمِينَ ﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا حُدُودَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لِيُذَكَّرَ فِيهِ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلِيمِينَ ﴿٦﴾

* فيه دليل على أن خبر الصادق مقبول،
وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق
متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف
يقبلون روايات كثير من الخوارج،
المعروفين بالصدق، ولو كانوا فاسقاً.

﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا

بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي
تَبَغَى حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

في هاتين الآيتين من الفوائد :

- * أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان من أكبر الكبائر.
- * وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب
الكبار التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة.
- * وعلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل.
- * وعلى وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا لغير
أمر الله، بأن يرجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك.
- * وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دمائهم وقت استمرارهم على بغيتهم
خاصة، دون أموالهم.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

* ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

* في هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَآتِيَنَّكُمْ فِي قُلُوبِكُمْ الْإِيمَانُ فَتُؤْمِنُوا وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَدِّرًا قَوْلًا ﴿١٤﴾

* في هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك.

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

* في قوله: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر

منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم، مَنْ الله عليهم
بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله .



سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿سورة الذاريات (مكية).﴾

﴿ هَلْ أُنثِيَ حَدِيثٌ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سِمِينَ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يَٰغُلَامُ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرْحٍ فَنَسَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام :﴾

* منها: أن من الحكمة قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم

وآين وصلت بهم الأحوال.

* ومنها: فضل إبراهيم الخليل،

عليه الصلاة والسلام حيث ابتداء الله قصته

بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء

بها.

* ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من

سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله

هذا النبي وأمته أن يتبعوا ملته، وساقها

الله في هذا الموضع، على وجه المدح له

والثناء.

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْكُرْسِيِّ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سِمِينَ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يَٰغُلَامُ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرْحٍ فَنَسَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

* **ومنها:** أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولاً وفعلاً، ومكرمون أيضاً عند الله تعالى.

* **ومنها:** أن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قد كان بيته مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب في الابتداء بالسلام فرد عليهم إبراهيم سلاماً أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية دالة على الثبوت والاستمرار.

* **ومنها:** مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

* **ومنها:** أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ولم يقل: ﴿ أنكرتكم ﴾ وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى.

* **ومنها:** المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قري أضيافه.

* **ومنها:** أن الذبيحة الحاضرة التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

* **ومنها:** ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضراً عنده وفي بيته معداً، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

* **ومنها:** أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيِّف الضيفان.

* **ومنها:** أنه قربه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: (تفضلوا، أو اتوا إليه) لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

* **ومنها:** حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصاً عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً، وقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) ولم يقل: ﴿كلوا﴾ ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) أو: (ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحوه.

* **ومنها:** أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم.

* **ومنها:** شدة فرح سارة امرأة إبراهيم حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرتها غير المعهودة.

* **ومنها:** ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة بغلام عليم.



سُورَةُ الطُّورِ

✽ سورة الطور (مكية).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَفَايَا وَمَا أَلْتَنَهُمْ مِنَ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ١١

أَصِحَّ هَذَا أَمْ أُنْشِرَ لَا يُصِرُّوت ﴿ أَصَاتُهَا فَأَصْبِرُوا ﴿
أَوْلَا تَصْبِرُوا سَوْفَ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ الَّذِي لَمْ أَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ مَقْرَنًا قَلِيلًا تَعْمَلُونَ ﴿
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَيَعْبُرُونَ ﴿ فَكَيْفَ يَمَاءُ أَنْهَارٍ زُرَّتْهُمْ ﴿
وَوَقَّهَتْ زُرَّتُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَاءُ ﴿
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوعَةٍ وَرَوَّافَتْهُمْ ﴿
بُحُورٍ عَذْبٍ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَفَايَا ﴿
بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَنَهُمْ مِنَ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا ﴿
كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿ وَأَلْفَ دَرَجَةٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴿ وَمَا يُنْتَهَى عَنْ ﴿
يَنْتَرَعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لُحُومٌ وَلَا نَاقَةٌ ﴿ وَظَلُّوا عَلَى ﴿
عِلْمَانٍ لَهُمْ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ لَافِكُونَ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى ﴿
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِيْنَا مُشْفِقِينَ ﴿
﴿ قَمَرًا اللَّهُ عَلَيْنَا رَوَّافَتْهَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴿
مِنْ قَبْلٍ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِبَيْنَتِ ﴿
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ ﴿
الْمُنُونِ ﴿ قُلْ تَرَىٰ صَوَافِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَرِّضِينَ ﴿

* لما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ١١ أي: مرتين بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى،

ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥

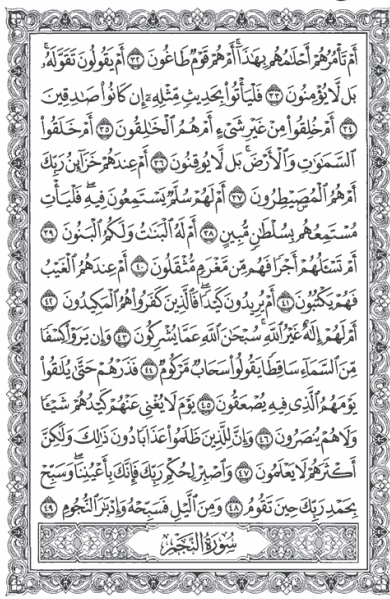
* هذا استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا وجود، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

فإذا بطل [هذان] الأمران، وبيان استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن الله (هو) الذي خلقهم وإذا تعين ذلك علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٤٨)

* أي: من الليل. ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات الخمس، بدليل قوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ

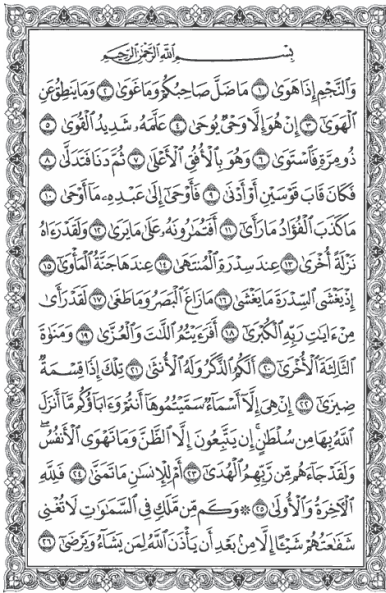
النُّجُومِ ﴾ (٤٩) أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم.



سُورَةُ النَّجْمِ

﴿سورة النجم﴾ (مكية).

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾
 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ
 الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.



* ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي:

لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السنة وحي من

الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال

تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ﴿٤﴾ وأنه معصوم

فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه،

لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما

يصدر عن وحي يوحى.

* ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ أي: اتفق فؤاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورؤيته

على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا

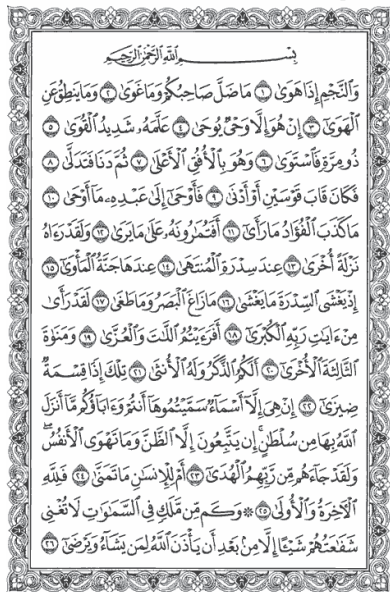
دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا

شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة.

* **وقيل:** إن المراد بذلك رؤية الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لربه في الدنيا، ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾

* ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ هذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة.



* ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾

* هذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاماً أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بها

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمَعُونَ أَلْسِنَةَ أَصْوَابِهِمْ
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا ۖ فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ قَوْلٍ مِنْ ذِكْرِكَ لِيُؤْمِرُوا إِلَّا الْخَيْرَ
الَّذِينَ ۖ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
سَبِيلَهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا أَهْتَدَى ۖ وَيَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفْتُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَبُوا
بِالْحَسْبِ ۖ الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرٌ إِلَّا أَشْرَافَ الْقَوْمِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ رَبُّكَ وَسِعَ الْعَرْشَ عِزًّا هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ فِي بَطْنِهَا مِنْهَا نَهْرٌ فَلَا تَرَوْنَ فِيهَا أُنْجُسًا هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ أَتَقَى ۖ أَفْوَيْتَ الَّذِي تَوَقَّى ۖ وَأَعْلَىٰ قَلْبًا وَأَكْبَدًا
ۖ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْقَتِيبِ هُوَ يَوْمَئِذٍ ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُ فِي ضَلُوبِ
مُؤْتَنٍ ۖ وَابْرِهِمَ الَّذِي وَفَىٰ ۖ الْآخِرُ ۖ وَازْرَأْ ۖ وَزِدْ آخِرِي
ۖ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۖ وَأَنْ سَعَىٰ سَوْقٌ يُرَىٰ
ۖ ثُمَّ يُجْرَىٰ ۖ الْجُرْمَةَ الْوَدْقَىٰ ۖ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ
وَأَنْ ۖ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ وَأَنْ ۖ هُوَ أَمَاتَكَ وَأَحْيَاكَ ۖ

أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينا وشمالا، وهذه الأمور كلها منتفية عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ٣٩

* قد استدل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ٣٩ من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا: لأن الله قال: ﴿ وَأَنْ

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ٣٩ فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه.

* ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ٦٢ الأمر بالسجود لله خصوصا، ليدل ذلك على فضله وأنه سر العبادة ولبها، فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام.



سُورَةُ الرَّحْمَنِ

✽ سورة الرحمن (مكية).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾

* هاتان الجنتان دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الآخرين.

- فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾، وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة.

- وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ ولم يقل ذلك في الآخرين.

- وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا

فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ وقد علم ما

بين الوصفين من التفاوت.

- وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى

فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى

الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ ولم يقل ذلك في

الآخرتين، بل قال: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى

رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾.

- وقال في الأوليين، في وصف

نساءهم وأزواجهم: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ أُشْجُمٍ إِنَّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمَئِئْ عَلَى فَرْشٍ قَالَهُمْ زَوْجَانِ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ الْكِلَابُ الْمُتْرَبَانِ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

الظرف لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان ﴿٥٦﴾ ، وقال في الآخرين: ﴿حُرٌّ

مَقْصُورٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ وقد علم التفاوت بين ذلك.

- وقال في الأوليين ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فدل ذلك أن

الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الآخرين.

- ومجرد تقديم الأوليين على الآخرين، يدل على فضلهما.

فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان ﴿٥٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٧﴾ يَنْظُرُونَ بِئِنَّهَا أَوْيْنَ حِمِيمَةً إِنَّ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما
 تُكذِّبان ﴿٥٨﴾ وَلَيْسَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ حَسَنَةً ﴿٥٩﴾ فِي أَيِّ آيَةِ
 رَبِّكَما تُكذِّبان ﴿٦٠﴾ ذَوَاتِ أَفْئَانٍ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما
 تُكذِّبان ﴿٦٢﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيانِ ﴿٦٣﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان
 ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِرْعَوْنٍ وَرِجَالٍ ﴿٦٥﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان
 ﴿٦٦﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُوسٍ بَطَلَّ أَرْهَامُهُمْ مِنْ اسْتَبْرَفٍ وَحَتَّى الْمَجْنُونِ كَانَ
 ﴿٦٧﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان ﴿٦٨﴾ فِيهِمْ قَصْرٌ مِثْلُ الظَّرْفِ
 لَوْ نَظَرُوا مِنْهُ لَإِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٦٩﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان
 ﴿٧٠﴾ كَأَنَّهُمْ السُّؤْمُورُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٧١﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان
 ﴿٧٢﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٧٣﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما
 تُكذِّبان ﴿٧٤﴾ وَمِنْ ذُوهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٧٥﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما
 تُكذِّبان ﴿٧٦﴾ مُذَهَّبَتَانِ تَصْبَحَتَانِ ﴿٧٧﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان
 ﴿٧٨﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيحَانٌ ﴿٧٩﴾ فِي أَيِّ آيَةِ رَبِّكَما تُكذِّبان

فهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على
 الآخرين، وأنها معدتان للمقربين من الأنبياء
 والصدّيقين، وخواص عباد الله الصالحين، وأن
 الآخرين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من
 الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن
 سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيبه
 الأنفس وتلذ الأعين، وأهلها في غاية الراحة
 والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا
 منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من
 نعيمه الذي هو فيه.

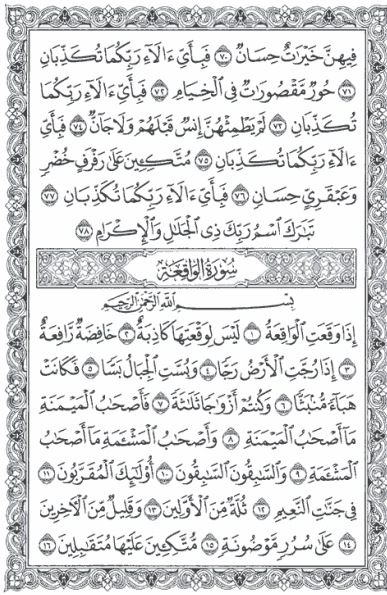


سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

سورة الواقعة (مكية).

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ

الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾



* هذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هو خواص الخلق.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

* إذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه، دلت الآية

بتنبيهها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما ورد بذلك الحديث، ولهذا قيل: إن الآية خبر بمعنى النهي، أي: لا يمس القرآن إلا طاهر.



سُورَةُ الْحَدِيدِ

﴿سورة الحديد (مدنية)﴾.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ

الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ .

* ﴿ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ ﴾ أي: الذين

أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح

وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا

يدل على فضل الصحابة [كلهم]،

رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم

بالإيمان، ووعدهم الجنة.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١١﴾ .

* هذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب

والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت،

ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْدَفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ . اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ شَرِيحُ الْأُمُورِ ﴿٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكَامُتَّخِذِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمُ الْأَخْيَرُونَ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمُ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيْنَا مِنْ سَمَاءٍ مِّنْ يَدَيْهِ تُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءِيفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ تَن دَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعُ عَنْهُ إِلهَ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٥﴾

* ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ هذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال .

* قرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان، والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط،

الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله .



لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَبِعَلَّمَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَرُؤُوسُهُمْ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِدِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيََّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَزَقْنَاهَا حَقَّ رِزْقِهَا فَغَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ لِيَأْتِيَ اللَّهُ أَهْلَ الْكِتَابِ الْأَقْدَرُونَ عَلَى سُنِّيهِ وَمَنْ فَضَّلَ اللَّهَ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

﴿سورة المجادلة (مدنية)﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَتَمَسَّوْا فَمَن يَتَمَسَّ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَتَمَسَّوْا فَمَن يَتَمَسَّ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

﴿في هذه الآيات، عدة أحكام:﴾

- * منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.
- * ومنها: أن الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال: ﴿مِن نِّسَائِهِمْ﴾

فلو حرم أمته، لم يكن [ذلك] ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

* ومنها: أنه لا يصلح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في

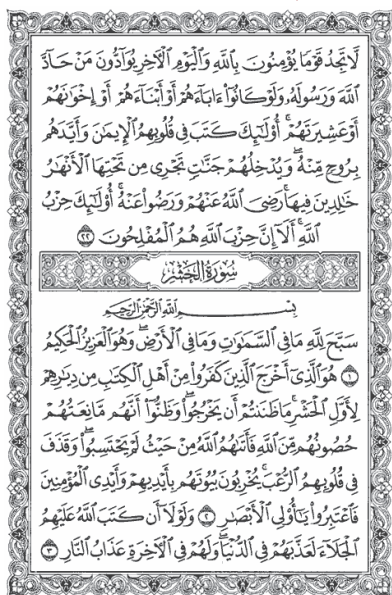
- نسائه وقت الظهر، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه.
- * **ومنها:** أن الظهر محرم، لأن الله سماه منكرا [من القول] وزورا.
- * **ومنها:** تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ﴿مَا هُنَّ
- أُمَّهَاتُهُمْ**﴾.
- * **ومنها:** أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته ويسميها باسم محارمه، كقوله
- ﴿يَا أُمِّي﴾ ﴿يَا أُخْتِي﴾ ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.
- * **ومنها:** أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهر.
- * **ومنها:** أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك.
- * **ومنها:** أنه يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله. بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.
- * **ومنها:** أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك أدهى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.
- * **ومنها:** أنه لا بد من إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
- مَسْكِينًا**﴾.



سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿سورة الحشر (مدنية)﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ



يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنْزَلَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا لَقَدْ نَزَّلْنَا الْحَبْلَ الْأَيْمَنَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

* دلت الآية الكريمة أن لهم حشرا وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجالهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج بقيتهم منها.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾﴾

* هذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.
* ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصر والهجرة.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)

* ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ دليل على المشاركة

في الإيمان، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا، وأن يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، وأن ينصح له حاضرا وغائبا، حيا وميتا،

* ودلت الآية الكريمة [على] أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨)

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَنَافَعُوا بِقَوْلِهِمْ إِخْوَانُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا تَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ لَكِيدُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصُرُوهُمْ يُقُولُوا أَلَا نُنصُرُكُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ أَسَدُّ رَهَبًا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ كُفْرًا جَمِيعًا إِلَّا فِي قَوْمٍ مُخْتَصَّةٍ أَوْ مِنْ وَرَثَةٍ جَدْرٌ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَسَمَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذُو الْأَرْبَعِ أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَسَمَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَوْرَثْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَئِيْلَةٍ حَشِيعًا مُتَصِدِّعًا مِنْ حَشِيئَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ الْأَمْتَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْعَتَبُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامَةُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَمْتَلُ الْمُنْتَهَى بِرُؤْسِهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَسَيَعْلَمُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة النجم

* هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدتها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.



سُورَةُ الْمُتَحَنِّتِ

✽ سورة المتحنة (مدنية).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدْوِي وَعَدُوَّكُمْ ءَٰوِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَءَابِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا ءَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدْوِي وَعَدُوَّكُمْ ءَٰوِيَاءَ تَلْفُوتَ
إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي
وَءَابِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا ءَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَتَفَكَّرُونَ لَكُمُ ءَعْدَاءَ وَبَسِطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ءَلَيْسَ لَكُمْ
بِٱلسُّوءِ وَرَدُّهَا لَكُمْ كَرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنفَخَ كُوفُوفَكُمْ وَلَا نُؤَلِّدُكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ بَفِصْلٍ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ فَذَكَرْنَا
لَكُمْ ءَسْمَاءَ حَسَنَةً فِي ٱلْءَبْرِهِمْ ءَلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمُهُمْ ءَاتَا
بُرءًا ءَلْمُنْكَرِ هُمْ ءَعْبَادُونَ مِنْ ءُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا وَإِنَّا لَبِئْسَ ءَأْتِنَا
وَبِئْسَ كُفْرُ ٱلْعَادُوَّةِ ءَلْبَغْضَآءَ ءَبْدًا حَتَّىٰ تُوَفِّيَهُمُ ٱللَّهُ وَصَدَقَ ءَلْءَقُولِ
ءَبْرِهِمْ ءَلِئِنَّهُمْ لَءَلَسْتَغْفِرُونَ لَكَ وَمَا ءَمَلْنَاكَ ءَلَمْ نَكُنْ مِن تَحْتِىْ
رَبَّنَا ءَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ ءَاتَيْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَءَجْمَعَنَّآ
فِتْنَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَءَغْفِرْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ ءَأَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

* هذه الآية فيها النهي الشديد عن موالاتة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئاً، ويتنزه الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ ءَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ءَلَّهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

* في هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، والله الحمد والمنة.



﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
 مَهَجَرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ
 عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا
 هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَسْتُمُوهُنَّ
 أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَسَلُّوا
 مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

* ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ﴾ وإذا

نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهى
 عن ابتداء تزويجها أولى.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا آسَءٌ حَسَنَةٌ لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَمَن يَتُوبَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمُوهُمْ قُرْبَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١﴾
 لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَن أَعَى ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَنْتَهِوا عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُخْرِجُوهُمْ
 مَن يَبْزُكُوا أَن يَبْرُؤُوا هُمْ وَتَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢﴾
 إِنَّمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَآخِرُوحُوكُمْ مِّن
 دِينِكُمْ وَأُظْهِرُوا عَلَى الْإِخْرَاجِ كَمَا أَن تُوَلُّوهُمُ وَمَن يُوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَجَرَاتٍ
 فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
 تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ
 مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
 إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن قَاتَلْتُمُوهُنَّ
 تَتَّبِعُوا مِن آسَءٍ حَسَنَةٍ لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتُوبَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾
 لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَن أَعَى ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَنْتَهِوا عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُخْرِجُوهُمْ مَن يَبْزُكُوا أَن يَبْرُؤُوا هُمْ وَتَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢﴾
 إِنَّمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَآخِرُوحُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ وَأُظْهِرُوا عَلَى الْإِخْرَاجِ كَمَا أَن تُوَلُّوهُمُ وَمَن يُوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾

* وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مفسد نكاح
 امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر .

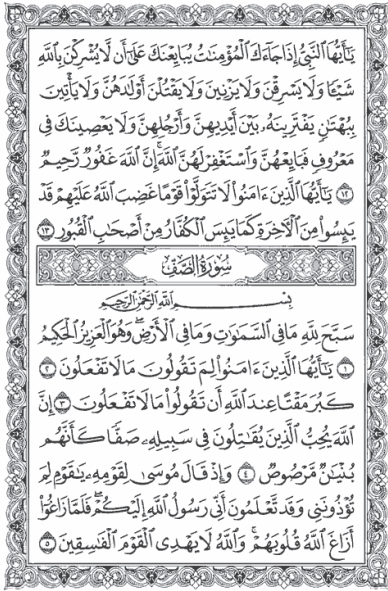


سُورَةُ الصَّفِّ

* سورة الصف (مدنية).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

* وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده ليس ظلما منه، ولا حجة لهم عليه،



وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب [عقوبة لهم وعدلا منه بهم] كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَقْسَدَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحِيْرٍ نُجِيْكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ﴾ ﴿١٠﴾

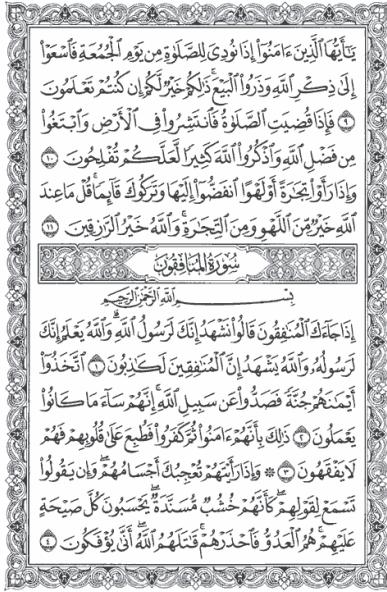
* أتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب.



سُورَةُ الْجُمُعَةِ

﴿سورة الجمعة (مدنية)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قَلَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾



في هذه الآيات فوائد عديدة:

* **منها:** أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

* **ومنها:** أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.

* **ومنها:** مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به.

* **ومنها:** النهي عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحًا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

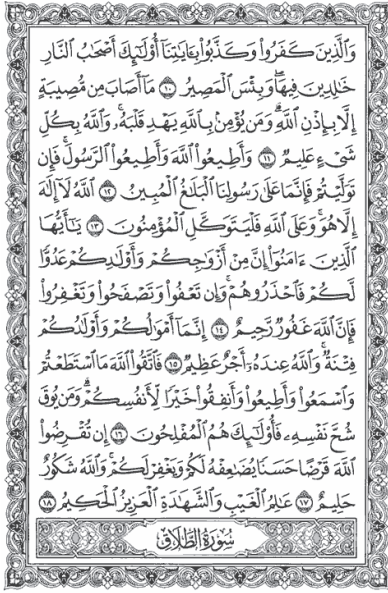
* **ومنها:** الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، ودم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو [والتجارات] والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.



سُورَةُ النَّجْمَاتِ

سورة النجابين (مكية).



﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا
 وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ
 نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٦

* هذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع ما لا يدخل تحت الحصر.



سُورَةُ الطَّلَاقِ

﴿سورة الطلاق (مدنية)﴾.

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِنُضَيْبِقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَاَرْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَىٰ ﴾ ﴿٦﴾

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِنُضَيْبِقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَاَرْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنْفِقُوا دُونَ سَعْيِهِنَّ سَعْيًا مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُنَّ فَالْيُنْفِقُوا وَمَا أَمَرَ اللَّهُ لِكُلِّفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيِّئًا جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرَةِ يُسُورٍ ﴿٦﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِينِهِ عَمَّتْ عَنْ أَمْرِيهَا وَرَسُولُهُ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِهَا عَدَابًا نُكْرًا ﴿٦﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِيبَ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٦﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَرِضِ الْأَرْضِ وَمَنْ لَيْسَ مِنَ الْأُمَّمِ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِأَنَّهَا لِيُعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَّامٌ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا ﴿٦﴾


* هذا حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدي أمه تعينت لإرضاعه، ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى، وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان يمكن أن يتقوت من أمه، ومن غيرها، أباح تعالى، الأمرين،

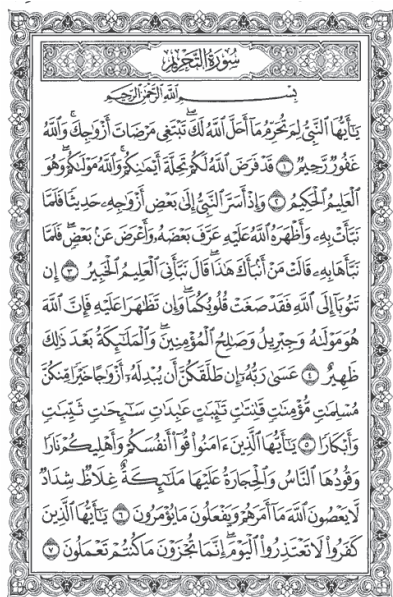
فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقاً لقوته .



سُورَةُ التَّحْوِيْمِ

❖ سورة التحريم (مدنية).

❖  إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِيئَاتٍ تَحَبَّبَتْ عِيْدَاتٍ سَبَّحْتَ ثَيِّبَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ❖



* في هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد
المرسلين، حيث جعل الباري نفسه
[الكريمة]، وخواص خلقه، أعواناً
لهذا الرسول الكريم. وهذا فيه من
التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا
يخفى.

* وفي هذا دليل على أن الله لا يختار
لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أكمل
الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار

الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن.



سُورَةُ الْحَقِّقَاتِ

سورة الحاققة (مكية).

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾



* اليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى

مما قبلها: أولها: علم اليقين، وهو

العلم المستفاد من الخبر. ثم عين اليقين،

وهو العلم المدرك بحاسة البصر. ثم

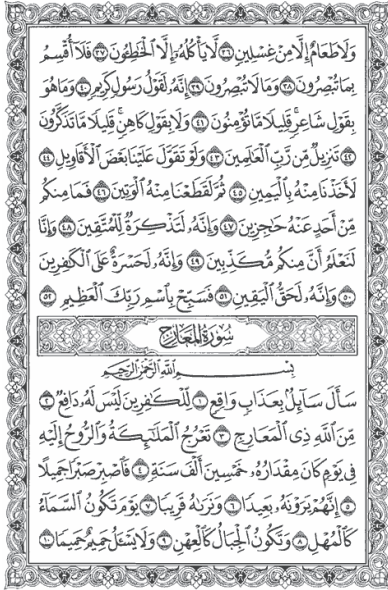
حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة

الذوق والمباشرة. وهذا القرآن الكريم،

بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم

المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من

الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.



سُورَةُ الْجَنِّ

﴿سورة الجن﴾ (مكية).

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾

* في هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبا مع الله.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةًٍ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿١٣﴾

وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١١﴾
وَأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَذَّةٌ مِّنْ آيَاتِنَا فَذَرَوْهَا وَكَانُوا شُرَكَاءَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
بِهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّ
السُّجُودَ لِلَّهِ فَلَا تَشْرُكُ بِهِ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكْفُرُونَ عَلَيْهِ لَيْدًا ﴿١٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مِنِّي آلَةً مِّنْ أَلْفٍ مِّنْ دُونِهِ مَلْحُومًا ﴿١٧﴾ إِلَّا لَمَّا
مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَلَأُوا عُدُونَ فَسَبَّحُوا
مِنْ أَضْعَافٍ ثَمَرًا وَأَقْلَ عَدَا ﴿١٩﴾ قُلْ إِن أَدْرَىٰ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ مَّا تُعَدُّونَ
أَمْ يَجْعَلُ اللَّهُ رُفْقًا أَمَدًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ غَيْبُهُ
أَحَدًا ﴿٢١﴾ إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٢﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدِ ابْتَلَوُا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَا ﴿٢٣﴾

* هذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخرى المحكمة. وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة.

﴿وفي هذه السورة فوائد كثيرة:﴾

* منها: وجود الجن.

* وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

* ومنها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

* **ومنها:** ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحقوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

* **ومنها:** اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشداً، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

* **ومنها:** شدة حرص الجن لاستماع الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتراكمهم عليه.

* **ومنها:** أن هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلهاً [آخر] مع الله.

* **ومنها:** أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق إلا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيء منها.



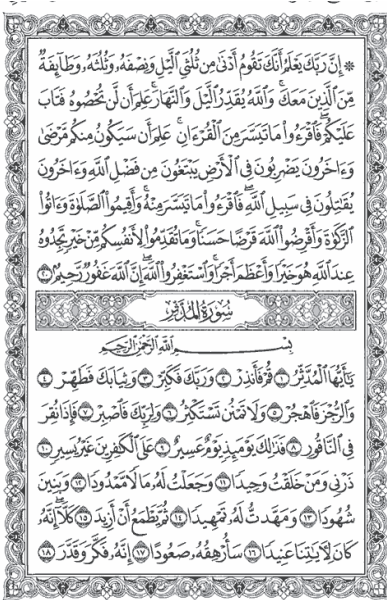
سُورَةُ الْمِزْمَلِ

✽ سورة المزمّل (مكية).

✽ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝١١﴾

✽ في هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل.

✽ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَبِصَفَةٍ ۝ وَطَافَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۝ وَاللَّهُ



يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصَوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۝ عَلِمَ أَنْ
سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحُومٌ ۝ وَأَخْرَجَ وَيَضْرِبُونَ فِي
الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۝ وَأَخْرَجَ
يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِذُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يُجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۝ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾

✽ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾

في الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيها أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

سُورَةُ الْمُنَادِثُ

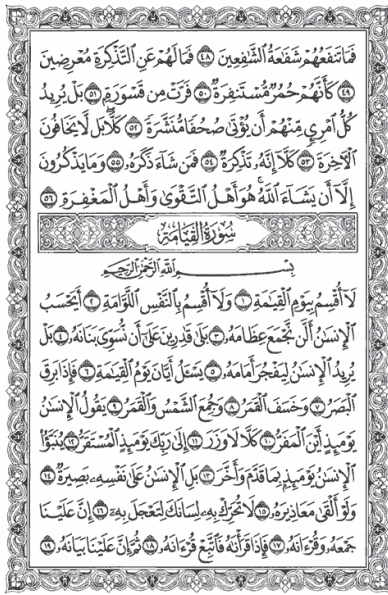
سورة المناد (مكية).

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

* ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فَإِنْ

مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية

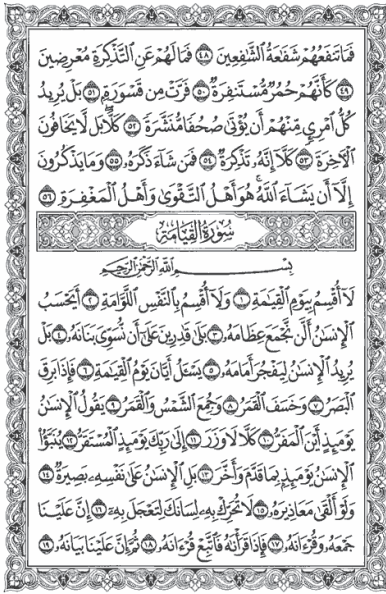
الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا، وجعل ذلك تابعا لمشيئته .



سُورَةُ الْقِيَامَةِ

* سورة القيامة (مكية).

﴿ تَحْرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٩﴾ ﴾



* ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٩﴾ ﴾ أي:

بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون،

فامتثل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

* وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ

منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه،

* وفيها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.



سُورَةُ الْإِنْسَانِ

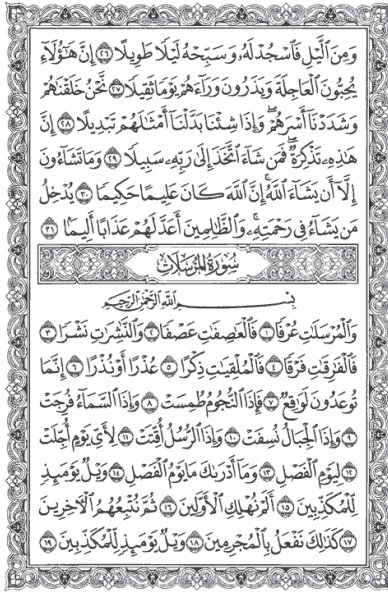
سورة الإنسان (مكية) ❁

❁ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ❁ ❁

* ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ﴾ ❁ أي: أكثر [له] من السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة.

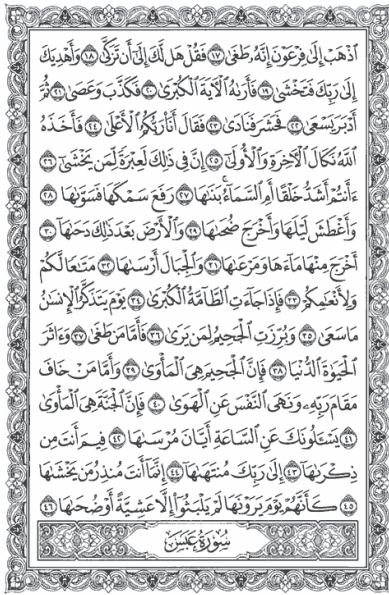
* ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ❁ وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾ ❁ ﴿فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ❁

[المزمل: ١-٢].



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

* سورة النازعات (مكية).



﴿ ٢٧ ﴾ رَفَعْنَا سَعَمَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿ ٢٨ ﴾ وَأَعْطَشْنَا لَيْلَهَا وَأَخْرَجْنَا ضَحَاهَا ﴿ ٢٩ ﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيْنَاهَا ﴿ ٣٠ ﴾ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَاءً هَارًا وَمَرْعَاهَا ﴿ ٣١ ﴾ .

* دحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات [الكريمة]. وأما خلق نفس الأرض، فمتقدم على خلق السماء كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ﴿ ١١ ﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴿

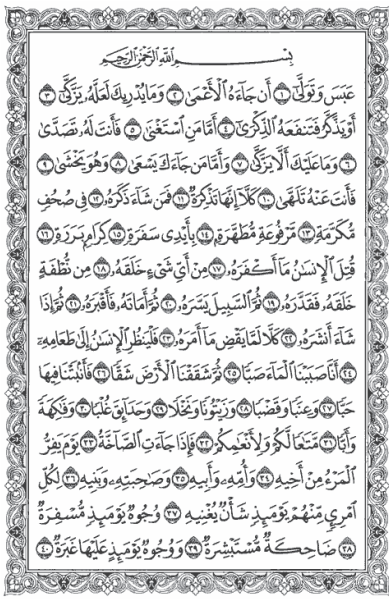
[فصلت: ١١-٢١].



سُورَةُ عَبَسَ

* سورة عبس (مكية).

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الذِّكْرَى ۝٤ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى ۝٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ۝٧ وَأَمَا
مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠ *



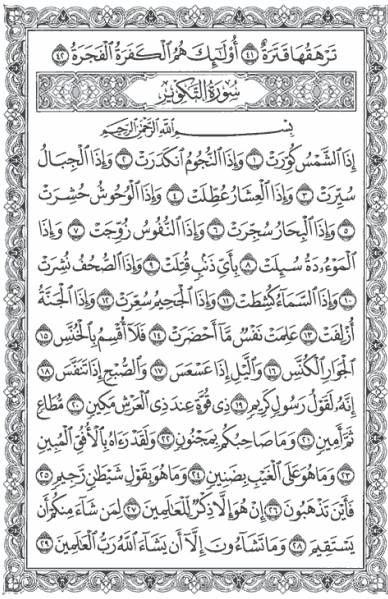
* هذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فأقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكي، فلو لم يتزك، فلست

بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: (لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة)، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.



سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

* سورة التكوير (مكية).



﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

* هذا [كله] يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾

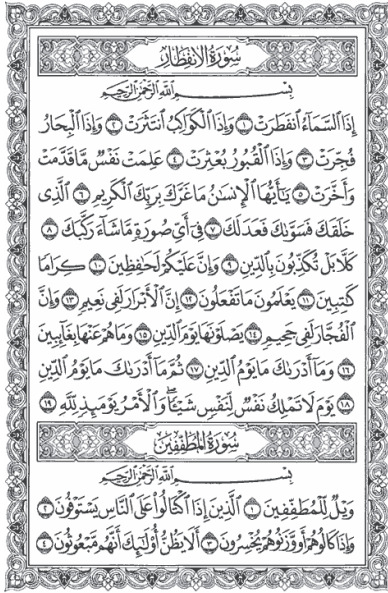
* في هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم مثلها.



سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

﴿سورة المطففين (مكية)﴾.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾.



* دلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات،

* بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من

الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

* في هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغويه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتتقلب عليه الحقائق، فيرى



يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
 الْفَجَارِ لَفِي نَاجِيٍّ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٥٣﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٥٤﴾
 وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ الْمُكذِبِينَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ يُكذِّبُونَ يَوْمَ الْبُرْجِ ﴿٥٦﴾ وَيَلُوكُ
 بِهِمُ الْعُلَّكُ مُمَعَّدٌ أُنِيرُ ﴿٥٧﴾ إِذَا نَسَخْنَا قَالَ أَصْطَبِرُوا الْكُفْرَانَ ﴿٥٨﴾
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٩﴾ كَلَّا أَهْمَمُّنَا عَنْ رَيْبِهِمْ
 يَوْمَئِذٍ لَمَّا حُجِرُوا ﴿٦٠﴾ ثُمَّ إِنَّمَا لَصَالُو الْجَعِيرِ ﴿٦١﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
 الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ ﴿٦٢﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٦٣﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٦٤﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٦٥﴾ بِشَهَادَةِ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٦٦﴾
 إِنَّ الْفَجَارِ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٦٧﴾ عَلَى الْأَرْبَابِ بَطْرُوتٌ ﴿٦٨﴾ تَعْرِفُ فِي
 وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٦٩﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُورٍ ﴿٧٠﴾ حَسْمًا
 وَمِنْ ذَلِكَ فُلُوقُ النَّاقِيسِ الْمُنْتَهِسَاتِ ﴿٧١﴾ وَيَرْزُقُهُمْ
 نَسِيمًا ﴿٧٢﴾ عَيْنَا يُنْشَرْنَ بِهِمَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُخْرِجُوا كَالْأُ
 مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَحَّحُوا ﴿٧٤﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَحَامَرُونَ ﴿٧٥﴾
 وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنفَعُوا أَهْلَهُمْ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَا أَزِيدُهُمْ عَلَيْكُمْ حَفِظِينَ ﴿٧٨﴾

الباطل حقًا، والحق باطلاً، وهذا من بعض عقوبات الذنوب.

* ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.



سُورَةُ الْبُرُوجِ

* سورة البروج (مكية).

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾



* في هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿الْوَدُودُ﴾

بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبههم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت،

فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!



سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

سورة الأعلى (مكية) ❁

❁ فذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ❁ ﴿١﴾ ❁

* مفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى،
بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو
ينقص من الخير، لم تكن الذكرى
مأمورًا بها، بل منهيًا عنها .



سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾
 ﴿٤﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٥﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٦﴾
 خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٧﴾ يُتَخَرَّجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٨﴾ إِنَّهُ عَلَّمَ
 رَجْوِيهِ لِقَادِرٍ ﴿٩﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿١٠﴾ فَهَلْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١١﴾
 ﴿١٢﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١٣﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُ
 لَقَوْلٌ فَضْلٌ ﴿١٥﴾ وَمَاهُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٧﴾
 وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٨﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهَا هُمْ رُؤُودًا ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
 ﴿٤﴾ وَالَّذِي أَحْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٥﴾ فَجَعَلَهُ عِذَاءً أَعْوَىٰ ﴿٦﴾ سَسْفَرُكَ ﴿٧﴾
 فَلَا تَسْبِيحُ ﴿٨﴾ إِلَّا مَآئِمَّةً اللَّهُ إِذْ بَعَثَهُ الْفَجْرَ وَمَا يَفْقَهُ ﴿٩﴾ وَيُنَبِّئُكَ ﴿١٠﴾
 لِلْيَسْرَىٰ ﴿١١﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿١٢﴾ سَبِّدْكَرْمَ يَحْفَسُونَ ﴿١٣﴾

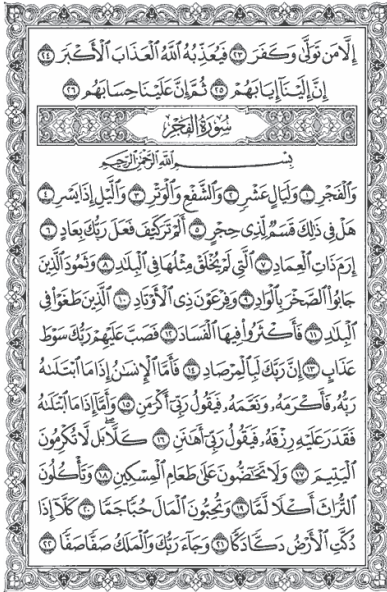
المعنى

سُورَةُ الْفَجْرِ

سورة الفجر (مكية).

﴿ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٤٤﴾ فَيَوْمِئِذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٤٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ
أَحَدٌ ﴿٤٦﴾ ﴾

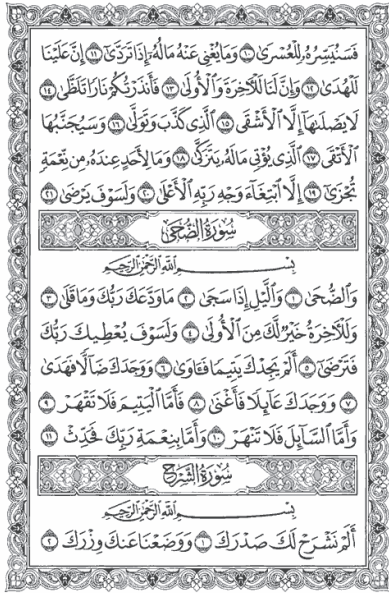
* في الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي
السعي في أصلها وكمالها، وفي تميم
لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها
دار الخلد والبقاء.



سُورَةُ اللَّيْلِ

سورة الليل (مكية) .

﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَىٰ ۝١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ .



* دل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

* وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بل قد قيل:

إنها نزلت في سببه، فإنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى. ولهذا قال تعالى: **﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾** ﴿٢٠﴾ **﴿لَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾** ﴿٢١﴾ هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والثوبات.

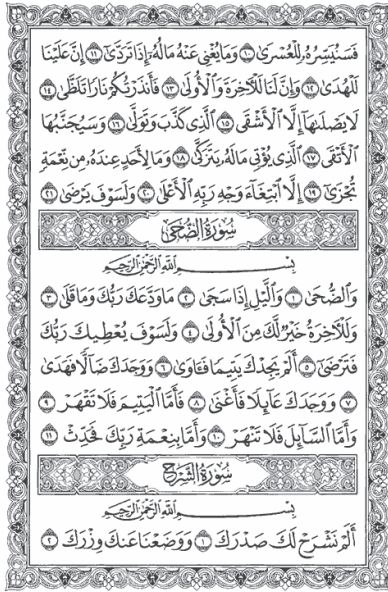


سُورَةُ الضُّحَىٰ

سورة الضحى (مكية).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ﴿١٠﴾

* هذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد.



سُورَةُ الشَّرْحِ

* سورة الشرح (مكية).

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

فَارْغَب ﴿٨﴾ *

* قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾

بشارة عظيمة،

أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن

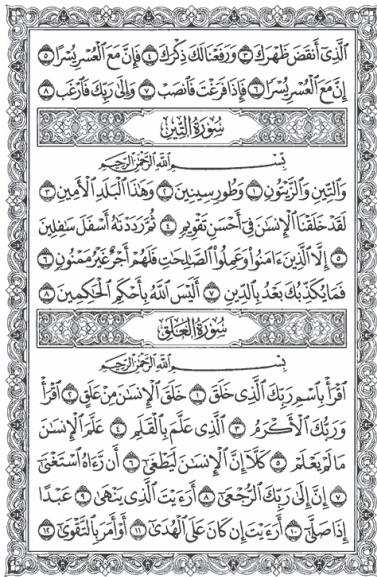
اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل

العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر،

فأخرجه كما قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: ٧]، وكما

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن الفرج



مع الكرب، وإن مع العسر يسرا». وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.

* وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال

مطالبك. واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب

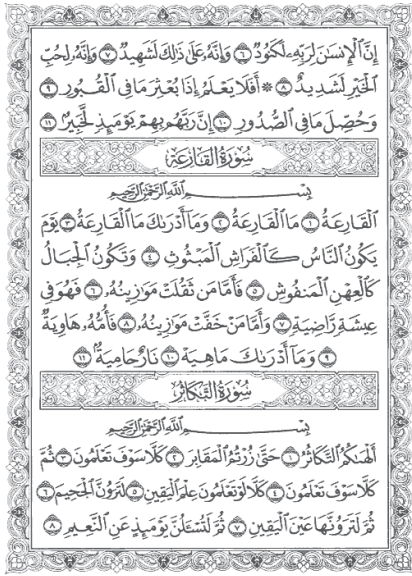
الصلوات المكتوبات.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

سورة التكاثر (مكية) ❁

❁ **أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝** ❁❁ دل قوله: **حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢** ❁

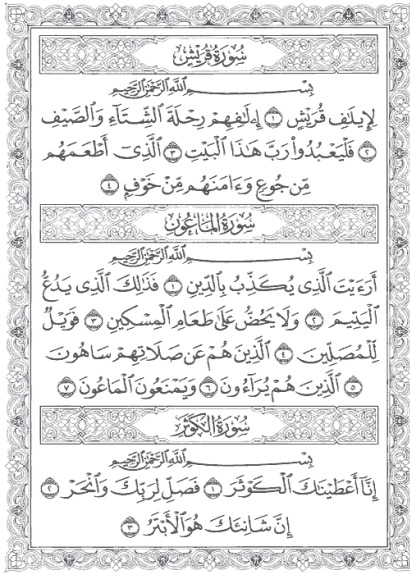
أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، وأن الله ساهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية.



سُورَةُ الْمَاعُونِ

* سورة الماعون (مكية).

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

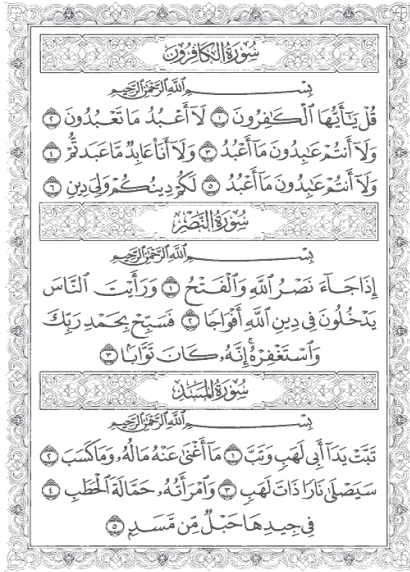


* في هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.



سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سورة الكافرون (مكية).



﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكٰفِرُونَ ۝ لَا اَعْبُدُ ۝
 مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا
 اَعْبُدُ ۝ وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝ وَلَا
 اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِيْنُكُمْ
 وَلِي دِيْنِ ۝﴾

* ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝﴾
 ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم
 وجود الفعل، والثاني على أن ذلك

قد صار وصفاً لازماً. ولهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال:

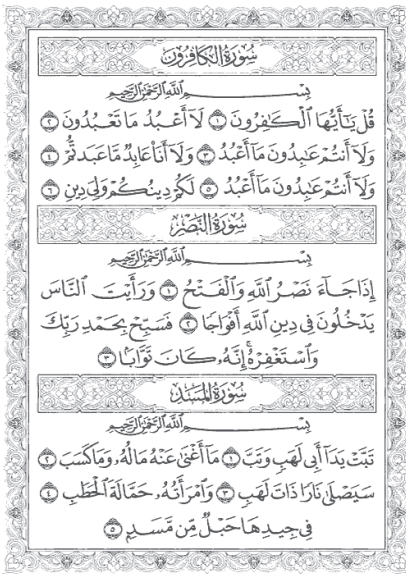
﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِي دِيْنِ ۝﴾



سُورَةُ النَّصْرِ

✽ سورة النصر (مدنية).

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾



في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك.

* فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به .

* وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح،

فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره .

* وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر لهذا الدين،

ويزداد عند حصول التسييح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من

الشكر، والله يقول: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وقد وجد

ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا،

حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم

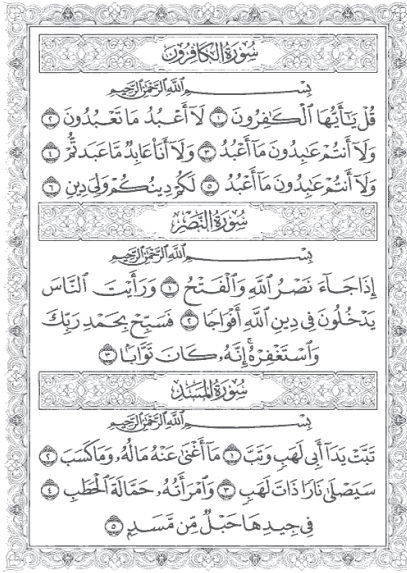
يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل. [ومع هذا] فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

* وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تحتّم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختّم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه. فكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي).



سُورَةُ الْمَيْدَةِ

﴿سورة المسد (مكية)﴾



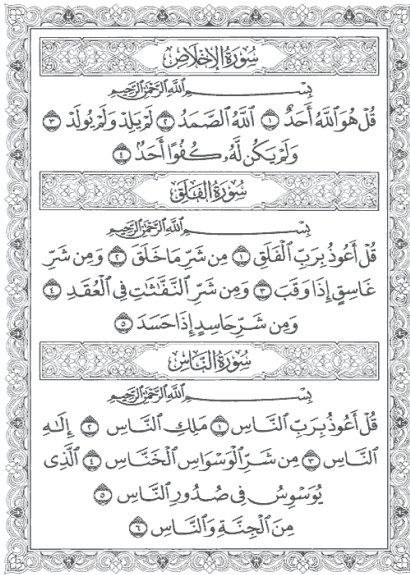
﴿١﴾ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿٢﴾ مَا أَغْنَىٰ
عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ﴿٣﴾ سَيَصِلَىٰ نَارًا
ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٤﴾ وَأَمْرَأَتُهُ، حَمَّالَةَ الْحَطَبِ
﴿٥﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾.

* في هذه السورة، آية باهرة من آيات الله،
فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب
وامراته لم يهلكا، وأخبر أنها سيعذبان
في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنها
لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب
والشهادة.



سُورَةُ الْفَلَقِ

* سورة الفلق (مكية).



﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ .

* هذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً. ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	سُورَةُ البَقَرَةِ
٧١	سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ
٩٦	سُورَةُ النَّبَاِ
١٣٤	سُورَةُ المُنَافِقَاتِ
١٥٩	سُورَةُ الأَنْعَامِ
١٧٣	سُورَةُ الأَنْعَامِ
١٨٥	سُورَةُ الأَنْعَامِ
١٩٢	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٢١٢	سُورَةُ يُونُسَ
٢١٨	سُورَةُ هُودٍ
٢٢٦	سُورَةُ يُونُسَ
٢٤٥	سُورَةُ الرِّعَادِ
٢٤٧	سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
٢٥٢	سُورَةُ الحجِّ
٢٥٥	سُورَةُ التَّحَاةِ
٢٦١	سُورَةُ الأَمْرَاءِ
٢٦٦	سُورَةُ الكَهْفِ
٢٨٢	سُورَةُ مَرْيَمَ

الصفحة	الموضوع
٢٨٧	سُورَةُ طٰهٍ
٢٩٢	سُورَةُ الْاٰنْبِيَاءِ
٢٩٦	سُورَةُ الْحٰجِّجِ
٣٠١	سُورَةُ الْمُؤْمِنُوْنَ
٣٠٦	سُورَةُ الْاَنْزٰلِ
٣١٩	سُورَةُ الْاَرْقٰمِ
٣٢٣	سُورَةُ الشُّجَرٰةِ
٣٢٦	سُورَةُ الْاَشْمٰكِ
٣٣٢	سُورَةُ الْقَصَصِ
٣٤٣	سُورَةُ الْعَنْكَبُوْتِ
٣٤٧	سُورَةُ الرُّومِ
٣٥٢	سُورَةُ السَّبْعِ
٣٥٣	سُورَةُ الْاٰخِزٰةِ
٣٦٣	سُورَةُ سَبَاٍ
٣٦٥	سُورَةُ طٰهٍ
٣٦٧	سُورَةُ يٰسِٓنَ
٣٧٢	سُورَةُ الصّٰفٰةِ
٣٧٥	سُورَةُ زٰحٰرِ
٣٨٢	سُورَةُ الْاٰمْرِ
٣٨٩	سُورَةُ اَعْرٰفِ
٣٩٥	سُورَةُ مُصَلٰةِ

الصفحة	الموضوع
٣٩٩	سُورَةُ الشُّورَى
٤٠٥	سُورَةُ الزُّحُرْفِ
٤١٠	سُورَةُ الْيُنُسِ
٤١١	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ
٤١٢	سُورَةُ الْحٰجِّرَةِ
٤١٩	سُورَةُ الْاِنشٰرِ
٤٢٠	سُورَةُ الْمَجْدَلِ
٤٢٤	سُورَةُ الْاَنْكٰبِ
٤٢٧	سُورَةُ الْاٰطْفٰلِ
٤٢٩	سُورَةُ الْاٰحْقٰفِ
٤٣٢	سُورَةُ الْاَسْرٰقِ
٤٣٤	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٣٥	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٣٧	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٣٩	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٢	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٤	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٥	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٧	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٨	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ
٤٤٩	سُورَةُ الْاٰمِیْنِ

الصفحة	الموضوع	
٤٥٠	سُورَةُ الْحَاقَّةَاتِ
٤٥١	سُورَةُ الْمُرْسَاتِ
٤٥٣	سُورَةُ الْمُرْسَاتِ
٤٥٤	سُورَةُ الْمُرْسَاتِ
٤٥٥	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٤٥٦	سُورَةُ الْإِنشَاءِ
٤٥٧	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٤٥٨	سُورَةُ عَبَسَآ
٤٥٩	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
٤٦٠	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ
٤٦٢	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٤٦٣	سُورَةُ الْأَعْلَى
٤٦٤	سُورَةُ الْفَجْرِ
٤٦٥	سُورَةُ اللَّيْلِ
٤٦٦	سُورَةُ الضُّحَى
٤٦٧	سُورَةُ الشَّرْحِ
٤٦٨	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
٤٦٩	سُورَةُ الْمَاعُونِ
٤٧٠	سُورَةُ الْكَافُرِيْنَ
٤٧١	سُورَةُ النَّصْرِ
٤٧٣	سُورَةُ الْمُنَادِ

الصفحة	الموضوع
٤٧٤	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٧٥	الفهرس

